

مَدْخَلُ الْحَيِّ عَلَيَّ الْبَلْغَةِ

الدكتور محمود فهمي حجازي

طبعة جديدة مزيّدة ومنقّحة

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عيده غريب

الكتاب : مدخل إلى علم اللغة

المؤلف : د. محمود فهمي حجازي

تاريخ النشر :

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

شركة مساهمة مصرية

عبدالله غريب

المركز الرئيسي : مدينة العائش من رمضان

والمطابع المنطقة الصناعية (CI)

ت : ١٥/٣٦٢٧٢٧

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ت : ٢٤٧٤٠٣٨

رقم الإيداع : ٩٧/١٠٧٧٠

التسجيل الدولي : I. S. B. N.

977-5810-69-8

المحتويات

٥	المحتويات
٧	تقديم
٩	الفصل الأول : اللغة : طبيعتها ووظيفتها
٩	أولاً : اللغة والبحث اللغوي
١٠	ثانياً : طبيعة اللغة
١١	ثالثاً : عملية الكلام بين الفرد والمجتمع
١٣	رابعاً : وظيفة اللغة ومستويات الاستخدام
١٧	الفصل الثاني : علم اللغة : مجالاته ومناهجه
١٧	أولاً : مجالات علم اللغة الحديث
١٩	ثانياً : مناهج علم اللغة الحديث
٢٦	ثالثاً : علم اللغة العام
٢٧	رابعاً : اللغة بين العلوم الإنسانية
٢٩	الفصل الثالث : الأصوات
٢٩	أولاً : الأصوات والكتابة
٣٣	ثانياً : أعضاء النطق وعملية الكلام
٢٦	ثالثاً : التحليل الفونولوجي
٣٩	رابعاً : تصنيف الأصوات اللغوية
٤٥	الفصل الرابع : المصطلحات الصوتية في التراث العربي
٤٥	أولاً : الحروف
٤٧	ثانياً : المخارج والأحياز
٥٠	ثالثاً : المجهور والمهموس
٥٤	رابعاً : الشدة والرخاوة
٥٧	خامساً : الإطباق والانفتاح
٥٩	الفصل الخامس : النظام الصوتي

٥٩	أولاً : الوحدات الصوتية الجزئية
٨٠	ثانياً : المقاطع والنبر والتتقيم
٨٢	ثالثاً : التغيرات الصوتية
٨٩	الفصل السادس : بناء الكلمة
٩٠	أولاً : الوحدات الصرفية
٩٦	ثانياً : الأصول اللغوية بين الثنائية والثلاثية
١٠٠	ثالثاً : الأبنية الصرفية وتنمية المفردات
١٠٧	الفصل السابع : بناء الجملة
١٠٧	أولاً : مفهوم النحو
١٠٩	ثانياً : مفاهيم أساسية
١١٠	ثالثاً : المادة اللغوية
١١٤	رابعاً : الجملة بين النحاة والبلاغيين
١١٩	الفصل الثامن : المكونات المباشرة والنحو التوليدي التحويلي
١١٩	أولاً : المكونات المباشرة
١٢٢	ثانياً : المنهج التوليدي التحويلي وبناء الجملة
١٢٩	الفصل التاسع : علم الدلالة المعجمية
١٢٩	أولاً : علم الدلالة
١٣١	ثانياً : مناهج علم الدلالة والمعجمات الحديثة
١٣٣	ثالثاً : تطور الاهتمام بالدلالة
١٣٧	رابعاً : البحث الدلالي الحديث بين النظرية والتطبيق المعجمي
١٤٥	الفصل العاشر : البنية الدلالية
١٤٥	أولاً : العلاقات الدلالية
١٥٢	ثانياً : مصطلحات دلالية في التراث العربي
١٥٤	ثالثاً : أنواع المعنى
١٥٩	رابعاً : السياق
١٦١	خامساً : المجالات الدلالية

١٦٥	<u>الفصل الحادى عشر : الأسرة اللغوية الأفروآسيوية</u>
١٦٦	<u>أولاً : اللغات السامية</u>
١٧٧	<u>ثانياً : الأفرع اللغوية الأخرى</u>
١٨١	<u>الفصل الثانى عشر : اللغات الهندية الأوربية</u>
١٨٢	<u>أولاً : اللغات المفردة</u>
١٨٤	<u>ثانياً : الفرع الهندى</u>
١٨٦	<u>ثالثاً : الفرع الإيرانى</u>
١٩٣	<u>رابعاً : الفرع السلافي</u>
١٩٨	<u>خامساً : الفرع الكلتى</u>
١٩٩	<u>سادساً : الفرع الجرمانى</u>
٢٠٥	<u>سابعاً : الفرع الرومانى</u>
٢٠٩	<u>الفصل الثالث عشر : اللغات الأورالية الألتائية</u>
٢١٠	<u>أولاً : اللغات الأورالية</u>
٢١٢	<u>ثانياً : اللغات الألتائية</u>
٢٢٥	<u>الفصل الرابع عشر : اللغات الأفريقية الأخرى</u>
٢٢٥	<u>أولاً : التصنيف النمطى</u>
٢٢٧	<u>ثانياً : لغات البانتو</u>
٢٢٣	<u>ثالثاً : لغات النيجر الكونغو</u>
٢٣٥	<u>رابعاً : اللغات النيلية الصحراوية</u>
٢٣٦	<u>خامساً : أسرات لغوية أخرى</u>
	<u>الفصل الخامس عشر : الأسرات اللغوية فى آسيا والمحيطات</u>
٢٣٩	<u>والعالم الجديد</u>
٢٣٩	<u>أولاً : الأسرات اللغوية فى آسيا</u>
٢٤٨	<u>ثانياً : لغات الهنود الحمر</u>
٢٥٣	<u>- كتب أساسية مختارة فى علوم اللغة</u>
٢٥٥	<u>- مصطلحات أساسية</u>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

يطيب لي أن أقدم للقارئ المثقف وللباحثين في علوم اللغة هذا الكتاب في طبعته الجديدة الموسعة. يعرف الكتاب بطبيعة اللغة ووظيفتها المجتمعية، ويتناول بإيجاز مناهج البحث اللغوي. ويقدم تعريفاً بأهم قضايا البحث الصوتي في العربية، بالإضافة من مناهج حديثة وربط المصطلحات الحديثة بالأصول التراثية، مع عرض مركز لأصوات العربية واتجاهات التغير فيها. وفي الفصول الخاصة ببنية الكلمة وبنية الجملة والدلالة نجد القضايا الأساسية والمصطلحات الحديثة، مع التطبيق على العربية، والنظر فيها في ضوء المقارنات والواقع المعاصر. تتسم هذه الطبعة الجديدة بإضافة هذه الفصول، لتبلي حاجة القارئ والباحث إلى تعريف مركز وواضح.

لقد احتفظت هذه الطبعة بالفصول الخاصة بالأسرات اللغوية مع تحديث المعلومات واستكمالها. وهذه الفصول تتناول - على وجه الخصوص - الأسرة اللغوية الأفرو آسيوية، ثم الأسرة الهندية الأوروبية، ثم الأسرة الأورالية الألتائية، ثم اللغات الإفريقية. كان الاهتمام في توزيع اللغات بالحقائق الأساسية، مع الربط - بقدر الإمكان - بالعربية لغة وثقافة وحرفاً.

والأمل كبير في أن تكون هذه الطبعة الجديدة أكثر شمولاً وربطاً بالتراث العربي وأكثر وضوحاً في تقديم مصطلحات علم اللغة الحديث من أجل تأصيل البحث اللغوي العربي.

والله ولي التوفيق

محمود فهمي حجازي

الفصل الأول

اللغة طبيعتها ووظيفتها

أولاً : اللغة والبحث اللغوى :

عرف المجتمع الإنسانى اللغة فى أقدم صورهِ، فاللغة ظاهرة تميز الإنسان عن الكائنات الأخرى، واختص بها فأتاحت له أن يكون المجتمع وأن يقيم الحضارة، ولذا فاللغة والمجتمع والحضارة ظواهر متداخلة متكاملة. لقد أثار كثير من المفكرين على مدى القرون قضية أولية اللغة أم المجتمع أم الحضارة، وطرحوا أيضاً قضية اللغة والفكر أيهما سبق الآخر، ولكن البحث الحديث يحاول أن يتعد عن هذه الدائرة المفرغة من التساؤلات حول مراحل يصعب الوصول إليها ليثبت تلازم اللغة مع فكر الإنسان وضرورة اللغة لقيام المجتمع وضرورة وجود مجتمع إنسانى يتعاون فى إقامة الحضارة.

إن الإنسان مارس اللغة منذ آلاف السنين هى عمر الإنسان على الأرض، ثم فكر فى أن يدون اللغة ويخلدها بذلك للأجيال التالية. كان هذا فى مصر والعراق منذ نحو خمسة آلاف سنة فقط، وظلت أكثر الشعوب على مدى العصور لا تكتب، فاللغة قديمة قدم المجتمع الإنسانى، ولكن كتابتها ظاهرة حديثة نسبياً، وهناك شعوب كثيرة لم تدون لغتها إلا فى السنوات الأخيرة. وكثير من أبناء هذه الشعوب أميون، وبعضهم لا يتصور أن تلك العبارات التى ينطق بها يمكن أن تدون. فاللغة توجد، سواء أكتبت أم لم تكتب، فالإنسان يحتاج اللغة فى حياته اليومية، ولكن تدوين اللغة لا يأتى عادة إلا فى مرحلة من الرقى الحضارى.

أما البحث العلمى فى اللغة فهو ظاهرة حديثة نسبياً، وشبه بهذا أمر البحث العلمى فى فروع المعرفة المختلفة. الإنسان يتنفس منذ وجد، ولكن المعرفة الحقيقية بالجهاز التنفسى وبعملية الشهيق وبعملية الزفير وما يرتبط بهما من عمليات فسيولوجية

فى داخل جسم الإنسان تعد من الحقائق التى أتى بها البحث العلمى منذ وقت قريب نسبياً. إن الإنسان عرف الماء وأحس به وأفاد منه فى حياته اليومية، ولكن التحليل العلمى لمكونات الماء وخصائصه ودوره الحيوى فى جسم الإنسان عمل علمى لا يعرفه بالضرورة كل من يستخدم الماء أو يشربه. وشبه بهذا أمر اللغة، فاللغة قديمة قدم المجتمع الإنسانى، ولكن البحث فى اللغة لم ينشأ إلا فى إطار التقدم العلمى، ولذا فهو أمر حديث نسبياً فى تاريخ الإنسان.

ثانياً : طبيعة اللغة :

لقد عرف اللغوى العربى ابن جنى (المتوفى ٣٩٢ هـ) اللغة بعبارته : "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". وهذا التعريف يتضمن العناصر الأساسية لتعريف اللغة ويتفق مع كثير من التعريفات الحديثة للغة، فهو يوضح الطبيعة الصوتية للغة ويؤكد أن اللغة أصوات، وهو بهذا يستبعد الخطأ الشائع الذى يتوهم أن اللغة فى جوهرها ظاهرة مكتوبة. ويوضح تعريف ابن جنى طبيعة اللغة من جانب ووظيفتها من الجانب الآخر.

وتوضح التعريفات الحديثة للغة أولاً وقبل كل شئ أن اللغة نظام من الرموز، ومعنى هذا أن اللغة تتكون من مجموعة من الرموز تكون نظاماً متكاملاً. واللغة أكثر نظم الرموز التى يتعامل بها الإنسان تركيباً وتعقيداً، فإشارات المرور رموز ضوئية، ولكنها محدودة وبسيطة. والإشارات الضوئية الصادرة من السفن وأعلام الحيوش والكشافة والفرق الرياضية رموز بسيطة أيضاً. أما الصيحات التى تطلقها الحيوانات بأنواعها ولا سيما الطيور فإنها أيضاً محدودة وبسيطة. ولكن الإنسان وحده يتعامل باللغة التى تقوم على عدد من الرموز ولكنها تكون نظاماً مركباً معقداً. الأصوات التى تصدر عن أعضاء النطق عند الإنسان محدودة نسبياً، واللغات تشترك فى كثير من الأصوات، وأكثر اللغات الإنسانية تقيّد من عدد من الأصوات يقل عن أربعين صوتاً، ولكن هذه الأصوات المحدودة تتخذ أنساقاً كثيرة فتكون آلاف الكلمات فى اللغة

الواحدة، وتتخذ هذه الكلمات عدة ترتيبات متعارفا عليها فى البيئة المعوية فتكون ملايين الحمل، وتعبّر بذلك عن الحضارة الإنسانية والفكر الإنسانى ولذا فأسعة الإنسانية تختلف عن نظم الاتصال البسيطة الأخرى الموجودة عند الإنسان وعدد الحيوان فى أن اللغة الإنسانية نظام مركب معقد من الرموز.

إن الرموز اللغوية لا تحمل قيمة ذاتية طبيعية تربطها بمدلولها فى الواقع الخارجى فليست هناك أية علاقة بين كلمة "حصان" ومكونات جسم الحصان، والعلاقة كدمنة فقط عند الجماعة الإنسانية التى اصططلحت على استخدام هذه نكلمة اسما لذلك الحيوان. ومعنى هذا أن قيمة هذه الرموز اللغوية تقوم على العرف أى تقوم على ذلك الاتفاق لكائن بين الأطراف التى تستخدمها فى التعامل. ولذا فالرموز اللغوية وسائل اتصال فى إطار الجماعة اللغوية الواحدة. وتقوم عملية الكلام على وجود استخدام هذه الرموز اللغوية المركبة بقيمتها العرفية، وبعبارة أخرى هناك اتفاق على ترجمة هذه الرموز فى العقل إلى دلالاتها التى يعينها المتحدث أو الكاتب فيفهمها المستمع أو القارئ.

ثالثاً : عملية الكلام بين الفرد والمجتمع :

إن عمية الكلام تتم نتيجة وجود مؤثرات خارجية أو داخلية مرئية أو مسموعة، يستجيب لها الجهاز العصبى للمتكلم فيصدر أوامره إلى أعضاء الطبق فترسل بدورها هذه الأوامر على شكل موجات صوتية، وتمضى هذه الموجات فى الهواء فتتلقاها أعضاء السمع عند المتلقى باقاة إيّاها إلى الجهاز العصبى، وقد يصدر أوامره بعد ذلك إلى أعضاء الطبق، وهكذا تحدث عملية الكلام. وهناك عدة تخصصات تهتم ببحث عملية الكلام، فالعمليات العقلية عند المتحدث والمتلقى موضوع بحث فى علم اللغة النفسى، وهو تخصص جديد أخذ فى الاستقلال. أما علم اللغة فهو يبحث تلك الرموز الصوتية التى نقلت الفكرة من المتحدث إلى المتلقى ويبحث أيضاً كيفية تكوين هذه الرموز الصوتية لكلمات فى تلك اللغة، وكيفية تكوين الكلمات للحمل، ويربط

لبحث اللغوى كل هذا بالمعنى الذى تحمله هذه الرموز. وعلى هذا فوجود لغة يشترط وجود مجتمع، وهنا يتضح الطابع الاجتماعى للغة، فليس هناك نظام لغوى يمكن أن يوجد منفصلا عن جماعة إنسانية تستخدمه وتتعامل به فاللغة ليست هدفا فى ذاتها، وإنما هى وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة الإنسانية. إن الفرد الواحد يشارك فى عملية الكلام فى مواقف الحياة، وباختلاف المواقف الكلامية التى يعيشها، ففرد تختص مشاركته فى استخدام اللغة. وهنا يجد الباحث من الضرورى أن يميز بين اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية والاستخدام الفردى لها باعتباره يختلف باختلاف الأفراد وباختلاف المواقف الكلامية التى يستخدمون فيها اللغة.

لقد ميز اللغوى السويسرى دى موسير de Saussure بين ثلاثة مصطلحات أساسية فى نظرية اللغة، وهى مصطلحات Langue ويعنى اللغة الواحدة مثل اللغة العربية أو اللغة الفرنسية أو اللغة الانجليزية إلى آخره، و Parole وتعنى الكلام أو الاستخدام الفردى للغة الواحدة عند الفرد، و Langage القدرة اللغوية عند الإنسان بصفة عام. ولهذا التمييز أهمية فى البحث اللغوى المعاصر، فالبحث اللغوى يتجاوز الاستخدام الفردى للغة إلى ظاهرة اللغة فى أبعادها العامة المشتركة عند أفراد الجماعة اللغوية، فالإنسان الواحد مهما أوتى من المهارة اللغوية والقدرة اللسانية والتنوع فى أسلوب الكتابة لا يستخدم كل المعجم الذى تعرفه لغته ولا يفيد من كل إمكانات البنية اللغوية المتاحة له عندما يتحدث أو يكتب اللغة. وإن بحث الاستخدام اللغوى عند الفرد الواحد هو مجرد مرحلة تليها مراحل كثيرة حتى يصل اللغوى إلى تعرف بنية اللغة موضع البحث، وهناك فرق واضح بين الأداء اللغوى Performance عند الفرد وهو محدود نسبيا وبين الملكة أو الكفاءة اللغوية Competence لديه حتى يفهم الآخرى وأن يكون جملا جديدة لم يسمعها من قبل، ولكنها ممكنة فى إطار السية المعونة الكامة عند أساء الجماعة اللغوية. ولذا لا يكتفى الباحث ببحت الأداء اللغوى عند فرد عيه وإنما عليه أن يتجاوزة إلى بحث البنية اللغوية الكامة وراء استخدام أحاد الأفراد.

وبعد التمييز بين الأداء اللغوى والكفاية اللغوية فى نظرية اللغة عند شومسكى Chomsky تطويرا لرأى دى سوسير فى اللغة والكلام.

رابعاً : وظيفة اللغة ومستويات الاستخدام

إن بحث اللغة لا يكتفى بتعرف على ملامح البنية اللغوية، ولا بد أن يكتفى بالتعرف على الوظيفة فى إطار المجتمع. ومن هنا يجب فى بحث اللغة تعرف مستوى الاستخدام لكل نظام لغوى. لقد استقرت فى السنوات الأخيرة مجموعة من المصطلحات لتعبير عن مستويات الاستخدام اللغوى، ويتضح محتوى هذه المصطلحات فى إصار فرع جديد من أفرع علم اللغة هو علم اللغة الاجتماعى، وأهمية هذه المصطلحات أنها تفيد فى وصف العلاقات اللغوية فى داخل الجماعة اللغوية الواحدة بدرجة عالية من الوضوح.

ومن هذه المصطلحات مجموعة كبيرة تصنف العلاقات اللغوية فى داخل المجتمع الواحد، وتعد مصطلحات التصنيف اللغوى للمستويات مثل: "اللهجة، و"الفصحى، و"العامية" أكثر هذه المصطلحات شيوعاً. وفى الدول التى لم تتخذ فيها اللغة الوطنية، حجمها الكامل فى الحياة اللغوية نجد هذه المصطلحات مثار جدل كبير وتستخدم غالباً مصحوبة بمواقف سياسية وبشحنات من الانفعال تحول فى حالات كثيرة دون التفكير الدقيق.

إن أى نظام لغوى يتكون من أصوات تكون كلمات تؤلف جملاً لأداء معنى، ومن هذا الجانب نجد أية لغة وأية لهجة داخلية فى هذا الإطار. والشئ الأساسى الذى يجعل نظاماً لغوياً ما يصنف باعتباره لهجة أو لغة فصيحة هو موقف أبناء الجماعة اللغوية منه، ومعنى هذا أنه ليس فى بنية اللهجة أو اللغة ما يحتم تصيغها -بالضرورة- هذا التصنيف، ولكن محالات الاستخدام عند أبناء الجماعة اللغوية هى التى تفرص هذا التصنيف. فأنظام اللغوى، الذى يستخدم فى مجالات الثقافة والعلم والأدب، الربيع هو ما يصف اجتماعياً بأنه فصيح، والنظام اللغوى الذى يقتصر استخدامه على محالات

احية اليومية هو بالضرورة ما يصنف اجتماعيا بأنه لهجة أو بأنه "عامية". وهذه لثائية لا تستوعب كل ملامح الحياة اللغوية فهناك مستويات لغوية كثيرة بين هذه ونسك، ففي حديث المثقفين نجد "العامية" تقدم عناصر كثيرة في الأصوات وساء الكلمة وساء الجملة، وبلى جانب هذا نجد من "الفصحى" عددا كبيرا من الكلمات، أوصحها نسك اكلمات التى تكونت فى المستوى الثقافى واستقرت فى محالات الثقافة وسعلم. وعى هذا فليس من الصحيح أن تصور الحياة اللغوية مجرد ثنائية لهجات محبة وفصحى، فهناك مستويات لغوية كثيرة.

وفى أكثر المجتمعات الأوربية الراقية يدور حديث المثقفين بلغة هى الفصحى فى أصوتها وصرفها ومعجمها، وإن كانت أبسط منها فى نحوها، ويحاول كل مثقف الارتفاع عن اللون المحلى فى لهجته ليتوسل فى حديث باللغة الفصحى. إن محالات استخدام اللغات الفصحى فى الدول المتقدمة أكثر منها فى دول العالم الثالث، ففي الدول الأوربية الكبرى نجد اللغة المشتركة فى حديث المثقفين وفى وسائل الإعلام وفى الأفلام وفى الكتب الثقافية والعلمية وفى الإدارة وفى المحائس نيبانية، ونجدها إلى حد كبير جدا فى التعامل اليومى فى داخل المتاجر والمؤسسات العامة. وفى بعض العواصم الأفريقية يتم التعامل اليومى بلغتين أو أكثر، كأن يكون مثلاً بلغة لهوسا وباللغة الانجليزية فى نيجيريا أو بلغة الولوف وباللغة الفرنسية فى السنغال. وفى بعض المجتمعات تستخدم لغة للتعامل اليومى فى داخل الجماعة ولغة أخرى للتعامل اليومى فى عارج الجماعة، وهذه حالة أكثر الأقليات اللغوية فى العالم، فأبناء واحة سيوة فى مصر يتعاملون مع بعضهم البعض بلغتهم السيوية البربرية ويتعاملون مع الآخرين بالعربية، وكذلك الويسون فى جنوب مصر وشمال السودان، والمهرة فى إحدى محافظات اليمن. وهما يتحدثان الباحثون عن الازدواج اللغوى، أو الثنائية اللغوية، ولكن مجرد التسمية لا تكفى فلا بد من تحديد محالات استخدام كل مستوى من المستويين.

د المصطلحات المستخدمة فى هذا المجال كثيرة، وبدل مصطلح "لغة التعميم عى اللغة التى تستخدم وسيلة للتعليم فى المدارس، فعندما يدرس علم شاربج أو الجغرافيا - مثلاً - فى إحدى المدارس باللغة الانجليزية فهى هنا لغة التعليم.

وقد تكون هذه اللغة لغة وطنية أو لغة أجنبية. وينبغي هنا ملاحظة أن بعض الدول تميز بين لغة التعليم في المدارس ولغة التعليم في الكليات الجامعية، كما هي الحال في عدد من الدول العربية التي تدرس بعض كلياتها بلغة أجنبية. وفي بعض الدول نحد التعليم العالي والتعليم العام مشتركين في لغة التعليم، بينما نحد سحوب العمية تكتب سعة أخرى تكون وسيلة التعامل بالعالم الخارجى، ففي الدول لعربية لتي تعلم باللغة العربية في التعليم العالي وفي عدد من الدول الوطنية الصغيرة في أوروبا نحد اللغة لوصنية هي لغة التعليم في كل مراحلها ونحد إلى جانبها لغة أجنبية تكتب بها أكثر للبحوث العلمية.

وهناك عدة مصطلحات تستخدم في المجال السياسى على المستويين المحلى والدولى، أهمها مصطلحات "اللغة الوطنية" و"اللغة الرسمية" و"اللغة الدولية".

أما 'اللغة الوطنية' فهي لغة جماعة كبيرة من المواطنين في داخل الدولة الواحدة، ولا يعنى بالضرورة أنها لغة الأغلبية، فهناك دول كثيرة ليست بها أغلبية لغوية بالمعنى الحقيقي بكلمة بل تسودها عدة لغات وطنية، ففي باكستان نحد اللغات الأردية والبنجابية والسندية ولغة الباشتو واللغة البلوشية جنباً إلى جنب، وهذه لغات وطنية في باكستان وليست هناك لغة من هذه اللغات يمكن أن توصف بأنها لغة الأغلبية.

أما 'السغة الرسمية' فهي اللغة التي ينص عليها في الدستور، وتوحد أنظمة دستورية في أكثر دول العالم. ويص الدستور في كل دولة من هذه الدول - بعد أن يذكر سم الدولة ونظامها وغير ذلك - على تسمية لغة معينة هي "اللغة الرسمية" في الدولة. ولمقصود "باللغة الرسمية" تلك اللغة التي تستخدم في الإدارة وفي المجالس لىابية والتي تصدر بها مراسيم الحكومة وتقدم بها الطلبات إلى الوزارات المختلفة وتعامل بها المؤسسات والوزارات المختلفة.

وفوق هذا كله، فهناك لغات محدودة العدد استقرت في السنوات الأخيرة في إطار التعامل بين الدول. ففي منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة مثل اسونسكو حدد مجموعة لغات توصف بأنها "لغات العمل". لقد كانت لغات العمل في منظمة الأمم المتحدة عقب إنشائها بعد الحرب العالمية الثانية هي اللغات : الإنجليزية والفرنسية والروسية والصينية والأسبانية، ولم يحدث بعد ذلك إلا تعديل واحد وذلك بإضافة اللغة العربية إلى تلك اللغات الخمس فأصبحت لغات العمل في الأمم المتحدة ست لغات، ومعنى هذا أن أى متحدث فيها يستطيع أن يستخدم إحدى هذه اللغات فيترجم كلامه إلى اللغات الخمس الأخرى، ويستطيع أيضاً أن يتابع المداولات والمناقشات عن طريق الترجمة العربية.

وهكذا تنوع مجالات استخدام اللغات ومستوياتها تنوعاً كبيراً. وعدم اللغة وإن كان يهدف إلى بحث البنية اللغوية، فإن الرؤية الوظيفية للغة تجعل بحث مجالات الاستخدام أمراً ضرورياً.

الفصل الثاني

علم اللغة : مجالاته ومناهجه

علم اللغة Linguistics في أبسط تعريفاته هو دراسة اللغة على نحو علمي، ويعني هذا التعريف أن الدراسات اللغوية موضوعية وليست انطباعية ذاتية. وقد أدت هذه الموضوعية المنشودة إلى استقرار كثير من الحقائق وتكون كثير من المناهج وخلق مناخ علمي يتيح لدى اللغويين، في كل انحاء العالم، المتخصصين في مختلف اللغات درجة عالية في التعاون وتبادل الخبرة.

أولاً : مجالات علم اللغة الحديث

يدرس علم اللغة الحديث بنية اللغة من الجوانب التالية :

١- الأصوات Phonetics, Phonology

٢- بناء الكلمة Morphology

٣- بناء الجملة Syntax

٤- الدلالة Semantics

وهذا التقسيم ينطبق من الوحدات الصغيرة في اللغة إلى الوحدات الأكبر، فاللغة الواحدة تتكون من عدد محدود من الوحدات الصوتية يتراوح عددها في أكثر اللغات بين اثنتين والأربعين. بهذا العدد المحدود من الوحدات الصوتية يمكن أن تتألف ملايين الكلمات، وذلك عن طريق الأنساق المختلفة لهذه الوحدات الصوتية في المواقع المختلفة، فالكلمات (كتب)، (بكت)، (تكب)، (بتك)، (تبك)، (كبت) ممكنة من ناحية الطرية، تتكون من الوحدات الصوتية نفسها، ولكنها تختلف في ترتيب هذه الوحدات في داخل الكلمة، وبعض هذه الكلمات موجود فعلاً في واقع العربية وبعضها غير موجود في الواقع، مع أنه ممكن من الناحية النظرية. وهكذا نجد العدد

المحدود من الوحدات الصوتية في أية لغة يمكن أن يكون ملايين الكلمات، ونكر كرامة من اللغات تختار من هذه الكلمات الممكنة - نظرياً - عدة آلاف فقط.

وهذه الكلمات تنتظم وفق مجموعة من الضوابط الصرفية مثل الأسبوع والسوق واللواحق فتكون لكل مجموعة سماتها البنيوية ومحتواها الدلالي. ورن فاعين بعد في العربية أحد الأبنية الصرفية وهو يعبر عن فاع بالشئ. والسوابق مثل اسم في عربية تؤدي عدة وظائف، منها مثلاً أنها تكون لاسم الفاعل من غير الثلاثي مثل : مكرم واسم المفعول منه مكرم وغير هذا وذلك من الصيغ. واللواحق مثل تاء تأنث تعطي هذه الأصوات إمكانية تكوين ملايين الكلمات الأخرى.

ولكن بنية اللغة لا تقتفي بمجرد وجود هذه الكلمات، فالفرق الأساسي بين (ضرب موسى عيسى)، و(ضرب عيسى موسى) لا يرجع إلى اختلاف الكلمات بل إلى اختلاف ترتيب الكلمات في داخل هذا النمط من أنماط الجملة. وصيغة الماضي (قرأ) تتجاوز هذا المعنى إذا ما كانت في الجملة: (إن قرأت هذا الكتاب وجدته سهلاً)، اعلان هذا ماضيان. ومعنى هذا أن تحديد الصيغة للماضي لا يكفي لتعرف المعنى، ولابد في هذا السياق من دراسة الأنماط المختلفة التي تتخذها الجملة في كل لغة من اللغات. وهكذا يتيح الأنماط المختلفة لبناء الجملة أن نعب بألاف الكلمات الموجودة فيها عن ملايين المعاني التي تكاد تصل إلى عدد لا محدود.

إن الوحدات الصوتية تكون الكلمات، والكلمات تكون الحمل، والحمل ينبغي لها أن تحمل دلالات. ولذا يتناول البحث الدلالي كل ما يحدد معنى الكلمات والعبارة، وتعد المعاجم نتيجة تطبيقية للبحث الدلالي.

ترتيب هذه المحالات : الأصوات، بناء الكلمة، بناء الجملة، والدلالة، على هذا النحو متفق عليه عند كثير من اللغويين المحدثين والمعاصرين. وهو ترتيب محافع بما كاد عند سيويه وجمهور النحاة العرب، فقد انطلقوا من قضية الجملة والإعراب إلى قضية الأسبوع الصرفية إلى قضية الأصوات، أي من الوحدات الأكبر إلى الوحدات

لأصغر. وقد ظهرت في السنوات الأخيرة اتجاهات عند بعض اللغويين الأمريكيين والأوروبيين تطلق في التحليل اللغوي من الوحدات الكبيرة إلى الوحدات الأصغر، ولد، فهي تبدأ - أيضا - بتحليل الجملة وتنتهي بالتحليل الصوتي.

ثانياً : مناهج علم اللغة الحديث:

عرف علم اللغة الحديث منذ نشأته في القرن التاسع عشر إلى اليوم عدة مناهج، هي على الترتيب.

١- علم اللغة المقارن Comparative Linguistics

٢- علم اللغة الوصفي Descriptive Linguistics

٣- علم اللغة التاريخي Historical Linguistics

٤- علم اللغة التقابلي Contrastive Linguistics

١- علم اللغة المقارن :

يتناول علم اللغة المقارن مجموعة لغات تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة بالدراسة المقارنة. وعلم اللغة المقارن أقدم مناهج علم اللغة الحديث، وبه بدأ البحث اللغوي عصر ازدهاره في القرن التاسع عشر. يعتمد البحث المقارن على وجود تصنيف واضح للغات إلى أسر لغوية، ولم تكن القرابة بين اللغات معروفة على نحو علمي دقيق إلى أن اكتشفت البعثة السنسكريتية في الهند. لقد قورنت السنسكريتية باليونانية واللاتينية، وثبت من هذه المقارنات وجود قرابة لغوية بين هذه اللغات وأنها ترجع إلى أصل قديم بحد. وتقدم بحث شيئا فشيئا فقورنت اللغات الأوربية المختلفة واللغات الإيرانية ولغات الهندية، وثبت بهذه المقارنات أن كثيرا من هذه اللغات تحمل أوجه شبه في النية والمعجم، وبذلك اتضحت معالم أسرة لغوية كبيرة تضم لغات كثيرة في الهند وإيران وأوروبا. وأطلق الباحثون على هذه الأسرة اسم اللغات الهندية الأوربية، ويسمونها بحثون الأمد أسرة اللغات الهندية الجرمانية. وقام الباحثون في اللغات السامية أيضا بتصنيف سمح المقارن، كما تطور في مجال اللغات الهندية الأوربية، وحدث

ظهر علم اللغات السامية المقارن الذى يبحث مجموعة اللغات لعربية ولعبرية والآرامية والأكادية والعربية الجنوبية والحبشية. وقد ازدهر البحث المقارن فى اللغات السامية فى فترة كانت الكشوف الأثرية قد أظهرت لغات قديمة مكتوبة على لنفوس، وهى اللغات الأكادية فى العراق والعربية الجنوبية فى اليمن والفينيقية فى منصقة ساحل الشام. وأضيف إلى اللغات السامية فى القرن العشرين اللغة الأجرية نى اكتشفت فى ساحل الشام بالقرن من مدينة رأس شعرا سنة ١٩٢٦. إن البحث المقارن يتناول أسرة لغوية كاملة أو فرعاً من أفرع هذه الأسرة اللغوية، ولذا يعد علم اللغة المقارن فرعاً مستقلاً من أفرع البحث اللغوى.

يتناول علم اللغة المقارن المحالات المذكورة لعلم اللغة، فبحث من الناحية الصوتية الأصوات الموجودة فى هذه اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة محاولاً التوصل إلى قواعد مطردة تفسر التغيرات الصوتية التى طرأت على مدى الزمن، فانقسمت لغة الواحدة إلى لهجات ولغات كثيرة، انقسمت بدورها إلى لغات أخرى. وقد تضح فى إطار البحث الصوتى المقارن أن مجموعة من الأصوات مستمرة دون تغير يذكر فى كل لغات الأسرة الواحدة، فكل اللغات السامية - مثلاً - بها صوت الراء دون تغير، وعلى العكس من هذا فهناك أصوات خضعت لتغيرات بعيدة المدى منها مثلاً صوت الضاد الذى اختلف بمضى الوقت من كل اللغات السامية باستثناء اللغة العربية - وله فيها مشكلة تاريخية. وكل هذه البحوث فى مجال الأصوات، وتعد بمنهج مقارن.

أما من ناحية بناء الكلمة فيتناول علم اللغة المقارن كل ما يتعلق بالأوزن والسوق والواحق ووظائفها المختلفة، وعلى هذا فدراسة الضمائر فى اللغات السامية تعد من دراسات علم الصرف المقارن، لأنها فى مجال بنية الكلمة وتتم بمنهج مقارن. وكذلك البحوث فى أبنية الأفعال فى اللغات السامية، أو اسم الفاعل فى لغات سامية، أو المصدر فى اللغات السامية، فكل هذه البحوث تندخل فى علم الصرف مقارن للغات السامية.

وبعد البحث المقارن فى بناء الجملة مجالاً ثالثاً من مجالات البحث فى علم اللغة المقارن. إن دراسة الجملة الخبرية فعلية كانت أو اسمية فى اللغات السامية يعد موضوعاً أساسياً من موضوعات البحث. وكل القضايا المتعلقة ببناء الجملة فى اللغات السامية تدخل أيضاً فى هذا الإطار. من هذه الموضوعات : الاستفهام فى سغات السامية. لاستشاء فى اللغات السامية، المطابقة بين الفعل والفاعل فى اللغات السامية، المطابقة بين العدد والمعدود فى اللغات السامية.

ويتناول علم الدلالة المقارن فى اللغات السامية كل ما يتعلق بتأريخ الكلمات وتأصيلها. فهناك عدد من الكلمات السامية المشتركة نجدها فى كل اللغات السامية تارة بالمعنى نفسه وأخرى بمعنى مقارب، وبحث هذه الكلمات مما يدخل فى علم الدلالة المقارن. وهناك كلمات كثيرة فى اللغات السامية تكونت من مواد مشتركة. وبحث هذه الكلمات الجديدة، والتعير الدلالى الذى طرأ عليها مما يدخل كذلك فى علم الدلالة المقارن. وأهم جانب تطبقي لعلم الدلالة المقارن هو تأصيل المواد اللغوية فى المعاجم، وتأصيل المواد المعجمية العربية يكون بردها إلى أصولها السامية إن وجدت، ويعد من الإضافات المهمة التى نجدها - مثلاً - فى المعجم الكبير الذى يصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهذه التأصيلات تقوم على علم الدلالة المقارن للغات السامية.

٢- علم اللغة الوصفى :

يتناول علم اللغة الوصفى بالدراسة العلمية لغة واحدة أو لهجة واحدة فى زمن بعينه ومكان بعينه. ومعنى هذا أن علم اللغة الوصفى يبحث المستوى اللغوى الواحد. لقد حل علماء اللغة فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين يبحثون اللغات بالمهيج المقارن، وكان البحث المقارن هو الشكل الوحيد المتصور لبحث اللغوى. ولكن اساحت السويسرى دى موسير أثبت بدراسته فى نظرية اللغة إمكان بحث اللغة لوحدة باعتبار علم نيتها الصوتية والصرفية والنحوية والدالية. وهذا البحث يرتبط

عنده بمستوى لغوى بعينه فى زمن واحد، ومعنى هذا أن البحث الوصفى لا يجوز به أن يخطط لمرحلة الزمنية أو أن يخلط المستويات المختلفة. لقد بدأ الباحثون بعد دى سوسير فى تطوير مناهج البحث فى البنية اللغوية، وزاد اهتمام الباحثين بالمنهج الوصفى فى السبعين عاماً الماضية، وتكونت فى هذا الإطار عدة مدارس تختلف فى تقنيات الوصف اللغوى، ولكنها تنطلق من الأسس التى تكونت عند دى سوسير، وعند من جاءوا بعده. لقد أصبح علم اللغة الوصفى سائداً عند أكثر المشتغين ببحث النُّعَة فى العالم، حتى إن البعض يتحدث عن علم اللغة الحديث ويعنى علم اللغة الوصفى، وكأنه هو المنهج الحديث الوحيد فى علم اللغة.

إن كل البحوث التى تتناول مستوى واحداً من مستويات اللغة بالدراسة الشاملة أو الجزئية لأحد جوانبه تعد من موضوعات علم اللغة الوصفى. فدراسة البنية الصوتية للعربية المعاصرة، ودراسة المقاطع فى لهجة عمان، تعد من الدراسات الصوتية الوصفية. أما علم الصرف الوصفى فيبحث موضوعات مثل: أبنية الأفعال فى لهجة القاهرة، أبنية الأسماء فى العربية الفصحى المعاصرة، المشتقات فى القرآن الكريم، المصدر فى الشعر الجاهلى. وهذه أمثلة لدراسات تتناول بناء الكلمة فى مستوى لغوى بعينه من مستويات اللغة. وتدخل قضايا تحليل بناء الجملة أيضاً فى علم اللغة الوصفى، ومن أمثلة بناء الجملة بالمنهج الوصفى: الجملة العربية فى الشعر الجاهلى، الجملة الخبرية فى القرآن الكريم، الجملة الطلبية فى الأصمعيات، الجملة الشرطية عند إهذيب، جملة الاستفهام فى الشر العربى الحديث. وفى الجانب المعجمى - أيضاً - مجالات كبيرة لططبيق المنهج الوصفى. وهناك معاجم أعدت لمستوى لغوى بعينه مثل: معجم ألقاط القرآن الكريم. وأعدت فى إطار خطة الرسائل الجامعية فى كلية الآداب جامعة القاهرة عدة معاجم يختص كل منها بشاعر بعينه أو بكاثر بعينه من كتاب العربية، وهى جهود تهدف إلى تسجيل الواقع المعجمى فى هذه النصوص. وهكذا فإن مجالات البحث الوصفى كثيرة، وأية دراسة صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية لأحد مستويات العربية قديماً أو حديث تعد دراسة وصفية.

٣- علم اللغة التاريخي :

يسمى علم اللغة التاريخي تطور اللغة الواحدة عبر القرون، أو بمعنى أدق التعبير في اللغة الواحدة على مدى الزمن. وهناك باحثون يرفضون كلمة التطور في هذا الإطار باعتبارها تحمل دلالة الارتقاء، أي التغير إلى أفضل، وهذا حكم تقويمي، وهو غير ممكن في مجال التغير اللغوي، فليست هناك صيغة أفضل من صيغة، وليس هناك صوت أفضل من صوت. ولذا يفضل أكثر الباحثين المعاصرين وصف ما يحدث بأنه تغير. وثمة فرق بين أن يقال بأن اللهجات نتيجة تغير لغوي أو أنها نتيجة تطور لغوي.

قد كانت البحوث اللغوية المقارنة ذات سمة تاريخية، ولكننا كانت تحاول أن ترتب المستويات اللغوية واللغات المختلفة المنتمية إلى أسرة واحدة ترتيباً يهتم في المقام الأول بالصيغ والمستويات المفرقة في القدم، والتي يمكن أن يتعرف منها الباحث الصيغة الأصلية أو الشكل الأقدم الذي خرجت عنه باقي الصيغ، ولهذا فقد وصف هذا العمل بأنه تاريخي مقارن. وقد ظل بعض الباحثين يتصور أن علم اللغة التاريخي يمكن أن يقتفى بالمرحلة المبكرة في تاريخ كل لغة من اللغات، أي أقدم المراحل المتاحة وأقربها من اللغة الأقدم. ولكن الوضع المنهجي في علم اللغة يتيح وجود دراسات وصفية للمستويات اللغوية المختلفة عبر القرون، ويتيح أيضاً أن تتكامل هذه الدراسات الوصفية الكثيرة لتمهد الطريق أمام البحث التاريخي اللغوي بالمعنى الدقيق للكلمة، أي البحث في تاريخ اللغة من أقدم نصوصها المدونة إلى وقتنا هذا.

وهناك قضايا كثيرة في مجالات الأصوات وبناء الكلمة والجملة والدلالة تدحل في إطار علم اللغة التاريخي. فدراسة التغير الصوتي في العربية تعد دراسة صوتية تاريخية، ودراسة صيغ الجموع في العربية تتبع توزيعها ونسبة شيوعها في المستويات اللغوية المختلفة عبر القرون موضوع من موضوعات علم الصرف التاريخي، ودراسة جملة الاستفهام في العربية عبر القرون تعد دراسة نحوية تاريخية، وكذلك الجملة الشرطية في العربية وجملة الاستثناء في العربية. وتعد دراسة التغير الدلالي وما يرتبط

بها من إعداد المعاجم التاريخية من أهم مجالات علم اللغة التاريخي. والمعجم التاريخي هو ذلك المعجم الذي يعطى تاريخ كل كلمة من كلمات اللغة الواحدة ويؤرخ لها ابتداء من أقدم نص وردت به إلى آخر نص، يتبع دلالتها وتغيرها. ويعد معجم أكسفورد التاريخي للغة الانجليزية من أهم المعاجم التاريخية للغة من اللغات. وتهدف الدراسات المعجمية الوصفية التي تعد للعربية إلى أن تكون لبنات في تكوين معجم تاريخي للغة العربية.

هناك مجالات كثيرة للبحث اللغوي التاريخي، فالتاريخ اللغوي بأبعاده الكمية من شأنه أن يعطي صورة واضحة لتاريخ الحياة اللغوية. ولا يقتصر هذا البحث على تغير البنية اللغوية من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، بل يتناول بالضرورة مستويات الاستخدام اللغوي في البيئات المختلفة وتغير ذلك عبر الزمن، كما يتناول الانتشار اللغوي ودخول اللغة إلى مناطق جديدة ويبحث أيضاً الانحسار اللغوي عن مناطق محددة. فالعربية مثلاً كان لها على مدى عدة قرون وجود في الأندلس وفي إيران، وكانت لغة ثقافة في شبه القارة الهندية، ودراسة موجات التعريب من جانب ثم انحسار مجالات استخدام العربية في بعض هذه المناطق يعد من الدراسات اللغوية التاريخية. وعلى ذلك فالتاريخ اللغوي يتناول دراسة التغير في البنية اللغوية وبحث التغير في مستويات الاستخدام.

٤- علم اللغة التقابلي :

علم اللغة التقابلي أحدث فروع علم اللغة، نشأ بعد الحرب العالمية الثانية. يقوم علم اللغة التقابلي على فكرة بسيطة لا شك أن الكثيرين ممن تعلموا لغات أجنبية أو عموها قد أدركوها. فالصعوبات التي تواجه متعلم لغة جديدة ترتبط في المقام الأول بالاختلافات بين هذه اللغة الأجنبية واللغة الأم. ويطلق مصطلح "اللغة الأم" أو "اللغة الأولى" على اللغة التي نشأ عليها الفرد أي اللغة التي اكتسبها في طفولته، في بيئته وفي علاقاته الأسرية والاجتماعية المحلية. وعلى عكس هذا فإن مصطلح اللغة اثنائية يعبر

عن اللغة التي يكتسبها الإنسان بعد ذلك، ويدخل في هذا بالضرورة كل اللغات الأحيية التي يكتسبها الإنسان في المراحل التعليمية المختلفة، أو في أثناء النعالم المماشر مع أباء تلك اللغات، ولذلك يطلق على اللغات الأجنبية في أكثر البحوث الخاصة بتعليم اللغات - مصطلح اللغة الثانية. وفي المجال التعليمي يطلق مصطلح اللغة المنشودة على اللغة التي يراد تعلمها، وذلك على عكس اللغة المصدر وهي اللغة الأم أو اللغة الأولى.

وبقدر الاختلاف بين اللغة الأولى واللغة المنشودة تكمن الصعوبات، فالأصوات التي توجد في اللغة المنشودة ولا توجد في اللغة الأولى تشكل بالضرورة صعوبات ينبغي العمل على تذليلها. وموضوع علم اللغة التقابلي هو المقابلة بين نظامين لغويين مختلفين، هما بالتحديد النظام اللغوي للغة الأولى والنظام اللغوي للغة المنشودة. وقد تجنبنا هنا استخدام كلمة المقارنة لئلا يختلط علم اللغة التقابلي وعلم اللغة المقارن، فعلم اللغة المقارن يقارن اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة ويهتم في المقام الأول بالاستخدام الأقدم للوصول إلى اللغة التي خرجت عنها كل هذه اللغات، ولذا فعلم اللغة المقارن ذو هدف تاريخي يحاول كشف جوانب من الماضي البعيد. أما علم اللغة التقابلي فلا شأن له بهذه الاهتمامات التاريخية، ودراساته ذات هدف تطبيقي في تعليم اللغات. ولذلك فالدراسة التقابلية ممكنة بين لغتين من أسرة واحدة أو من أسرتين مختلفتين، ليس بهدف تعرف الأصل القديم ولكن بهدف تعرف الفروق الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية بين النظامين اللغويين، فيمكن مثلاً أن تتم الدراسة التقابلية بين العربية والنجرنية - لغة إريثريا - وكلتاها من اللغات السامية، ومن الممكن أيضاً عمل دراسة تقابلية بين العربية والأردية، وهما من أسرتين لغويتين مختلفتين.

ولا يقتصر البحث اللغوي التقابلي على دراسة الفروق بين لغتين اثنتين فيمكن أيضاً أن يكون بين لهجة محلية واللغة الفصيحة المنشودة، فالصعوبات الموضوعية التي تواجه أساء تلك اللهجة في محاولاتهم تعلم اللغة الفصيحة تنجم في المقام الأول عن الفروق بين هذه اللهجة وتلك اللغة. فالصعوبات التي يواجهها أبناء مصر في تعلم

لأصوات بين الإنسانية وهي الثاء والذال والظاء في الفصحى والصعوبات التي يواجهها أناء العراق والحزيرة العربية في التمييز بين الضاد والظاء والصعوبات التي يواجهها عدد من المنسطين في التمييز بين القاف والكاف إنما ترجع إلى الصروق بين السهجة المحمية واللغة المنشودة. ولا يقتصر البحث اللغوي التقابلي على مجال الأصوات، بل يتناول أيضاً بناء الكلمة وبناء الجملة والدلالة. الأبنية الصرفية قد تختلف بين اللغة الأم واللغة المنشودة، والتراكيب قد تختلف بينهما والكلمات قد تختلف دلالتها بين المستويين ويمكن تعرف ذلك كله بالدراسة التقابلية، فيكون تدليل هذه صعوبات بمراعاتها في برامج تعليم اللغات. فإذا كانت اللغة الأولى تفتقد بعض الأصوات التي توجد في اللغة الثانية وجبت العناية بالتدريب النطقى على هذه الأصوات. وإذا كانت بعض الكلمات تستخدم في اللهجة المحلية بدلالات تخالف اللغة المنشودة كان من الضرورة الاهتمام بالتدريبات التي توضح المعنى المصيح المنشود. وهكذا يمكن أن تقدم الدراسات التقابلية أساساً لغوياً موضوعياً لتدليل الصعوبات في تعليم اللغات.

ثالثاً : علم اللغة العام :

يرجع مصطلح علم اللغة العام إلى المحاضرات التي ألقاها اللغوي السويسري دي سوسير. لقد حاول دي سوسير أن يتناول طبيعة اللغة ووظيفتها. تناول علم اللغة الوصفى، ثم علم اللغة التاريخى ثم علم اللغة الحرفى، ثم بعض القضايا التي تربط اللغة بالعلوم الإنسانية. وتنبعت مؤلفات كثيرة بعد ذلك تناولت نظرية اللغة ومناهج التحليل اللغوى. وفي مقدمة هذه الكتب ما كتبه بلومفيلد Bloomfield وجليسون Gleason، وهو كيت Hockett، ومارتينييه Martinet، وياكوبسون Jakobson، وشوموسسكى Chomsky، وروينز Robins، وليونز Lyons. وهذه الكتب تصدر عن فكرة أساسية هي أن اللغة ظاهرة إنسانية عامة يشترك فيها كل البشر، وتتألف اللغة من أصوات تصدر من أعضاء النطق وهي مشتركة أيضاً بين كل البشر.

ثم تسألف هذه الأصوات فى أنساق مختلفة لتكون الكلمات، ثم تسألف
الكلمات فى عدة أنساق لتكون الجمل. وهدف علم اللغة العام أن يطور
نظرية العامة لنوعه والوسائل الدقيقة لتحليل الأصوات والكلمات والجمل
والدلالة. ويهتم علم اللغة العام أيضاً ببيان العلاقة بين علم اللغة والعلوم
الإنسانية الأخرى.

رابعاً : اللغة بين العلوم الإنسانية

تشارك العلوم الإنسانية فى اهتمامها باللغة بوصفها أهم مظاهر السلوك الإنسانى
وسيلة الاتصال المكونة للجماعة الإنسانية. وهناك أفكار كثيرة عن اللغة نجدها عند
المفكرين اليونان والعرب واليهود، وكذلك عند علماء الاجتماع من ابن خلدون ودور
كايم إلى المدارس الاجتماعية المعاصرة، وكذلك عند علماء النفس. ولكن التوجه إلى
التخصص الدقيق - فى عصر حدث فيه انفجار معرفى - جعل الاستيعاب الشامل
مستحيلاً، فكان من الضروري أن تنشأ تخصصات جديدة تهتم ببحث اللغة فى
مقدمتها علم اللغة الاجتماعى وعلم اللغة النفسى.

يهتم علم اللغة الاجتماعى بقضايا العلاقة بين اللغة والمجتمع، وما أكثر القضايا
التي تدخل فى هذا الإطار : الأزواج اللغوى، مستويات الاستخدام، تعدد اللغات فى
المجتمع الواحد وغير ذلك. وهناك مجال كبير للبحوث اللغوية الاجتماعية فى دول
العالم الثالث حيث تعدد اللغات فى داخل الدولة الواحدة، مما يفرض على الباحثين
الاهتمام بالمشكلات اللغوية الاجتماعية فى محاولة لفهمها وإيجاد الحلول المناسبة
لها فى إطار الجهود الهادفة إلى إقامة الدولة الحديثة.

أما علم اللغة النفسى فيتناول بصفة عامة القضايا التى تتناول العلاقة بين اللغة
والقدرات عند الإنسان. ويدخل فى هذا : التمكن اللغوى، واكتساب اللغة، واللغة
والمعرفة، واللغة والفكر، وغير ذلك. وكل العمليات العقلية عند المتحدث قبل صدور
العبارة وعد المتلقى عقب صدور اللغة يدخل بحثها فى إطار علم اللغة النفسى.

وفوق هذا كله فإن تكامل المعرفة الإنسانية ضرورة للنمو العمى. وعلم اللغة مرتبط بعلم التشريح والفسولوجيا من حيث تعرف أعضاء اللق وأعضاء سمع وقيامها بوظائفها. وعلم اللغة يفيد أيضاً من علم فيزياء الصوت ووسائل التحليل الصوتى المختلفة وفى مقدمتها الأجهزة الدقيقة التى طورها علماء فيزياء الصوت. وعلم اللغة يفيد أيضاً من الحاسبات الالكترونية فى الحصول على المعلومات الإحصائية اللغوية وفى مقدمتها إحصاءات المفردات. ويشترك علم اللغة مع بعض العلوم الطبية فيما يتعلق بعلم أمراض الكلام. وهكذا أدى تنوع المعرفة الإنسانية وانفجار المعرفة إلى زيادة حجم المعلومات المتاحة من جانب وإلى ضرورة التعاون بين التعاون بين اللغويين وغيرهم من الجانب الآخر، فنشأت تخصصات جديدة.

الفصل الثالث

الأصوات

أولاً : الأصوات والكتابة :

هناك حلط غير يسير يقع فيه كثيرون لا يميزون الأصوات والكتابة، أو بمعنى آخر بين اللمعة في صورتها المسموعة وبين اللغة وقد كتبت بحروف. ويعتقد كثيرون أن الكتابة بصفة عامة صورة صادقة للغة المنطوقة، وفي هذا نظر. المتفق عليه أن اللغة ظاهرة صوتية، ومعنى هذا أن الأصل في اللغة أنها نظام من الرموز الصوتية المنطوقة التي يتعامل بها الإنسان. وقد تعامل الإنسان باللغة آلاف للسنين قبل أن يكتبها. وبعد مرحلة طويلة بدأت المحاولة الأولى لتدوين هذه اللغة المنطوقة المسموعة لتصبح شيئاً مقروءاً. وهناك لغات كثيرة لا يكتبها أبناؤها إلى يومنا هذا، فاللغة المهرية لا يكتبها أبناؤها وكذلك النوبية ومئات اللغات الأفريقية فضلاً عن لغات السكان الأصليين في أمريكا وأستراليا. فاللغة تقوم أساساً على الصوت، وأما الكتابة فهي ظاهرة حضارية لها أهميتها. ولكن ينبغي ألا تختلط بظاهرة أخرى وهي اللغة.

الكتابة في أفضل صورها محاولة للتعبير عن اللغة المنطوقة، ولكن الكتابة العربية بتقاليدها المعروفة والكتابة المستخدمة في تدوين اللغات الأوروبية على النحو المعروف لنا، وكذلك كل الكتابات المتداولة في العالم قديماً وحديثاً هي مجرد محاولات تقريبية لتسجيل الواقع الصوتي لهذه اللغات. فانقارى العادى لا يقرأ الكلمات المكتوبة حرفاً حرفاً، ولكنه ينظر إلى رموز المكتوب فيذكر الكلمة فينتقلق لسانه بها، ولو كان القارئ العربى مثلاً يقرأ الكلمة المدونة حرفاً حرفاً لما استطاع أحد قراءة كلمة عربية غير مصوطة بالحركات، بل لما استطاع الأقدمون قراءة كلمة مدونة بحروف دون نقط، وفى كل هذه الحالات يكفى الرمز المكتوب لأن يذكر القارئ

الصورة الصوتية للكلمة المدونة، ويبلغ الاختلاف بين اللغة المطبوعة ومحاولة تنويعها بالكتابة في بعض اللغات الأوروبية المعاصرة مدى بعيداً، ففي الكلمات الانجليزية التالية نجد ثلاثة أصوات مختلفة والحرف واحد، والكلمات هي: Str, in, I فالأصوات مختلفة والحرف واحد. وعلى العكس من هذا نجد لصوت الواحد يدون بأكثر من رمز، ففي تدوين اللغة الانجليزية نجد في الكلمات for, Photo صوتاً معيناً تبدأ به كلتا الكلمتين، ومع هذا فتدوين هذا الصوت يختلف في كلتا الكلمتين، ويرجع هذا الاختلاف إلى تاريخ كتابة الكلمتين. فكلمة for في الانجليزية كلمة أصيلة موروثية، ولكن كلمة Photo دخلت الانجليزية من اللغة اليونانية، فالكتابة في حالات كثيرة لا تمثل النطق تمثيلاً مباشراً، ولكنها تعكس جوانب من تاريخ الكلمة. والمقصود هنا بالتمثيل المباشر أن يكون لكل صوت من أصوات اللغة رمز واحد يكتب به، وألا يعبر هذا الرمز الواحد إلا عن ذلك الصوت المنطوق. ولكن كل الكتابات المستخدمة في تدوين اللغات الحديثة تختلف من هذا الجانب اختلافاً بعيداً في بعض الأحوال ومحدوداً في أحوال أخرى. ويخفف من هذا الحقيقة كون القارئ لا يقرأ الحروف المكتوبة حرفاً حرفاً، إلا إن كان طفلاً يتعلم القراءة.

إذا نظرنا في الخط العربي كما نكتبه اليوم محاولين معرفة مدى اختلاف الواقع المنطوق وجدنا عدداً كبيراً من الأمثلة. فالخط العربي يقوم أساساً على كتابة الكلمة مفردة، ومعنى هذا أننا عندما نكتب كلمة "ابن" نكتب الألف كما لو كانت هذه الكلمة مستقلة قائمة برأسها في النطق، ويصدق هذا إن كانت هذه الكلمة في أول الكلام، أما إذا سقت بحركة فلا مبرر لهذه الألف من الناحية الصوتية. ولبعد القارئ بسمعه إلى نطقاً لهذه الكلمة مسبقة بحرف الفاء "فابن". وهنا نلاحظ أننا صفاً بانفاء ثم بفتحة ثم بالياء .. الخ. ومعنى هذا أن ما بين الفاء وباء الكلمة ليس ألفاً بحالة من الأحوال، إن هي إلا فتحة فقط. وهنا نذكر إدراك النحاة العرب في القرن الثامن

يهجرى يهده صهرة، فقد أطلقوا على الألف التي لا تظهر في سياق الكلام مصصح 'ألف الوصل' تمسرا لها عن همزة القطع، وهي الهمزة المنطوقة النابتة التي لا تختفى وتصل دائما في الكلمة العربية طالما كان الإنسان ينطق بالعربية الفصحى. وهناك فرق بين نطقنا لعبرة (قل أحمد)، وعبرة (قال أخرج) ففي العبارة الأولى ملاحظ أننا نطقا بكلمة (قال) التي تنتهي بحركة قصيرة هي الفتحة، ثم جئنا بعد ذلك بكلمة (أحمد) ونطقا بالهمزة باعتبارها أول أصوات الكلمة. وعلى العكس من هذا قولنا (قال أخرج) فننطق انصاح لهذه العبارة يجعلنا ننطق بعد اللام والفتحة التالية لها صوت نداء مباشرة، أي دون أن نطق بالألف، وهذا معناه أن هذه الألف بدورها ألف وصل، أي لا تنطق في السياق. ورب معترض يقول هنا بأن الخط العربي التقليدي يفرق بين همزة لقطع وألف ووصل، يجعل علامة الهمزة تستقر فوق الألف للدلالة على همزة القطع ويجعل علامة الوصل، فوق الألف للدلالة على الوصل. وهذا صحيح ويصدق على واقع الخط العربي منذ قرون، فهذه العلامات الإضافية زيدت في مرحلة تالية في تاريخ الخط العربي في محاولة لإبراز فروق الطق. ومع هذا فوجود الألف في كلمة (ابن) يرجع إلى أن هذه الكلمة اتخذت شكلها المكتوب كما لو كانت مستقلة.

ولنلق نظرة تالية إلى ما يسمى بأداة التعريف العربية "أل" لنلاحظ أن اللام تظهر في إنطق أحيانا، وتختفي مدغمة في أحيان أخرى. فنحن نقول : الجامعة، لأعلام، الكتاب، فننطق لام التعريف واضحة. ونقول : الشمس، فلا نطق إلا بشين مشددة. وفي كت الحاشين تكتب اللام ولكن نطق هذه اللام أو إدغامها يخضع لضوابط، فقد بحث لغويون عرب هذه الظاهرة وعرفوا لها اسم الإدغام، تعبرا عن كون الصوت الناتج مشدد. وهو ما الشين المشددة، كما نقول: الرجل والسيارة بإدغام يظهر في تشديد ثراء وتشديد للسين. ولكي لا نمضي طويلا متوسلين بمصطلحات الخط ويس بمصطلحات لأصوات، نشير إلى أن مصطلح التشديد أو التضعيف يعبر عن ناحية الكتابة عن علامته التي توضع فوق الحرف لتفيد تكراره، أما من ناحية الطق --

وهو الأساس - فيعنى مصطلح التشديد أو التضعيف أن الصوت المعى يستغرق نحو ضعف الزمن الذى يستغرقه الصوت دون تشديد، وكأن الصوت المشدد يعبر عن صوتين متاليين.

ولكى نوضح ما بين الخط العربى والتطق العربى من جوانب اختلاف واتفاق بذكر شيئا آخر. فحين نكتب بعد واو الجماعة فى الفعل الماضى ألفا، مثل خرجوا، ذهبوا. وليس لهذه الألف أى مبرر صوتى، وقد دونت لعوامل لا تتعلق بإسطق. وعلى العكس من هذا نجد فى أمثلة كثيرة اختلافا بين الططق والكتابة عى نحو مغاير. ويكفى أن ننظر فى صفحة واحدة من الصحف، فيها عشرات الكلمات المكتوبة دون تدوين حروف دالة على الفتحة الطويلة أى دون تدوين مد الألف. ولرسم المصحف أهمية كبرى فى دراسة تاريخ الخط العربى، هو أكبر وثيقة تتضح منها خصائص الخط العربى فى صدر الإسلام. وفيه نجد الكلمات (الرحمن، طه، إسماعيل، اسحق، هرون، سليمان) مكتوبة دون حروف مد. وتعكس طريقة كتابة هذه الأسماء النهج العربى القديم فى تدوين الصوامت فقط وعدم تدوين الحركات الطويلة والقصيرة.

لكن كتابة هذه الأسماء على هذا النحو لا تعكس كيفية نطقها، فهذه الأسماء لم تكن تنطق آنذاك إلا كما وصلت إلينا فى القراءات القرآنية، أى أن هذه الأسماء كانت تنطق كما نطقها اليوم. ونحن نكتب بعض هذه الأسماء اليوم فى العربية الفصحى الحديثة كتابة أقرب إلى النطق من الخط الذى عرفه العرب وقت كتابة المصحف العثمانى، مثل اسم العلم اسحق يكتب اليوم اسحاق، غير أن عددا منها لا يزال يحتفظ برسمه القديم.

وإذا كانت ثمة أقاصيص بأن زيذا ضرب عمراً لأن عمرا سرق واو داود، فالعلم الحديث لا يتعامل بمثل هذه الحكايات. اسم العلم داود كتب فى العربية بواو واحدة. لأنه كتب فى كل اللغات السامية التى عرفتها منطقة الشام بواو واحدة. وعندما تعلم العرب الخط من الآراميين أخذوا كتابة بعض الكلمات عنهم أيضاً وكتبوا الكلمة بتلك

الحروف، ولم يطابقوها مع النطق العربي. كان الكتعمانيون والآراميون قد كتبوا هذا الاسم بواو واحدة وفعل العرب الشئ نفسه، فكتابة هذه الاسم على هذا النحو إرب تاريخي. أما عمرو فلم يكتب اسمه بواو لعلاقته الحسنة أو السيئة مع أحد، بل للتمييز بينه وبين عمر، ولذا يكتب اسم عمرو هكذا بالواو في حالتي الرفع والجر أما في حالة النصب فيكتب "عمرًا"، لأن وجود الألف معناه أنه معرب متون على عكس عُمر. فهو ممنوع من الصرف، ولذا تكون صيغته في حالة النصب: عُمر. وهكذا نلاحظ للكتابة ضوابطها في التمييز بين الكلمات، وهي ضوابط لا تطابق الواقع الصوتي في حالات كثيرة، ولذا لا نعتمد في الدراسة الصوتية على الكلمة برسمها المكتوب، بل نبحثها في ضوء مكوناتها الصوتية الحقيقية.

ثانياً : أعضاء النطق وعملية الكلام :

يعتمد تصنيف الأصوات اللغوية من الناحية الفسيولوجية أو النطقية على المعرفة الدقيقة بأعضاء النطق وعلى الفهم العلمي لعملية الكلام. ولذا يفيد البحث الصوتي من علم التشريح في التعريف بأعضاء النطق ومن علم الفسيولوجيا في معرفة وظائف هذه الأعضاء وكيفية قيامها بهذه الوظائف. لقد اصطلح الباحثون في علم اللغة على تسمية الأعضاء التي تشترك في عملية النطق باسم أعضاء الطبق أو أعضاء الكلام أو الجهاز الصوتي، وهذه الأعضاء تقوم بأداء هذه الوظيفة عند الإنسان فقط، ولها وظائفها الأساسية الأولى التي نجدها عند الإنسان وعند الكائنات الحيوانية الأخرى. إن الوظيفة الفسيولوجية للسان هي التدقيق، كما أن هواء الزفير المكون للأصوات اللغوية يخرج من الرئتين في إطار عملية التنفس. وهي عملية فسيولوجية أساسية، أُضيفت إليها عند الإنسان وظيفة ثانوية هي تكوين الأصوات اللغوية.

يتكون الصوت اللغوي على نحو يشبه حدوث الأصوات في آلات النفخ مثل الناي والمزمار. ووجه الشبه بين حدوث الصوت اللغوي من جانب وصوت آلات النفخ من الجانب الآخر أن كليهما يصدر بأن يتحرك عمود من الهواء في اتجاه محدد

حلال ممر مغلق فتحدث له في طريقه درجات مختلفة من الإيقاف أو لاعتراض في مواضع مختلفة فيتنوع الصوت تبعاً لذلك. ولذا يتكون الصوت للغوى في صل ثلاثة شروط.

١- وجود عمود هواء متحرك.

٢- وجود ممر مغلق.

٣- إيقاف أو اعتراض مؤقت لحركة عمود الهواء.

وفي سطق الأصوات اللغوية، فإن عمود الهواء هو ذلك الهواء الذي تصدره ارتداد في عملية الزفير. وكل الأصوات العربية وأصوات اللغة المعروفة تنطق عن طريق هواء الزفير. يمضي عمود الهواء خلال فراغ أو ممر مغلق، يتكون هذا الممر من الحلق ثم التحوييف لحلقى ثم الفم أو الأنف. وتنوع الأصوات اللغوية لأن عمود الهواء لا يخرج دون أن يعترض سيره في نقاط محددة مختلفة في حين يتغير شكل الممر المغلق وفقاً لنظام محدد، وبذلك يصدر كل صوت لغوى وفق أوضاع معينة تتخذها أعضاء النطق.

وهناك عدد من أعضاء النطق تستطيع بحكم تكوينها أن تتحرك، فاللسان من أعضاء النطق المتحركة لأنه يتحرك إلى أعلى وإلى أسفل ويتحرك كذلك إلى الأمام أو إلى الخلف، وحركيته جزء أساسي في تكوين الأصوات اللغوية. وعلى العكس من هذا فهناك أعضاء نطق ثابتة منها الأسنان العليا. ويوصف الصوت للغوى وفق عدة معايير تقوم أساساً على بيان عضو النطق المتحرك الذي يشترك في تكوين الصوت وكذلك في تحديد النقطة التي يتحرك في اتجاهها عضو النقط المتحرك.

تتكون الأصوات عند المتحدث في منطقة معينة توجد فيها أعضاء النطق. وترتبط عملية النطق بعمليات فسيولوجية أخرى. الصوت يتكون من هواء لزفير، ولابد أن يوجد تيار الهواء خارجاً من الرئتين عبر القصبة الهوائية لكي يتم النطق. وعدم يمضي تيار الهواء يعبر الوترين الصوتيين. وينتج عن وجود هذا التوتر أو عدم وجوده

تميز بين الأصوات اللغوية. وتختلف الأصوات باختلاف الموقع الذى يتخذه السار فى الفم. وتحتف أيضاً باختلاف وضع الشفتين، وفى نطق بعض الأصوات تكون الشفتان فى وضع اسدارة مثل نطق الصمة، وفى نطق أصوات أخرى تكون الشفتان مبسطتين مثل نطق الكسرة.

وعملية النطق عملية مركبة بمعنى أن الصوت لا يتكون إلا بعدة عمليات متكاملة، فلا تكفى اسدارة الشفتين لنطق الصوت، ومجرد وضع اللسان فى أى موضع من الفم لا يكفى لنطق أى صوت. ولذا فهناك مقومات أساسية لنطق الأصوات للغوية، وإذا كانت عملية الزفير تمد عملية النطق بتيار الهواء فإن الأعضاء النطقية من الحنجرة إلى الشفتين والأنف تكوّن هذا الممر الضيق، أما الأعضاء النطقية المتحركة وأهمها اللسان ثم الهبة ثم الوتران الصوتيان فتقوم باعتراض تيار الهواء الخارج بكيفيات مختلفة فتتميز الأصوات اللغوية، فلكل صوت خصائصه النطقية التى تفهم بدراسة الجهاز الصوتى وفسيولوجية الكلام.

وعندما يصدر الصوت اللغوى يمضى فى الهواء فيحدث ذبذبات وتكون به عدة خصائص فيزيائية. وهنا مجال لدراسة ذلك الصوت اللغوى بأجهزة القياس الصوتى التى يتعامل بها المختصون فى فيزياء الصوت. وما أن يصل الصوت اللغوى إلى أذن المتلقى حتى تستقاه الأذنان. وهنا أيضاً مجال لدراسة الصوت من حيث وقعه على أعضاء السمع. فلكل صوت خصائصه النطقية وخصائصه الفيزيائية وخصائصه السمعية. ولذا يميز الباحثون ثلاثة مداخل لدراسة الصوت اللغوى :

(أ) علم الأصوات النطقية.

(ب) علم الأصوات الفيزيائى.

(ج) علم الأصوات السمعية.

وفيد البحث الصوتى من نتائج علوم التشريح والفسيولوجيا فى علم الأصوات النطقية وعلم الأصوات السمعية، كما يفيد من علم فيزياء الصوت فى علم الأصوات الفيزيائى.

ثالثاً : التحليل الفونولوجي

يتناول التحليل الفونولوجي أصوات اللغة باعتبارها عناصر رمزية تتكون منها اللغة. فلا يهتم علم الفونولوجي بالخصائص النطقية والفيزيائية والسمعية للأصوات باعتبارها هدفاً في ذاتها، بل يهتم بها اعتبارها مجرد وسيلة لتحديد الصوت المعنى في إطار اللغة الواحدة. يتضح الفرق بين البحث الصوتي والبحث الفونولوجي من الفرق بين ما تسجله أجهزة القياس وما يؤثر في المعنى. فالكاف في العربية لا تنطق انطق نفسه في كل سياق صوتي، فالكاف التي بعدها كسرة في كلمة "كتاب" يختلف مخرجها عن الكاف المضمومة في كلمة "كُل". ولكن هذا الاختلاف ليس بذي دلالة في تغير المعنى، وكذلك اللام العربية فإنها تنطق تارة بالترقيق في 'بالله' وأخرى بالتفخيم في "والله".

إن البحث الصوتي بوسائله المعملية التجريبية يكشف في اللغة العربية عن عدد كبير جداً من الأصوات، فالكاف التي بعدها كسرة صوت يختلف عن الكاف التي بعدها ضمة، واللام المرققة صوت يختلف عن اللام المفخمة وهناك باء مفخمة وباء مرققة، وهناك واو مفخمة وواو مرققة. وإذا كان ثمة خلاف بين المتحدث الواحد على نحو ما ذكرنا فإن الاختلاف يزيد بتعدد الأشخاص فلا ينطق كل إنسان مثل الآخر، فكل فرد له خصوصيته في النطق. ولذا يصعب الاعتماد على الأجهزة لتحديد الأصوات المكونة للغة من اللغات. ويزيد الأمر تعقيداً أن الانتقال من نطق صوت لآخر ليس انتقالاً مباشراً أو واضح الحدود، بل يحدث تنابع الأصوات المنطوقة في سلسلة، بين كل عنصر من عناصرها مرحلة انتقال. فأعضاء النطق في الكلام العادي لاتنطق كل صوت مستقلاً، بل يتأثر نطق الصوت الواحد بالأصوات السابقة عليه والتالية له. وتستطيع الدراسة الصوتية المعملية التمييز بين الخصائص الفيزيائية لكل صوت ينطق، ولهذا يكون عدد الأصوات من هذا الجانب بلا حدود.

ولكن اللمعة باعتبارها مجموعة من الرموز المحددة الحاملة للمعاني لا يمكن أن تتكون من عدد غير محدود من الأصوات، فكل نظام من الرموز لابد أن تكون عناصره الحاسمة محددة، حتى يكون فعالاً عند مستخدمى هذا النظام.

يهدف البحث الفونولوجى إلى تحديد العناصر المكونة للنظام اللغوى فى ضوء التمييز الموضوعى بين الوحدات الصوتية والصور الصوتية المختلفة. وترجع فكرة التمييز الموضوعى بين الوحدات الصوتية وصورها الصوتية المختلفة إلى مدرسة براغ فى البحث الفونولوجى، وأهم أعلام هذه المدرسة اللغوى الروسى تروبتسكوى واللفوى البولندى الأمريكى ياكوبسون، وقد بدأت آراؤهما المنهجية تتضح بعد سنة ١٩٢٩. ويقوم التمييز بين الوحدات الصوتية والصور الصوتية فى التحليل الفونولوجى عند تروبتسكوى على أساس التقابل. فإذا ما اختلف صوتان من ناحية الخصائص النطقية أو الفيزيائية أو السمعية فإن هذا الاختلاف يمكن أن يكون مؤثراً فى تغيير الدلالة ويمكن ألا يكون كذلك. فإذا قارنا كلمتين تشتركان فى كل الأصوات عدا صوتاً واحداً، على نحو الكلمتين العربيتين (سائر، صائر) فإننا نلاحظ أن معنى الأولى يخالف معنى الثانية، والعنصر الرمضى الصوتى الذى جعل دلالة الكلمة الأولى تختلف عن الثانية هو وجود صوت السين فى إحداهما والصاد فى الأخرى. ومعنى هذا أن إحلال أحدهما محل الآخر يعنى تغيير المعنى، ومن ثم نقول بأن السين وحدة صوتية والصاد وحدة صوتية أخرى. وقد استخدمنا هنا مصطلح الوحدة الصوتية فى مقابل ما يطبق عليه فى اللغات الأوربية Phonem، وهكذا حددنا عن طريق التقابل وجود السين وحدة صوتية متميزة ووجود الصاد وحدة صوتية متميزة أخرى فى العربية. هذا التمييز على أساس اختلاف الصوت واختلاف المعنى، والمعنى أمر مرتبط بالنظام اللغوى الواحد، فالكلمة لا تودى إلى معناها إلا فى لغتها. شبيه بهذا مقارنة الكلمتين (تيس، طيس)، اختلافهما فى المعنى يقوم على اختلاف الكلمتين فى الصوت الأول. ومعنى هذا أن إبدال أحدهما محل الآخر يغير المعنى، لأن ذلك يودى إلى تكون كلمة أخرى بمعنى مغاير. ولو قال أحد الناس تيس وهو يريد الطين أو العكس لحدث لبس فى

المفهم. ومن هنا نقول بأن التاء فى العربية وحدة صوتية مستقلة والطاء وحدة صوتية مستقلة أخرى. ليس معنى هذا أن نطق كل الأفراد لصوت التاء هو نفس لصق نفسه تماماً، وليس معنى هذا أن نطق كل الأفراد لصوت الطاء متفق اتفاق كاملاً، فأجهزة التقياس الصوتى تسجل درجات من الاختلاف فى نطق التاء وكذلك فى نطق الطاء. ولكن الحد الفاصل بين التاء والطاء موضوعى بمعنى أنه يقوم على معيار لا يختلف باختلاف الأفراد. والتقابل معيار موضوعى لأن أبناء الجماعة اللغوية الوحدة متفقون على استخدام كلمة (تين) بمعنى يعاير كلمة (طيسن)، واستخدام كلمة (سائر) بمعنى يفاير كلمة (صائر).

وينضج الفرق بين الوحدة الصوتية والصورة الصوتية عند العرب المعاصرين فى نطق اللام والراء والباء وغير ذلك من الأصوات. فنحن نقول : (والله) فننطق لاما مفحمة، ونقول (بالله) فتنتطق لاما مرفقة ونحس فى وضوح بالفرق النطقى بين اللام المفحمة واللام المرفقة، ولكن اللامين صورتان صوتيتان لوحدة صوتية واحدة. ولا يمكن اعتبارهما على الرغم من وضوح الفرق النطقى بينهما وحدتين صوتيتين متميزتين، وذلك لأننا لو جربنا بأنفسنا وجعلنا أحدنا ينطق اللام فى (بالله) دون ترقيق فهذا النطق غير مألوف فى العربية، ولكن المعنى يظل مفهومًا لأن إبدال صورة صوتية محل أخرى لا يغير المعنى.

يختلف تحديد الوحدات الصوتية من لغة لأخرى. وقد بينا فكرة الوحدة الصوتية بأمثلة عربية لأنها تناسب هذا الكتاب، ولو ألف لغوى شارحاً هذه الفكرة بأمثلة يابانية لكان الأمر مختلفاً. فما نسميه بالعربية لاما يكون مع ما نسميه بالعربية راء وحدة صوتية واحدة فى اللغة اليابانية، ومن ثم يجد أبناء اليابانية صعوبة فى تمييز الراء عن اللام فى اللغات التى تميز بينهما. فكل الأصوات التى يمكن تصنيفها - كما لو كانت فى العربية - إلى راء مرفقة وراء مفحمة ولام مرفقة ولام مفحمة تدخل فى اليابانية فى إطار وحدة صوتية واحدة. وإذا كانت الراء بكل صورها الصوتية تكون

وحده صوتية في العربية فإن عدداً من اللغات الأوروبية لا تميز الراء عن الغين من الناحية الفونيمية. ولذا يجد أبناء اللغة الألمانية مثلاً صعوبة في التمييز بين الراء والغين عند معيهم لنوع العربية، وبصعب هذا الأمر لو التقى الصوتان في كلمة واحدة مثل كلمة (مغرب) فسمع هذه الكلمة عند كثير منهم كما لو كانت غين مشددة. كل إنسان يسمع وفق مجموعة عاداته الصوتية المكتسبة ولكل لغة نظامها الفونيمى، وهذه الوحدات رموز كاملة في ذهن أبناء البيئة اللغوية الواحدة، ولذا فمن واجب البحث الصوتي تحديد الوحدات الصوتية وغيرها من الوحدات في اللغة الواحدة. يقوم بحث النصور الصوتية على أساس السياق الصوتي، وتحدد علاقات الوحدات الصوتية في اللغة الواحدة على أساس التقابل الدلالي الصوتي المؤدى إلى اختلاف المعنى.

رابعاً : تصنيف الأصوات اللغوية :

هناك عدة معايير لتصنيف الأصوات اللغوية، أكثرها استخداماً تلك المعايير التي تقوم على عم الأصوات النطقى، فهو أقدم فروع البحث الصوتي، ومصطلحاته في الوصف والتصنيف هي أكثر المصطلحات شيوعاً. وتصنف الأصوات اللغوية وفق المعايير الآتية :

١- الصوامت والحركات :

تقسم الأصوات اللغوية إلى صوامت وحركات، ويرجع الفرق بينهما إلى كيفية تكون الصوت في أعضاء النطق، فعند النطق يندفع هواء الزفير من الرئتين بتأثير الحجاب الحاجز على القفص الصدري ويمضى هواء الزفير محاولاً الخروج، وعند نطق بالصوامت Consonants يحدث نوع من الاعتراض يعوق خروج هواء الزفير، قد يكون هذا لاعتراض كاملاً أو جزئياً. ففي كل حالات النطق بالصوامت يحدث هذا لاعتراض، ومن الطبيعي أن يظل هذا الاعتراض لوقت قصير جداً ثم يروى. وتختلف الصوامت من ناحية القطة التي يتم فيها الاعتراض أى القطة التي تصدر فيها الصوت.

أما في حالة النطق بالحركات Vowels فلا يحدث هذا الاعتراض، بل تتحدد طبيعة الحركة عن طريق وضع الشفتين ووضع اللسان، وهما يشكلان مجرى الهواء على نحو يجعلنا نميز الحركة عن الأخرى، فالضمة العربية مثلا تنطق بأل تنحد الشفتان وضع الاستدارة، وهي بهذا تختلف عن الفتحة والكسرة ففيهما تتخذ الشفتان وضع الالبساط. وتختلف الفتحة عن الكسرة - أيضا - في وضع اللسان داخل الفم من حيث درجة ارتفاعه، فعند النطق بالفتحة يكون في أدنى مستوى له في الفم وعد النطق بالكسرة يكون في أعلى مستوى له في الفم. وهناك عدة حركات تخفف باختلاف درجة ارتفاع اللسان في الفم، وباختلاف المنطقة التي يتم فيها هذا الارتفاع داخل الفم في مقدمه أو في وسطه أو في آخره.

٢- المخارج :

وتوصف النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء والتي يصدر الصوت فيها بمصطلح "المخرج" Point of Articulation. ولذا توصف الباء بأنها صوت شفوي وتوصف الفاء بأنها صوت شفوي أسناني. ولكل صوت وفق هذا الاعتبار مخرجه الخاص به. وقد صنف الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري الأصوات العربية وفق مخارجها، ونجد هذا أيضاً عند تلميذه سيويه، ويتفق البحث الصوتي الحديث مع البحث الصوتي في التراث العربي في اعتماد المخارج أساساً من أسس التصنيف، وإن اختلف التعبير عن هذه المخارج باختلاف مدارس اللغويين، فصوت الدال - مثلاً - ينطق في العربية بالتقاء كل من طرف اللسان والأسنان العليا، ولذا يوصف عند بعض اللغويين بأنه صوت طرفي نسبة إلى طرف اللسان ويوصف عند غيرهم بأنه صوت أسناني نسبة إلى الأسنان العليا. وتختلف الأصوات التي تبدو لأول وهلة متقاربة المخارج بين لغة وأخرى، فالثاء والذال والظاء في العربية أصوات يس أسنابية مخرجها طرف اللسان بين الأسنان العليا والأسنان السفلى، وهو مخرج ليس له وجود في نطق الأصوات الإنجليزية الشبيهة، ومخرجها قريب من ذلك.

٣- طريقة النطق :

تختلف الأصوات من حيث كيفية نطقها، والمقصود بهذا المصطلح حالة مرور الهواء عند النطق بها، فهناك أصوات توصف بأنها انفجارية، وصفها سيويه بأنها شديدة، منها مثلاً الباء والكاف والقاف والطاء. ويتكون الصوت الانفجاري بحدوث حبس تام لمجرى الهواء في نقطة المخرج، وينتج عن هذا الحبس أن يضغط الهواء ثم يحدث انفراج فيندفع الهواء محدثاً ذلك الصوت الانفجاري. وهذا الاعتراض يتم عند النطق بالباء في الشفتين، ولهذا يوصف الباء بأنه صوت شقوي انفجاري، وما يحدث عند النطق بالباء في الشفتين يحدث عند النطق بالكاف بين أقصى اللسان وأقصى الحنك الأعلى (الحنك اللين)، ويحدث عند النطق بالتاء بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا (أصول الأسنان العليا).

وهناك أصوات كثيرة لا تدخل ضمن الأصوات الانفجارية، منها الأصوات الاحتكاكية التي تنطق بأن يضيق مجرى الهواء في موضع من المواضع فيحدث خروجه احتكاكاً مسموعاً، كما يحدث في نطق الفاء بين الشفة السفلى والأسنان العليا وفي نطق الثاء والذال والظاء في مخرجها بين الأسنان.

٣- الهمس والجهر :

يهتز الوتران الصوتيان اهتزازاً شديداً عند النطق ببعض الأصوات ولا يهتزان عند النطق ببعض الآخر. والوتران الصوتيان شفتان تتكون كل منهما من مجموعة من العضلات غاية في الدقة، ولذا يفضل كثير من الباحثين وصفهما باسم الشفتين الصوتيتين Vocal Lips. أما تسميتها في العربية بالأحبال الصوتية فيقوم أساساً على خطأ في الترجمة، لأن اللغة الانجليزية لا تعرف صيغة للمثنى، وتعتبر عدهما بصيغة الجمع Vocal Cords. ويوجد الوتران الصوتيان أو الشفتان الصوتيتان في الحنجرة.

عندما يمر هواء الزفير محاولا الخروج فإن الوترين الصوتيين قد يتوتران بشدة فيحدث ذلك الصوت الذى يحسه الناطق بأن يضع يديه على أذنيه وهو ينطق بصوت مثل (ر) عربية وينطق على الصوت الذى يطلق بهذا التوتر الشديد فى الوترين الصوتيين صفة المجهور. تشترك الزاى والسين فى كل الخصائص الطيفية المذكورة فى تصنيف اصوامت، فكلاهما صامت، وكلاهما من المخرج نفسه، وكلاهما ينطق بنفس درجة الاعتراض، ولكنهما يختلفان فقط من حيث الهمس والجهر. ويمكن معرفة ذلك بأن يضع الإنسان يديه على أذنيه ويحرب بنطق الزاى ثم السين، فيحس فى نطق السين باختفاء ذلك الصوت الناجم من الوترين الصوتيين، وهو ما يحس به عند اسطق بالزى.

والفرق بين التاء والذال يتعلق فقط بالهمس والجهر، فالتاء صوت مهموس والذال صوت مجهور. ولا يختلف الصوتان إلا من هذا الجانب. فكلاهما من المخرج نفسه، وكلاهما ينطق بنفس درجة الاعتراض. والفرق بين التاء والذال - أيضا - أن التاء صوت مهموس والذال صوت مجهور، وكلاهما ينطق من المخرج نفسه بدرجة الاعتراض نفسها. وهكذا تدرس الوحدات الصوتية فى اللغة العربية وسفغات لأخرى فى ثنائيات تقابل تميز المجهور عن المهموس.

٤ - الإطباق وعدم الإطباق

تميز لغات انسامية ومنها العربية بين ثنائيات من الأصوات تتفق فى مجموع خصائصها لنطقية وتختلف فى وضع اللسان فى داخل الفم من حيث درجة ارتفاع لسان. والفرق بين التاء من جانب والطاء من الجانب الآخر هو أن التاء صوت غير مصق و صء صوت مطبق. وفى حالة النطق بالطاء يرتفع طرف اللسان وقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه. وهذا هو الإطباق الذى يلاحظ فى الأصوات العربية الآتية. صء، نصاد، الصاد، الطاء. وهذه الأصوات لها مقابلات غير مطبقة، فاصء، فى نطق

لعربي لحالي صوت مطبق يقابل التاء، والضاد في نطق أبناء مصر صوت مضيق يقلل الدال، والضاد صوت مطبق مقابل السين، والظاء صوت مطبق يقابل الذال. وتتكون خصائص الصوت الواحد من مجموعة خصائصه المستخرجة بالمعايير السابقة، فكل صوت لغوي إما صامت أو حركة، وله بالضرورة مخرج، وله طريقة في السبق. وهو إما مهموس أو مجهور، وهو إما مطبق أو غير مطبق. ولذا يكون تحت الأصوات اعتماداً على كل هذه المعايير أساساً لتحديد خصائصها.

الفصل الرابع

المصطلحات الصوتية فى التراث العربى

كانت المصطلحات الأساسية فى بحث الأصوات عند الخليل وسيبويه أساس دراسة أصوات اللغة العربية عند النحاة واللغويين وعلماء القراءات. ولذا يعد المفهم الدقيق للمحتوى العلمى لهذه المصطلحات أداة ضرورية لدراسة الفصول الصوتية فى كتب النحويين واللغويين وعلماء القراءات. ويتطلب فهم هذه المصطلحات الأساسية تتبع شرحها فى عبارات الخليل وسيبويه ودراسة الأمثلة المذكورة عددها فى ضوء علم الأصوات الحديث.

أولاً: الحروف

المصطلح الأساسى الذى بدأ به سيبويه الأبواب الخاصة بالإدغام مصطلح "الحروف". ويرجع استخدام كلمة الحروف بهذا المعنى الاصطلاحي إلى الخليل بن أحمد الفراهيدى فى مقدمة كتاب العين. لقد وجد الخليل بن أحمد فى الحروف العربية منطلق تحليله للأصوات اللغوية، فالكتابة العربية بصورتها التى أتاحت للخليل بن أحمد تدوين الصوامت بصورة مطردة، وتدوين الحركات الطويلة فى أكثر الأحوال. ولكنها لا تدون الحركات القصيرة إلا على نحو اختياري وقد ظلت الكتابة العربية منطلق الاهتمام الأول ببحث الأصوات اللغوية عند الخليل وسيبويه، ومن جاء بعدهم من النحاة واللغويين العرب، وقد أدى هذا الارتباط بين الكتابة العربية والبحث الصوتى إلى أن مصطلح "لحروف" كان يدل تارة على الصوت اللغوى المنطوق وتارة على الحرف المدون المرئى. وبمعنى آخر كان مصطلح الحرف يدل على الرمز المدون وعلى نطقه دون تمييز بين الكتابة والصوت، كان التركيز على تلك الأصوات التى لها فى الخط العربى رموز تدونها، أما الحركات القصار وهى الفتحة والضمة والكسرة فكان الاهتمام بها فى البحث الصوتى العربى أقل من الاهتمام بدراسة نطق "الحروف"

يتضح الفرق بين حصر التحليل وسيبويه للحروف العربية وتحديد الوحدات الصوتية فى اللغة العربية على النحو التالى :

تتكون البنية الصوتية للغة العربية من الوحدات الآتية :

٢٨	وحدة صوتية من الصوامت (ب ، ك ، س ، ع ، الخ)
٣	وحدات صوتية من الحركات القصيرة (الفتحة والكسرة والضمة)
٣	وحدات صوتية من الحركات الطويلة: ألف المد (= فتحة طويلة)، ياء المد (= كسرة طويلة)، واو المد (= ضمة طويلة)

المجموع ٣٤ وحدة صوتية للصوامت والحركات

يتكون الخط العربى وبالتالى الحروف العربية فى تحديد التحليل وسيبويه من ٢٩ حرفا. إن سيبويه لم يدخل الحركات القصيرة فى اعتباره، لأنه كان ينظر إلى الحروف المدونة فى سياق الكتابة. والخط العربى لا يدون الحركات القصيرة فى السياق العام لكتابة. لا يضم الخط العربى العادى رموزا مستقلة للحركات الطويلة، وهذا فقد كان حساب الحروف عند سيبويه يضم الأصوات الصامتة فى المقام الأول، وأضاف إليها الألف بعد ذلك. والألف تشير فى التدوين بصفة عامة إلى الفتحة الطويلة، وتكون الألف أحيانا قاعدة مرئية لكتابة الهمزة. أما حرف الياء فيرمز - أيضا - إلى حركة صويلة ويرمز إلى صوت نصف صامت، فالياء فى كلمة (فى) تختلف عنها فى كلمة (يعب). وبالمثل فحرف الواو الذى ذكره سيبويه يرمز إلى حركة صويلة فى كلمة (سعود) وإلى نصف صامت فى كلمة (وَرَد).

ولهذا كان تمييز النحاة بين القيمتين الصوتيتين للياء بعبارة واضحة، مثل اياء ساكنة امسبوقة بكسرة، أو اياء الساكنة المسبوقة بفتحة تميزا بين اياء فى كلمة (فى)، والياء فى كلمة (يَن).

ذكر سيويه في باب الإدغام أن "أصل حروف العربية" تسعة وعشرون حرفاً. وبصم هذه الحروف رموزاً مدونة لكل الوحدات الصوتية الصامتة ورمزاً مدوناً خاصاً بالألف وهكذا ميز سيويه بين الهمزة من جانب والألف من الجانب وهذا تمييز دقيق، وذلك لأن الهمزة صوت سمته الأساسية وقف حنجري أما ألف المد، فتدل على حركة طويلة.

ثانياً : المخارج والأحياز

ينبع أقدم تصنيف للأصوات اللغوية عند اللغويين العرب من بحث قضية المخارج. والمقصود بمصطلح المخرج في الدراسة الصوتية تلك النقطة يحدث فيها اعتراض لمجرى الهواء في أثناء محاولة الخروج وهي النقطة التي يصدر الصوت فيها، أى ينطق فيها الصوت، ولذا تسمى نقطة الطق. Point of articulation. أما مصطلح المخرج فهو أكثر المصطلحات شيوعاً في التراث اللغوي العربي وصفاً لنقطة انطق، ويرجع اصطلاح المخرج إلى الخليل بن أحمد في مقدمته لكتاب العين، وقد أفاد منه سيويه بعد ذلك، وأصبح هذا المصطلح متداولاً عند المؤلفين العرب بعد ذلك.

لم يكن مصطلح "المخرج" وحده عند الخليل بن أحمد لوصف نقطة انطق، فقد أفاد الخليل من عدة مصطلحات لذلك، وهى: الحيز (والجمع أحياز)، ولمبدأ (والجمع مبادئ) والمدرجة (والجمع مدارج).

وقد استخدمت هذه المصطلحات كلها عند الخليل، وأكثر شيوعاً عنده مصطلح "حيز". ينضج هذا من العبارات التالية الواردة في مقدمة كتاب العين :

"الصاد والسين والزاي	فى	حيز واحد"
"الصاد والذال والتاء	فى	حيز واحد"
"الظاء والذال والتاء	فى	حيز واحد"

ويتضح من هذا أن كلمة حيز كانت تعنى عند الخليل النقطة التى يصدر فيها الصوت، فقد أثبت البحث أن الصاد والسين والزاي تكون من هذا الجانب مجموعة الأصوات المعروفة باسم "أصوات الصغير". والطاء والذال والياء تكون مجموعة الأصوات المعروفة باسم "الأصوات الأسنانية"، والظاء والذال والياء تكون مجموعة "الأصوات بين الأسنانية".

أما مصطلح "المبدأ" والجمع مبادئ، فقد ورد عند الخليل أيضاً. يقول الخليل: الفطاء والذال والياء لثوية لأن مبدأها من اللثة. وهكذا اتضح أن مصطلح مبدأ مرادف عند الخليل لمصطلح "حيز"، وذكر الخليل أيضاً أن الفاء والباء والميم شفوية - وقال مرة شفوية - لأن مبدأها من الشفة. والمقصود هنا بمصطلح المبدأ كون هذه الأصوات تصدر عند الشفتين، فهذه المجموعة تكون الأصوات الشفوية.

وذكر الخليل أيضاً فى هذا الصدد مصطلح "المدرجة" والجمع مدارج بالمعنى السابق. فقد ذكر الخليل مدارج الحلق ومدارج اللسان بمعنى النقاط التى يتم فيها تكون الأصوات.

والمصطلح الرابع "المخرج" والجمع مخارج جاء أيضاً عند الخليل بن أحمد. قال: الفاء والياء والميم مخرجها من بين الشفتين. وفى موضع آخر يقول: أما مخرج العين والحاء والباء والحاء والغين والحلق.

ولكن سيويه عرف هذه المصطلحات، واختار مصطلح المخرج والجمع مخارج، وفضله على كل المصطلحات الأخرى. وتحولت بذلك كلمة 'مخرج' إلى مصطلح شائع الاستخدام عند سيويه وعند من جاء بعده من النحويين وارتصاه البحث الحديث. ولكن مصطلح "حيز" لم يرد عند سيويه إلا على نحو سادر، وبذلك كان دور سيويه فى بحث قضية المخارج معتمداً على جهود الخليل بن أحمد، وله بهذا فضل اختيار مصطلح "المخرج" وطرح باقى الكلمات المرادفة له.

صنف سيبويه الأصوات العربية في ستة عشر مخرجاً ووصف مخارج الحلق بعبارات موجزة. وقسم مخارج الحلق إلى أقصى الحلق ووسط الحلق وأدنى الحلق. أما باقي المخارج فقد وصفها بعبارات طويلة حاولت تحديد النقطة التي يتم فيها الطلق من حاسين اثنين : اللسان والحنك الأعلى. فمثلاً في وصف نطق "القاف" ذكر سيبويه أن مخارجها "أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى". وبذلك تضمن هذا التحديد وصفاً أكثر تفصيلاً من العرف الحديث عند علماء الأصوات، فهم يحددون المخرج بوصف أساسي واحد، وكأنهم يجعلون الصفة الأخرى أو باقي الصفات تابعة. ومعنى هذا أن الأصوات التي تنطق في أقصى اللسان من جانب والحنك الأعلى واللهة من جانب يمكن أن توصف نسبة إلى أقصى اللسان، فيقال لسانى قصى dorsal نسبة إلى dorsum أى أقصى اللسان، وهذا هو العرف السائد عند اللغويين الأمريكيين. ويمكن أن توصف باعتبار المنطقة العلوية المقابلة، فيقال هذا الصوت لهوى uvular (نسبة إلى uvula وهى اللهة) أو حنكى قصى postpalatal (إلى المنطقة الأخيرة فى الحنك الأعلى). ولكن سيبويه كان يصف المخرج من الجانبين معا فيصف المخرج باعتبار اللسان والحنك الأعلى معا.

ويمكننا أيضاً توضيح قضية الوصف المزدوج عند سيبويه بمقارنة وصفه لمخرج الطاء والذال والياء بوصف المخرج نفسه عند علماء الأصوات المحدثين. لقد وصف سيبويه مخرج الطاء والذال والياء على النحو التالي : "من بين طرف اللسان وأصول الثنايا". وهنا نجد العنصرين : اللسان وهو عضو متحرك وأصول الثنايا أى أصول الأسنان الأمامية. ويوصف هذا المخرج عند كثير من اللغويين الأمريكيين بأنه Apical (نسبة إلى Apex أى طرف اللسان)، ويصفه لغويون أوريون بأنه dental (نسبة إلى Dents أى الأسنان)، وهكذا نجد سيبويه يعتمد فى وصف المخرج على الوصفين معا.

وهذا ينصق أيضاً على وصفه مخرج الطاء والذال والياء ، لقد ذكر سيبويه أن هذا المخرج "من ييس طرف اللسان وأطراف الثنايا". ويوصف هذا المخرج عند

لغويين الأوربيين بأنه interdental (أى بين أسناني). وهكذا نحدد وصف محرج يقوم عند سيويه على وصف النقطين، وهما: اللسان - وهو عضو متحرك - من جانب، ووصف النقطة الثابتة (الحنك الأعلى أو الأسنان) من الجانب الآخر.

وتتضمن كمية وصف سيويه مع الوصف الحديث اتفاقاً كاملاً في بعض المحارج. فقد وصف سيويه مخرج الفاء على النحو التالي: "من باطن شفة سفلى وأطراف الثنايا العليا". ويوصف هذا المخرج في البحث الحديث بأنه شفوي أسناني Labiodental. والمقصود بأنه شفوي اشتراك الشفة السفلى في النطق، والمقصود بكونه أسنانيا اشتراك الأسنان العليا في نطقه. وهكذا يعبر مصطلح شفوي أسناني Labio - dental عن وصف هذا المخرج من كلا الجانبين.

ثالثاً: المجهور والمهموس

يقوم تصنيف الأصوات العربية عند اللغويين العرب إلى مجهور من جانب ومهموس من الجانب الآخر على جهود سيويه، فلا توجد أية إشارة إلى مثل هذا التصنيف في مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد. وبذلك يختلف تاريخ بحث هذه القضية عن البحث في قضية المحارج التي كان للخليل بن أحمد دور كبير وحاسم فيها.

قد أثار تصنيف سيويه للأصوات العربية إلى مجهور ومهموس عند الدراساتين المحدثين قضية المحتوى العلمي لهذين المصطلحين. وكان الباحث الألماني شاده Schaade أول من بحث المصطلحين في ضوء علم الأصوات الحديث (١٩١١). والقضية التي بحثها شاده تلتخص على النحو التالي: هل يطابق تصنيف الأصوات عند سيويه إلى مجهور ومهموس التصنيف الحديث للأصوات إلى voiced (المجهور) و voiceless (المهموس) على التوالي، أم أن سيويه كان يعني أمراً آخر. والفرق بين المفهومين على النحو التالي: يحدث أثناء النطق أن يندفع هواء نرفير محذولاً لحروح، وهما يحتلف وضع الوترين الصوتيين، فإذا انفرج الوتران الصوتيان على نحو

لا يتيح مجالا لأى توتر فإن الصوت يوصف بأنه voiceless. أما إذا تصاعط توتران وهترا اهترارا، شديدا، فإن هذا التوتر يعرف فى علم الأصوات باسم voice ويوصف الصوت الذى ينطق على هذا النحو بأنه voiced أى به voice. وعلى هذا فتوتر التوترين للصوتين سمة أساسية فى نطق مجموعة من الأصوات وعدم توترهما سمة أساسية فى نطق مجموعة أخرى من الأصوات.

ومن الممكن إصباح الفرق بين المجموعتين بعدة طرق بسيطة، كأن يضع الإنسان يديه فوق أذنيه وينطق بصوت (د) فيشعر بهذا الصوت الحادث نتيجة توتر التوترين الصوتيين، ثم ينطق بصوت (ت) فلا يحس بوجود أى أثر ناجم عن التوترين الصوتيين، ويمكن كذلك الإحساس بالفرق بين (ز) التى تنطق بتوتر شديد فى التوترين الصوتيين، (س) التى تنطق دون أى توتر فيهما بهذه الطريقة. وهناك طريقة أخرى لمعرفة الفرق بين نطق الدال والزاي من جانب والياء والسين من الجانب الآخر تلخص فى وضع أصبعين فوق فتحة آدم، أى فوق مطلقة الحنجرة التى يوجد فيها التوتران الصوتيان، فيحس الإنسان فى حالة نطق (د) أو (ر) بما يحدث فى التوترين الصوتيين، على عكس ما يحدث فى (ت) أو (س). ولذا يطلق على (د)، (ز) مصطلح voiced على عكس (ت)، (س) voiceless.

وعندما ناقش الباحثون المعاصرون مصطلحات علماء الأصوات العرب وحدوا عند سيويه مصطلحي : المجهور والمهموس. لقد صنفـت (د)، (ز) مثالا ضمن الأصوات المجهورة، وصنفت (ت)، (س) فى الأصوات المهموسة. ويوحى هذا تقابل لأول وهلة بأن مجهور تعنى voiced (د، ز)، ومهموس تعنى voiceless (ت، س).

ولكن مجموع الأصوات التى ذكرها سيويه ضمن المهموس، والأصوات الأخرى التى ذكرها ضمن المجهور أثار بالضرورة مشكلات الطاء والقاف والهمزة. فقد صفها سيويه ضمن المجهور ولا يمكن وصف نطقها المعروف اليوم فى

امعصحي بأنها من المجهور. وطرح هذا التساؤل أيضاً مشكلة معرفة سيبويه أساساً بالفرق العنصرى بين الهمس والحجر - على نحو ما يعرفه علماء الأصوات المعاصرون. ويستند هذا التساؤل إلى عدم معرفة سيبويه بالوترين الصوتيين، وبالتالي كان ثمة شك فى إدراكه لأثرهما فى عملية النطق. وقد أمكن مناقشة الاعتراضين على النحو التالى .

يقوم تصنيف سيبويه للأصوات على أساس تجريبي بسيط، وهناك رأى مسوب لسيبويه سجله السيرافى فى شرح كتاب سيبويه ويوضح منهج سيبويه فى تحرييب. يتخصص هذا الرأى فى أن بعض الأصوات يمكن أن تنطق برفع الصوت فقط، الدال وانزأى مثلاً لا يمكن نطقها الواضح المتميز بصوت خفيض، فإذا حاول الانسان نطق الدال بصوت خفيض فإنه لا يستطيع نطقها دالاً بل هى تاء. وعلى العكس من هذا فهناك أصوات تنطق بأية درجة فى الصوت، حتى إنها تنطق أيضاً بخفض الصوت دون أن يحدث لها أى تغيير مثل التاء والسير. وعلى هذا فهناك أصوات لا يجوز أن تنطق إلا بصوت عال نسبياً وهذه هى المجهورة، والحجر رفع الصوت. وهناك أصوات يمكن أن تنطق بخفض الصوت، وهذه الأصوات هى المهموسة، والهمس خفض الصوت. وبهذا اتضح من هذا الرأى المنسوب لسيبويه الطريقة التى ميز بها سيبويه بين المجهور والمهموس، كما اتضح منها لماذا وصف مجموعة منها باسم "المجهور" وأخرى باسم "المهموس".

اما قضية تصنيف سيبويه للقاف والطاء والهمزة فى المجهور وتصنيفها عندنا اليوم فيمكن إضاحها على النحو التالى :

كان سيبويه يعنى فى وصفه لنطق القاف نطقاً يخالف النطق المعروف اليوم، للصوت المألوف لدينا فى نطق القصصى مهموس، ولا شك أن سيبويه كان يعنى صوتاً مجهوراً، وهذا ما يمكن تفسيره فى ضوء المثل اللغوية العليا فى عصر سيبويه. فقد كان البدو فى القرن الثانى الهجرى حجة فى قضايا اللغة، ولذا كان من الطبيعى أن يعتمد عليهم سيبويه فى قضايا الأصوات أيضاً. والقاف تنطق عند البدو أحد طفتين

وكلاهما مجهور، فهي صوت شديد من أقصى الحنك مثل الجيم القاهرية أو هي صوت من أدنى الحلق مثل الغين. وكلا الصوتين مجهور. ولذا فمن المحتمل أن يكون المقصود عند سيبويه في وصف القاف المجهورة أحد هذين الصوتين.

والطاء القديمة كانت دون شك تخالف النطق الحديث للطاء. فقد كانت الطاء القديمة تشترك مع الدال في كل خصائصها النطقية، غير أن الطاء صوت مطبق. فقد كانت الطاء هي المقابل المطبق للدال. عبارة عن سيبويه توضح هذه الحقيقة "لولا الإطباق لصارت الطاء دالا". ويبدو أن الطاء القديمة على هذا النحو كانت تختلف عن الطاء في نطقها الحديث. ويمكن إيضاح هذا وفق الجداول التالية للأصوات الأساسية:

النطق القديم

مجهور	مهموس	
د	ت	غير مطبق
ط		مطبق

وعلى هذا فقد كانت الطاء القديمة مجهورة نطقاً، ولكن صفة الجهر فيها كانت محايدة، أي غير حاسمة من الناحية العنولوجية، لعدم وجود مقابل لها غير مجهور.

التاء والطاء في النطق الحديث :

مجهور	مهموس	
د	ت	غير مطبق
(ض) في نطق مصر والشام على عكس نطق البدو والكويت والخليج	ط	مطبق

ومعنى هذا أن الطاء تحركت من موقعها القديم في النظام الصوتي للعربية لتصبح مقابلاً مطبقاً للتاء. وتغير نطق الضاد فاحتلت مكان الطاء القديمة، مقابلاً مطبقاً للدال في نطق أبناء العربية في مصر والشام بصفة خاصة.

وقد صنف سيبويه الهمزة من المجهور، ولا شك أن هنا نوعاً من اللبس. فهمزة قطع تطلق بانطباع الوترين الصوتيين على نحو يخالف انفراجهما في اسطق بالمهموس ويخالف توترهما في حالة النطق بالمجهور، ولذا يمكن وصف الهمزة من هذا الجانب بأنها صوت محايد من ناحية الهمس والجهر. ولعل السبب في هذا اللبس أن سيبويه كان يحرب بالهمزة ومعها حركة، والحركات كلها مهجورة.

وهكذا اتضح أن سيبويه عرف منهاجاً تجريبياً لتمييز الفرق بين المهموس والمجهور، واستطاع أن يميز الأصوات تمييزاً واضحاً وصحيحاً. أما اختلاف التصنيف في حانة بعض الأصوات فلا يرجع إلى خطأ من سيبويه بل يرجع إلى تغير نطق اطاء واعتماد سيبويه في دراسة نطق القاف على البدو، وإلى تحرته نطق الهمزة مصحوبة بحركة. ولكن سيبقي بعد هذا كله أن نذكر أن سيبويه قد قدم للبحث الصوتي إضافة أصيلة جادة يبحث الأصوات من حيث الهمس والجهر.

رابعاً: الشدة والرخاوة

صنف سيبويه الأصوات اللغوية من حيث درجة الاعتراض التي تحدث عند النطق بها إلى ثلاث مجموعات :

- ١- الشديــــــــــــد : مثل الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والباء
٢- الرخــــــــــــــــو : مثل الحاء والخاء
٣- بين الرخوة والشديد : العين، الراء واللام والواو والياء

اسطق نساء، وقد يكون بين أقصى اللسان وأقصى الحنك الأعلى بما في ذلك نهاية في اسطق بالقاف، وقد يكون بين أقصى اللسان وأقصى الحنك الأعلى في اسطق بالكاف.

وقد يكون في الحنجرة عند النطق بهمزة القطع، ومن هذا الجانب يطابق مصصع شديد عند سيبويه مصطلح Plosives أى الانفجاري، فالأصوات لقاف والكاف واطاء أصوات شديدة عند سيبويه انفجارية في علم الأصوات الحديث.

ويكن سيبويه عد أيضاً من الأصوات الشديدة صوت الجيم. وتعد نجيم الفصيحة في علم الأصوات الحديث مركباً احتكاكياً Affricate، يبدأ نطقها كما لو كنا نطق دالاً ثم ينتهي نطقها كما لو كنا نطق شينا مع الجهر، أى (dj) وقد لاحظ سيبويه أن هذا الصوت ينطق في بدايته بحس النفس لوجود اعتراض شديد يجعله بين الأصوات الشديدة. وهكذا يضم مصطلح الشديد عند سيبويه مجموعة الأصوات الانفجارية مع الصوت المركب الاحتكاكي (ج).

أما الصوت "الرخو" فقد حدده سيبويه بأنه لا يمنع مرور الهواء، كما هي الحال في نطق الأصوات الشديدة. وقد ذكر سيبويه من الأصوات الرخوة :

١- مجموعة أصوات الحلق (عدا الهمزة والعين) وهي: الهاء والحاء والغين والخاء.

٢- مجموعة أصوات الصفيح : الصاد والسين والزاي، ثم الشين.

٣- مجموعة الأصوات بين الأسنان : الناء والذال والظاء.

٤- صوت الفاء، وهو صوت شفوي أسناني.

٥- صوت الضاد.

ونقابل مصطلح الرخو بهذا المعنى مصطلح الاحتكاكي Fricative في علم الأصوات الحديث. وتعريف الصوت الاحتكاكي أنه الصوت الذي ينطق بأد يصبق مجرى الهواء في النقطة التي يصدر منها الصوت، أي عند المخرج، ويسب صبق

المجرى في أثناء خروج الهواء احتكاكاً مسموعاً. وينطبق هذا الوصف على كل الأصوات الرخوة عند سيبويه الاحتكاكية في التصنيف الحديث.

غير أن الضاد عدت عند سيبويه صوتاً رخواً، ولكنها تصنف في علم الأصوات الحديث وفق النطق المعروف في مصر وبلاد الشام تصنيفاً مختلفاً، فقد تغير نطقها، كانت قديماً صوتاً رخواً - على نحو وصفها عند سيبويه - وأصبح صقها اليوم في الفصحى صوتاً شديداً، أى انفجارياً.

وتتضمن مجموعة الأصوات بين الرخو والشديد عند سيبويه الأصوات التالية :

١- صوت الغين

توصف الغين اليوم وصفاً مخالفاً، فعند النطق بها يضيق مجرى الهواء، ولذا تعد صوتاً احتكاكياً.

٢- صوت اللام

وصفت عند سيبويه بأنها صوت منحرف ينطق على نحو بين الشديد والرخو. ويبدو أن المقصود بكونه منحرفاً أنه كان ينطق نطقاً جانبياً، بمعنى أن عقبة ما تكون في وسط مجرى الهواء فيخرج الصوت من أحد الجانبين، ولذا يوصف بأنه lateral أى جانبي.

٣- صوت الراء

وصف سيبويه هذا الصوت بأنه مكرر، والمقصود بهذا تكرار اهتزازات اللسان في أثناء النطق به. وقد جعله سيبويه بين الشديد والرخو، ويصنف في البحث الحديث وحده في مجموعة الصوامت المكررة Rolled Consonants.

٤- النون والميم

صنفهما سيبويه بين الشديد والرخو ، لأن حيساً كاملاً يحدث لمجرى الهواء في مخرجهما في الفم، ولكن الصوت الناجم عن تيار الهواء مع الاهتزاز لشديد في

الوترين الصوتيين يمضى دون عائق إلى التجويف الأنفى. ففي نطق الميم مثلاً تنطلق الشفتان تمام الإطباق فتحدث عقبة على نحو ما يحدث فى نطق الصوت الشديد، ولكن الهواء يمضى إلى التجويف الأنفى، فتحدث تلك النغمة التى سماها العلماء العرب باسم "الغنة".

وفى نطق النون تحدث العقبة بالنقاء طرف اللسان مع أصول الشايب العليا (الأسنن العليا) على نحو ما يحدث فى نطق الصوت الشديد، ولكن الهواء يمضى إلى التجويف الأنفى فتحدث الغنة.

ولهذا صنف سيبويه النون والميم بين الشديد والرخو، ويصنفان اليوم فى مجموعة تسمى باسم الصوامت الأنفية Nasal Consonants، وقد سماها البعض باسم "الصوامت الغناء" أى التى فيها غنة.

وأخيراً فلا بد من الإشارة إلى أن سيبويه صنف الواو والياء فى مجموعة حروف اللين، وتسمى هذه المجموعة اليوم باسم "مجموعة أنصاف الحركات" Semi Vowels. ويرجع هذا إلى أن نطقهما يبدأ مثل نطق الحركة، ثم تحدث عقبة على نحو ما يحدث فى نطق الصوامت.

فالواو يبدأ نطقها كما لو كانت ضمة ثم تحدث العقبة فى أقصى الحنك. والياء يبدأ نطقها كما لو كانت كسرة ثم تحدث العقبة فى وسط الحنك. أما انفتحة الطويلة فقد أدرك سيبويه اختلاف طبيعتها، ولذا سماها "بالحرف الهاوى" باعتبار اتساع مخرجها. والواقع أنها حركة، والحركات كلها كذلك. ولكن سيبويه لم يصف نطق الفتحة القصيرة ولا الكسرة القصيرة ولا الكسرة الطويلة ولا الضمة القصيرة.

خامساً: الإطباق والانفتاح

تصنيف الأصوات اللغوية من حيث "الإطباق والانفتاح" يعد من السمات المميزة لبعث السامية. وكان سيبويه أول من تعرّف هذه السمة. والأصوات المطلقة

فى النعة العربية: الصاد والضاد والطاء والظاء. أما باقى الأصوات العربية فتعد عبر مطقة، أى "مفتحة" فى مصطلح سيبويه. ولكى يوضح مجموعة الأصوات امطقة فى مقابل الأصوات المفتحة قال سيبويه : "لولا الإطباق لصارت الطاء دلاً وصاد سبياً والظاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شئ من موضعها غيرها".

وبتلخص ما قاله سيبويه فى الجدول التالى :

غير مطبق :	د	س	ذ	لا شئ
مطبق :	ط	ص	ظ	ض

سبق أن أشرنا أن نطق الطاء والضاد فى وصف سيبويه يخالف نطق الحديث بهما. والسمة الأساسية التى تميز الأصوات المطبقة تتلخص فى عبارة سيبويه لثالية: 'إذا وضعت لسانك فى مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان، ترفعه إلى الحنك'. وقد لاحظ الباحثون المحدثون أن لمقصود بالإطباق هو ارتفاع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك وتقع وسط اللسان. وهذا هو الفرق بين نطق الأصوات المطبقة ومقابلاتها غير المطبقة.

الفصل الخامس

النظام الصوتي

يتكون نظام الصوتي من الوحدات الصوتية الجزئية من جانب، ونظام لمقاطع والنسب من الجانب الآخر.

أولاً الوحدات الصوتية الجزئية :

أ- تتحدد السمات المميزة لكل صوت من أصوات المجموعة الشفوية على أساس التقابل الفونولوجي مع الصوتين الآخرين في المجموعة :

(١) الوحدة الصوتية : ب

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ب : ف

بَرْق : فَرْق ربيع : رفيع عَابَ : عافَ

ب : م

بَكْر : مَكْر سَمْع : شَبْع شَبَّ : شَمَّ

ويتضح منها أن السمات المميزة للباء هي :

(١) الباء صوت شفوي على عكس الفاء فهي صوت شفوي - أسناني.

(٢) الباء صوت مجهور على عكس الفاء فهي مهموسة.

(٣) ليست شدة الباء حاسمة من الناحية الفونولوجية.

(٤) ليس وجود الإطباق أو عدم وجوده حاسماً من الناحية الفونولوجية.

(٥) الباء صوت غير أنفي على عكس الميم.

٢) الوحدات الصوتية : ف

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ب : ف

فرق : برق ربح : رفع عَابَ : عافَ

ف : م

فَاتَ : مَاتَ سَافَرَ : سَافَرَ عَافَ : عَامَ

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للفاء هي :

١) الفاء صوت شفوي - أسناني على عكس الباء فهي شفوي.

٢) الفاء صوت مهموس على عكس الباء فهي صوت مجهور.

٣) ليست الرخاوة في الفاء سمة فونولوجية حاسمة.

٤) ليس للاطباق أو عدمه أهمية في تمييز الفاء.

٥) الفاء صوت غير أنفي على عكس الميم.

٣) الوحدة الصوتية : م

أمثلة التقابل الفونولوجي :

م : ب

مَكْرَ : بَكْرَ عَمَرَ : عَمَرَ حَالِمَ : حَالِبَ

م : ف

مَاتَ : فَاتَ كَامَلَ : كَافَلَ عَامَ : عَافَ

م : ن

مَسَكَ : نَسَكَ قَمَعَ : قَنَعَ لَوَّمَ : لَوَّنَ

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للميم هي :

١) الميم صوت شفوي على عكس النون.

٢) ليس جهر الميم سمة حاسمة لها من الناحية الفونولوجية.

٣) ليست شدة الميم سمة حاسمة لها من الناحية الفونولوجية.

٤) ليس للإطباق أو لعدمه أهمية في تمييز الفاء.

٥) الميم صوت أنفى على عكس الباء والفاء.

ب- يضم النظام الفونولوجي ثلاث وحدات صوتية بين أسنانية هي انشاء والذلل والطاء، ويتضح محرجهما من مقابلتها بأصوات من مخارج أخرى، وتتضح باقى السمات المميزة لكل وحدة صوتية منها بالمقابلة مع الوجدتين الأخرين، ومع أصوات أخرى قريبة منها تختلط بها :

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ث	:	ذ			
ثَمَّ	:	ذَمَّ	ثَرَر	:	ذَرَر
ث	:	ظ			
ثَلَمَ	:	ظَلَمَ	ثَرَر	:	ظَلَر
ث	:	ف			
ثُرْد	:	فُرْد	ثَرَر	:	فَرَر
ث	:	س			
ثَمَر	:	سَمَر	كَثَر	:	سَكَب
ث	:	ت			
ثَمَّ	:	تَمَّ	بَثَر	:	تَبَث

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للشاء هي :

١) الشاء صوت بين أسناني على عكس الفاء الشفوية والسين الأسنانية.

٢) الراء صوت مهموس على عكس الذال فهي صوت مجهور.

٣) الراء صوت غير شديد وهذا مرتبط بكونه بين أسناني.

٤) الراء صوت غير مطبق، وليس له مقابل مطبق.

٢) الوحدة الصوتية : الـذال

أمثلة التقابل الفونولوجي

ذ	:	ث			
ذم	:	ثم	نَظَرَ	:	تَنَزَّرَ
ذ	:	ظ			
ذَلَّ	:	ظَلَّ	نَذَرَ	:	نَظَرَ
ذ	:	ز			
ذَلَّ	:	زَلَّ	أَعَذَبَ	:	أَعَزَبَ
ذ	:	د			
ذَلَّ	:	دَلَّ	نَازَرَ	:	نَازَرَ

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للذال هي :

١) الذال صوت بين أسناني على عكس الدال، فهي أسنانية.

٢) الذال صوت مجهور على عكس الراء فهي صوت مهموس.

٣) الذال صوت غير مطبق على عكس الظاء فهي صوت مطبق.

٤) الذال صوت غير شديد وهذا مرتبط بالمخرج.

٣) الوحدة الصوتية : ظ

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ظ	:	ذ			
ظَلَّ	:	ذَلَّ	نَظَرَ	:	نَذَرَ

ط	:	ض
طَلَّ	:	ضَلَّ
حَظَرَ	:	حَضَرَ
عَظُ	:	عَيْض
ط	:	ط
طَفَّرَ	:	مَظْهَر
مَظْهَر	:	مَظْهَر
غَائِظ	:	غَائِظ

ويتضح من هذا أن السمات المميزة للطاء هي :

- (١) انطاء صوت بين أسناني على عكس الطاء.
- (٢) انجهر في انطاء ليس سمة فونولوجية لها، فليس هناك مقابل مهموس.
- (٣) انطاء صوت غير جانبي على عكس الضاد فهي صوت جانبي.
- (٤) انطاء صوت مطبق على عكس الذال فهي صوت غير مطبق.

جـ - يصم النظام الصوتي للغة العربية ثلاث وحدات صوتية أسنانية هي انشاء وانداد والطاء، ويتضح مخرجها من مقابلتها بأصوات من محارج أخرى ويتضح تميز كل صوت منها بمقابته بالصوتين الآخرين في المجموعة وبمقابته كذلك بصوت النون.

١) الوحدة الصوتية : التاء

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ت	:	د
تَرَبَّ	:	دَرَبَ
بَتَرَّ	:	بَدَرَ
بَات	:	بَاد
ت	:	ط
تَرَبَّ	:	طَرَبَ
فَتَرَّ	:	فَطَّرَ
شَتَّ	:	شَطَّ
ت	:	ث
تَمَّ	:	ثَمَّ
بَتَرَّ	:	بَثَّ
بَثَّ	:	بَثَّ
ت	:	ذ

صِفَر : صِفَر نَصَل : نَسَل حَمَص : حَمَص

ص : ط

صَالِح : طَالِح رَصَانَة : رطَانَة رِبَص : رِبَط

ص : ظ

صَرَف : ظَرَف انتَصِر : انتظِر فصَّ : فظَّ

وينضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للصاد هي :

(١) الصاد صوت صفيّر على عكس الأصوات بين الأسنان مثل ظ والأسنانية مثل ط.

(٢) الصاد صوت مطبق على عكس السين.

(٣) ينطق هذا لصوت مهموس، وليس لهذه السمة دلالة فونولوجية في النظام الصوتي العربية الفصحى، فلا يوجد له في الفصحى مقابل مجهور.

(٣) الوحدة الصوتية : الزاى

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ز : س

زهرة : سهرة حُزن : حُسْن هَمَز : هَمَس

ز : ص

زف : صف رَزَيْن : رَصِين غَزَّ : غَصَّ

ز : ذ

زل : ذل أعزب : أعذب حَزَّ : حَذَّ

ر : ظ

عزيمة : عظيمة عَزَم : عَظُم لَمَز : لَمَط

وينضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للزاى هي :

- ١) الزاى صوت صغير على عكس الذال فهى بين أستانية.
- ٢) الزاى صوت مجهور على عكس السين فهى صوت مهموس.
- ٣) الراى صوت غير مطبق على عكس الصاد فهى صوت مطبق (مهموس) وعلى عكس الضاد فهى صوت مطبق مجهور.

هـ - يصف علماء الأصوات النون واللام والراء بأنها فى منزلة بين الصوامت والحركات، ومن ثم جعلناها مجموعة واحدة، ولتحديد السمات الفونولوجية المميزة لكل وحدة صوتية فيها نقابلها بالوحدتين الأخريين ثم مع أصوات أخرى قد تختلط بها:

١) الوحدة الصوتية : اللام

أمثلة التقابل الفونولوجى :

ل	:	ر			
لَبَى	:	رَبَى	بَلَد	:	بَرَد
ل	:	ن			
لَقَم	:	نَقَم	جَالِب	:	جَانِب
			حَل	:	حَن

ومن هذا يتضح أن السمات الفونولوجية المميزة للام هى :

- ١) اللام صوت غير أنفى على عكس النون.
- ٢) اللام صوت غير مكرر على عكس الراء المكررة.
- ٣) تنطق اللام جانبية وهذه السمة ليست فونولوجية مميزة، فلا يوجد صوت معادل غير جانبي، أما نطق اللام صوتا جانبيا فإنما يحدث لتحسب نطقها راء اهتزازية مكررة.
- ٤) تنطق اللام مطبقة وغير مطبقة، وليس للإطباق هنا دلالة فونولوجية فى العربية الفصحى.

٢) الوحدة الصوتية : الراء

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ر	: ل				
رئى	: لئى	بَرَد	: بَلَد	مَرَّ	: مَلَّ
ر	: ن				
رَمَل	: نَمَل	سَرَد	: سَنَد	قُطِر	: قُطِن
ر	: غ				
رَسُول	: غَسُول	وَرَد	: وَغَد	صَبَّر	: صَبَّغ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للراء هي :

١) الراء صوت غير جانبي على عكس اللام (انظر ما سبق).

٢) الراء صوت غير أنفي على عكس النون.

٣) تنطق الراء مفخمة وغير مفخمة، وبغض النظر عن أمثلة معدودة عربية حديثة فليس للأطباق أهمية فونولوجية.

٣) الوحدة الصوتية : النون

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ن	: ل				
نقم	: لقم	جَاتِب	: جَالِب	نَيْل	: لَيْل
ن	: م				
نَامِك	: مَامِك	سَتَح	: سَمَح	لَوْن	: لَوْم
ن	: ر				
نَمَل	: رَمَل	سَنَد	: سَرَد	قُطِن	: قُطِر

ومن هذا يتضح أن السمات الفونولوجية المميزة للنون هي :

- ١) النون صوت أنقى على عكس اللام.
- ٢) النون صوت غير اهتزازى (غير مكرر) على عكس الراء.
- ٣) النون صوت غير شفوى على عكس الميم فهى صوت شفوى.
- ٤) لئون أكثر من مخرج، ولها عدد من الصور الصوتية المقيدة، والإظهار هـ هو انطق الواضع على عكس الإخفاء أى تحويل النون إلى غنة فى الحيشوم.

الوحدة الصوتية : الضاد

الضاد وحدها فى مجموعة، ولذا قابلناها بالظاء التى التقت بها فى اللهجات الحديثة، ومع اللام الجانبية مثلها، ومع الشين القريبة منها مخرجاً.

أمثلة التقابل الفونولوجى :

ض	:	ظ	ض	:	ظ
ضَلَّ	:	ظَلَّ	حَضَرَ	:	حَظَرَ
ض	:	ل	قَضَبَ	:	قَلَبَ
ضَغَطَ	:	لَغَطَ	قَضَّ	:	قَلَّ
ض	:	ش	نَاضِر	:	نَاشِر
ضَائِق	:	شَائِق	حَضَّ	:	حَشَّ

يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للضاد هى :

- ١) الضاد صوت جانبي على العكس من الظاء بين الأسنانية.
 - ٢) وصف النحاة للضاد ما زال موضع خلاف بين اللغويين المحدثين.
- و - يعرف النظام الفونيمى للعربية وحدتين صوتيتين تنطقان من وسط الحنك، هما الجيم والشين:

١) الوحدة الصوتية : الجيم :

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ج	:	ش			
جمال	:	شمال	وُجُوم	:	وُشُوم
ح	:	د			
جَرَب	:	دَرَب	نَحَب	:	نَدَب
ج	:	ق			
نَجْد	:	نَقْد	جَلْد	:	قَلْد
			رائج	:	رائق

يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للجيم الفصيحة هي :

- ١) الجيم صوت مجهور على عكس الشين فهي صوت مهموس.
- ٢) مخرج الجيم مركب: لثوي حنكي على عكس الدال الأسنانية والقاف من أقصى اللهاة

٢) الوحدة الصوتية : الشين

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ش	:	ج			
شِمال	:	جِمال	نَشَر	:	نَجَر
ش	:	س			
شَب	:	سَب	تَشَرَب	:	تَسَرَب
ش	:	ك			
شامِل	:	كامِل	رَاشِد	:	رَاكِد
			أُنْعَش	:	أُنْهَكَ

ويتضح من هذا أن الخصائص الفونولوجية المميزة للشين هي :

- ١) محرق الشين لثوي حنكي على عكس الكاف فهي من أقصى الحنك.

٢) الشين صوت مهموس على عكس الجيم فهي صوت مجهور.

ز _ يعرف النظام الصوتي للغة العربية صوتين يخرجان من أفصى الحلق والتهاسة، وهناك خلاف في مخارج الصور الصوتية المختلفة لكلا الصوتين الكاف والقاف.

الوحدة الصوتية : الكاف

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ك	:	ق			
كَلَب	:	قَلَب	لَكَم	:	لَقَم
ك	:	خ			
كَامِل	:	خَامِل	نَكَسَ	:	نَخَسَ
ك	:	ش			
كَامِل	:	شَامِل	رَكَّدَ	:	رَشَّدَ
			فَرَكَّ	:	فَرَشَّ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للكاف هي :

١) مخرج الكاف من أفصى الحلق على عكس الشين فهي من وسط الحنك والخواء فهي من أدنى الحلق، كما أنها ليست أسنانية أو صغيرية أو أنفية.

٢) على الرغم من وجود فرق دقيق في المخرج بين القاف والكاف - وصورها النطقية الحديثة كثيرة باختلاف المحيط الصوتي حولها - فإن التضاد الفونولوجي بينهما يكون باعتبار القاف مطبقة والكاف غير مطبقة.

٣) تنطق الكاف عادة صوتاً مهموساً، وهناك حالات إجهار بتأثير بعض اللهجات غير أن الهمس أو الجهر هنا ليس سمة فونولوجية حاسمة.

٢) الوحدة الصوتية : القاف

أمثلة التقابل الفونولوجى

ق	:	ك			
قَلْب	:	كَلْب	نَقْل	:	نَكْل
ق	:	ح			
قَل	:	جَل	نَقْد	:	نَحْد
ق	:	غ			
قَالِب	:	غَالِب	وَقَى	:	وَعَى
			سَائِق	:	سَائِغ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للقاف هي :

١) مخرج القاف من اللهاة على عكس الغين من أدنى الحلق والحييم المركب اللثوى الحنكى.

٢) وصف سيبويه يجعلها مجهورة وتنطق اليوم هكذا عند البدو ونطقها بالمجهور يجعلها جيما قاهرة، ولكن نطق المتخصصين فى العربية والمذيعيين يجعلها صوتا مهموسا.

حـ - هناك وحدتان صوتيتان فى العربية مخرجهما من أدنى الحلق، أحدهما الخاء والأخرى هى الغين.

١) الوحدة الصوتية الخاء :

أمثلة التقابل الفونولوجى :

خ	:	غ			
خَامِر	:	غَامِر	فَخَر	:	فَغَر
خ	:	ح			
خِمَار	:	حِمَار	نَخْل	:	نَحْل
			أَفْرَاح	:	أَفْرَاح

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للخاء هي :

(١) محرج الحاء من أدنى الحلق على عكس الحاء فهى صوت من وسط الحلق.

(٢) الحاء صوت مهموس على عكس الغين فهى صوت مجهور.

(٢) الوحدة الصوتية : الغين

أمثلة التقابل الفونولوجى :

غ	:	ع			
غَزَلْ	:	عَزَلْ	تَفَرَّغَ	:	تَفَرَّعَ
غ	:	خ			
غَامَرُ	:	خَامَرُ	فَغَرَّ	:	فَخَرَّ
غ	:	ق			
غَلَى	:	قَلَى	بَغُلْ	:	بَقُلْ
			فَرَّغَ	:	فَنَقَّ

ص - يوجد فى النظام الفونيمى للغة العربية صوتان يخرجان من وسط الحلق،

هما الحاء والعين:

(١) الوحدة الصوتية : الحاء

أمثلة التقابل الفونولوجى :

ح	:	خ			
حَامِلْ	:	خَامِلْ	بَحْرُ	:	بَخْرُ
ح	:	ع			
حَامِلْ	:	عَامِلْ	بَحْرُ	:	بَعْرُ
ح	:	هـ			
حَرَمْ	:	هَرَمْ	فَحْمُ	:	فَهْمُ
			شَرَحَ	:	شَرَعَ

ومن هذا يتضح أن السمات الفونولوجية المميزة للحاء هى :

١) محرج الحاء من وسط الحلق على عكس الخاء من أدنى الحلق والهاء انتهى من الحنجرة.

٢) الحاء صوت مهموس على عكس العين فهي صوت مجهور.

٣) ينطق هذا الصوت احتكاكيا.

٢) الوحدة الصوتية : العين

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ع	:	ح								
عَامِد	:	حَامِد		مَعْمَل	:	مَحْمَل		شَرَعَ	:	شَرَخ
ع	:	غ								
عَنْق	:	عَلَق		تَفَرَّع	:	تَفَرَّغ		عَرَض	:	غَرَض
ع	:	همزة								
عَاهِل	:	أَهْل		سَعَل	:	سَالَ		شَاع	:	شَاء

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للعين هي :

١) مخرج العين من وسط الحلق على عكس العين من أدنى الحلق والهمزة التي من الحنجرة.

٢) العين صوت مجهور على عكس الحاء فهي صوت مهموس.

٣) تنطق العين نطقا رخوا، وهذه السمة ليست حاسمة من الناحية الفونولوجية في

النظام الصوتي للعربية، فالصوت المشترك معها في المخرج الحاء رخو كذلك، ولا

يفترقان إلا في جهر العين وهمس الحاء.

الوحدات الصوتية الحنجرية :

١) الوحدة الصوتية : الهاء

أمثلة التقابل الفونولوجي :

ه : ع

مَحَرَّ	:	أَجَرَّ	سَاهَلَّ	:	سَاءَل	شَاه	:	شَاءَ
هـ	:	ح						
هَرَم	:	حَرَم	سَهَر	:	سَحَر	شَبَه	:	شَبَعَ

ويوضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للهاء هي :

(١) هذا الصوت من الحنجرة على عكس الحاء فهي من وسط الحلق، ولكنه ليس من مخرج الهمزة أقصى المخارج.

(٢) ينطق صوت الهاء مهموساً، وليس لهذا دلالة فونولوجية فليس له مقابل مجهور.

(٣) توجد صور صوتية مطبقة وأخرى غير مطبقة للهاء، وهذا مختلف من لهجة لأخرى وبظهور أثر ذلك في نطق الفصحى، وهناك اختلافات فردية في نطق الهاء مفخمة أوغير مفخمة.

(٢) الوحدة الصوتية : الهمزة (المحققة)

أمثلة التقابل الفونولوجي :

هـ	:	هـ						
أَجَرَّ	:	هَجَرَّ	سَاءَل	:	سَاهَلَّ	شَاه	:	شَاءَ
هـ	:	ع						
أَهَلَّ	:	عَاهَلَّ	سَأَل	:	سَعَلَّ	شَاءَ	:	شَاعَ

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للهمزة هي :

(١) الهمزة صوت من الحنجرة على عكس العين فهي من الحلق.

(٢) الهمزة صوت شديد ليس له مقابل رخوا.

(٣) الهمزة صوت محايد من ناحية الهمس والجهر، الوتران الصوتيان في أثناء نطقها في وضع يمنعهما من الاهتزاز.

كـ - يعرف النظام الصوتي للعربية كمسرة عادية و كمسرة طويلة يعبر عنها فى الكتابة بما يطلق عليها "مد الياء" أو "الياء الممدودة".

١) الوحدة الصوتية الكسرة

أمثلة التقابل الفونولوجى :

الكسرة	:	الفتحة	الكسرة	:	الضمة
جَمَال	:	جَمَال	كَبِير	:	كَبِير

يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للكسرة هي :

١) الكسرة صوت أمامى على عكس الضمة فهى حركة خلفية.

٢) الكسرة صوت ضيق على عكس الفتحة فهى حركة مفتوحة.

٢) الوحدة الصوتية : الكسرة الطويلة :

أمثلة التقابل الفونولوجى :

الكسرة الطويلة	:	الكسرة (القصيرة)	الكسرة الطويلة	:	الفتحة الطويلة
كتابى	:	كتاب	قومى	:	قوما
	:		قولى	:	قولا

الكسرة الطويلة : الضمة الطويلة

قولى : قولوا

اكتبى : اكتبوا

عريس : عروس

ريح : روح

- يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للكسرة الطويلة هي :

١) صوت أمامى على عكس الضمة الطويلة فهى حركة خلفية.

٢) صوت ضيق على عكس الفتحة الطويلة فهي حركة مفتوحة.

٣) حركة طويلة على عكس الكسرة القصيرة.

ب - يوجد في النظام الصوتي للغة العربية ضمة عادية وضمة طويلة، وقد أثر بها التسمية الصوتية على تسمية الضمة الطويلة بالواو.

١) الوحدة الصوتية : الضمة

أمثلة التقابل الفونولوجي

الضمة	:	الفتحة
حُمِلَ		حَمِلَ
الضمة	:	الكسرة
حُلِمَ		حُلِمَ

يضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للضمة هي :

١) الضمة حركة ضيقة على عكس الكسرة، وتطلق الضمة باستدارة في الشفتين.

٢) الضمة حركة بخلفية على عكس الكسرة.

الوحدة الصوتية : الضمة الطويلة :

أمثلة التقابل الفونولوجي

لضمة الطويلة	:	الضمة القصيرة	:	الضمة الطويلة	:	الفتحة الطويلة
مسلّم	:	مسلّم	:	قولوا	:	قولوا
				الكسرة الطويلة	:	قولى

ويتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للضمة هي :

١) حركة ضيقة على عكس الفتحة الطويلة.

٢) حركة خلفية على عكس الكسرة الطويلة.

٣) حركة قصيرة على عكس الضمة القصيرة.

م - الفتحة والفتحة الطويلة حركتان تختلفان كما لا كيفا

١) الوحدة الصوتية : الفتحة

مثلة المقابل الفونولوجي :

الفتحة : الضمة الفتحة : الكسرة

يذكرُ : يذكرُ عَالَم : عَالِيسَم

يتضح من هذا أن السمات الفونولوجية المميزة للفتحة هي :

١) حركة مفتوحة عكس الضمة فهي حركة ضيقة.

٢) مخارجها متغير بين صورتين أساسيتين :

أ - الفتحة بلا إمالة.

ب - الفتحة الممالة.

٢) الوحدة الصوتية : الفتحة الطويلة :

أمثلة التقابل الفونولوجي :

الفتحة الطويلة : الفتحة القصيرة الفتحة الطويلة : الضمة الطويلة

مطار : مطر قولاً : قولوا

الضمه الطويلة : الكسرة الطويلة

قوموا : قومي

ومن هذا يتضح أن السمات الفونولوجية الحاسمة للفتحة الطويلة هي :

١) حركة مفتوحة على عكس الضمة والكسرة

٢) يتغير مخرجها فلها صورتان.

أ - بدون إمالة.

ب - بالإمالة.

ثانياً : المقاطع والنبر والتنغيم :

كان البحث الصوتي في التراث العربي يركز على بحث الأصوات المفردة وتغيراتها، فأضاف البحث الصوتي الحديث معرفة بحقائق صوتية تتجاوز الأصوات المفردة إلى علاقاتها في بنية اللغة. ومن أهم هذه الحقائق وجود المقاطع والنبر والتنغيم.

إن الوحدات الصوتية في اللغة الواحدة يكون لها تسابع تحدده البنية المقطعية، وهي بنية تختلف باختلاف اللغات، فاللغة الفرنسية - مثلاً - يمكن فيها أن تبدأ الكلمة بصامتين، وهذا ما نجده مثلاً في كلمة France، والبدء بصامتين غير ممكن في العربية. وعندما دخلت هذه الكلمة اللغة العربية أضيفت حركة بين الصامت الأول والصامت الثاني، وهذه الإضافة هادفة إلى التغلب على مشكلة عدم البدء بصامتين في العربية. فاللغة العربية تعرف عدة أنواع من المقاطع، وليس من بينها أن يبدأ المقطع بصامتين.

توجد في اللغة الفصحى أنواع المقاطع الآتية :

١- النوع الأول : صامت + حركة قصيرة، مثل : وَ ، فَ. = مقطع قصير مفتوح

٢- النوع الثاني : صامت + حركة طويلة، مثل : يا ، في. = مقطع طويل مفتوح

٣- النوع الثالث : صامت + حركة قصيرة + صامت، مثل : بل، هل.

= مقطع طويل مغلق

٤- النوع الرابع : صامت + حركة طويلة + صامت، مثل :

عاش، حَالٌ (يسكون). = مقطع مغرق في الطول مغلق

٥- النوع الخامس : صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت، مثل : مَشَقْ (يسكون). = مقطع مغرق في الطول مغلق بصامتين

وتصنيف المقاطع السابقة يكون وفق معيارين :

١- طبيعة الصوت الأخير في المقطع، النوع الأول والنوع الثاني كلاهما مقطع مفتوح، على العكس من الثالث إلى الرابع والخامس فهي من نوع المقطع المغلق. المقطع المفتوح هو المقطع المنتهى بحركة، أما المغلق فهو المقطع المنتهى بصامت أو أكثر.

٢- طول المقطع، وعلى ذلك يكون النوع الأول مقطعاً قصيراً، وكل مقطع من النوعين الثاني والثالث طويلاً، ومن النوعين الرابع والخامس مغرقاً في الطول.

إنَّ درجة ارتفاع الصوت تختلف عدد النطق بين مقطع وآخر في الكلمة الواحدة أو ما يشبه الكلمة، ويطلق مصطلح النبر Stress على درجة ارتفاع الصوت. ولذا ففي الكلمة المكونة من مقطع واحد لا مجال للحديث عن مقطع منبور وآخر غير منبور، فالمقطع الواحد منبور دائماً. ولكن قواعد النبر تتناول – بالتفاصيل – الكلمة المكونة بنفسها وبما اتصل بها من أكثر من مقطع، كأن تكون على مقطعين أو ثلاثة أو أكثر. وهنا تكون قواعد النبر للكلمة مع ما يتصل بها.

وتوجد في نطق العربية الفصحى عدة قواعد للنبر، منها :

١- إذا توالى عدة مقاطع مفتوحة يكون الأول منها منبوراً، ففي كلمة كَتَبَ نجد ثلاثة مقاطع من النوع الأول، أولها منبور.

٢- إذا تضمنت الكلمة مقطعاً طويلاً واحداً، يكون النبر على هذا المقطع الطويل، فجد هذا في كلمة كِتَاب، حيث النبر على المقطع الثاني.

٣- إذا تكومت الكلمة من مقطعين طويلين، يكون النبر على أولهما، ففي كلمة كَتَبَ نجد مقطعين طويلين أولهما مفتوح والثاني مغلق، والنبر على المقطع الأول.

وهناك فروق واضحة بين اللهجات العربية في النبر تجعل السامع يحس بسرعة أن محدثه من أبناء لهجة أخرى.

وأخيراً فإن التنغيم Intonation من الحقائق الصوتية في اللغات لمحتصة، واستيعام مرتبط بالارتفاع والانخفاض في نطق الكلام نتيجة لدرجة توتر الوترين الصوتيين مما يؤدي إلى اختلاف الوقع السمعي. ومن هنا نجد كلمات كثيرة تتعدد طرق تنغيمها لتؤدي وظائف دلالية مختلفة، فإذا كانت (نعم) للإجابة اختلف تنغيمها عنها للاستفسار. والتنغيم لا يقتصر على الكلمة الواحدة، بل يتجاوز إلى التركيب، فالتحية (سلام عليكم) لها تنغيم يختلف عن التنغيم في حالة الغضب.

ثالثاً : التغيرات الصوتية

١- التغيرات الصوتية الصرفية

يطلق مصطلح التغيرات الصرفية الصوتية Morphophonemic Changes على التغيرات التي تطرأ على البنية الصرفية لاعتبارات صوتية. وذلك مثل فكرة تحويل المقطع المغرق في الطول من [صامت + حركة طويلة + صامت]. إلى [مقطع طويل مغلق]. إن المقطع المغرق في الطول من النوع الرابع نادر في العربية الفصحى، وتعمل اللغة العربية إلى هجره كلها أوتيت إلى ذلك سبيلاً. ومن هذا الجانب نجد العربية الفصحى تختلف عن بعض اللهجات العربية التي تعرف المقطع المغرق في الطول على نحو أكثر شيوعاً. فعندما كان القاهري يقول أمراً : "بيع" فالفصحى "بيع"، وكذلك : "عيش" في مقابل الصيغة الفصيحة "عيش"، فالفرق بالمقارنة مع الصيغة العامية أن الفصيحة حوّلت المقطع المغرق في الطول إلى مقطع طويل، وبذلك تحوّلت الحركة الطويلة إلى حركة قصيرة.

٢- التغيرات الصوتية والمستويات اللغوية

التغيرات الصوتية تكون مطردة في أصوات المستوى اللغوى الواحد بغض النظر عن السياق الصوتى للكلمة ومعنى هذا أنها تغيرات غير مشروطة بسياق معين، ونم هي عامة في المستوى اللغوى الواحد. ومن هذه التغيرات تلك القوانين التى توصلح المقادلات الصوتية بين العربية الفصحى واللهجات العربية، ونوضح هذا بتناور الأصوات بين الأسانية فى الفصحى وما يقابلها فى لهجة القاهرة. ودراسة هذه التغيرات عبر الزمن تدخل فى علم اللغة التاريخى. لقد أصبحت لهجة القاهرة لا تعرف الأصوات العربية التى تصنف فى مجموعة الأصوات بين الأسانية، وهى أصوات الشاء والذال والظاء. تتفق هذه الأصوات العربية فى المخرج، فهذه الأصوات بين أسنانية، بمعنى أن مخرجها يكون بوضع ذلق اللسان بين الأسنان العليا والأسنان السفلى. وتختلف هذه الأصوات وفق معايير أخرى، فالشاء صوت مهموس والذال والظاء، وهما غير مطبقتين على خلاف الظاء المطبقة.

الأصوات بين الأسانية فى العربية

مجهور	مهموس	
ذ d	ث t	غير مطبق
ظ d		مطبق

تحولت مجموعة الأصوات بين الأسانية المذكورة فى عدد من اللهجات العربية، منها لهجة القاهرة إلى مجموعة الأصوات الأسانية. وينطبق هذه القانون على كل الألفاظ الأساسية فى اللهجة، فالعدد اثنان ينطق فى هذا اللهجات بالشاء، وكلمة "تعلب" تنطق بالشاء أيضاً. وقد تحولت الظاء إلى ضاد، وحد هذا فى الكلمات "طَل" تحولت إلى "طَبِل" و"ظَهَر" وقد تحولت إلى "ضَهَر". ويلاحظ فى هذا التحول أن كل صوت تحول إلى صوت آخر يتفق

معه فى الحصائص النطقية الأخرى، باستثناء المخرج. ويتضح ههنا من الجدول التالى :

الأصوات الأسنانية

مجهور	مهموس	
د d	ت t	غير مطبق
ض ḍ	ط ṭ	مطبق

وهكذا تحولت مجموعة الأصوات بين الأسنانية الشاء والذال والظاء إلى مجموعة الأصوات الأسنانية التاء والذال والضاد على التوالى. تحولت الشاء إلى تاء لاتفاقهما فى الهمس وعدم الإطباق، كما تحولت الذال إلى دال لاتفاقهما فى الجهر وعدم الإطباق، وتحولت الظاء إلى ضاد لاتفاقهما فى الجهر والإطباق. أما الطاء المذكورة فى الجدول فليست امتدادا لأى صوت بين أسناني، فليس لها فى جدول الأصوات بين الأسنانية مقابل.

يرتبط أى تغير صوتى بمستوى لغوى بعينه، فالتغير الصوتى يتم كاملا فى كل كلمات المستوى اللغوى الذى حدث فيه التغير، فإذا دخلت بعد حدوث التغير كلمات جديدة إلى ذلك المستوى عوملت معاملة جديدة. من ثم يلتقى فى اللهجة الواحدة مستويان أو أكثر. ويرجع كل مستوى منها إلى تغير تاريخى معين أو إلى مرحلة تاريخية محددة. فالكلمات الهابطة فى مرحلة تالية من الفصحى إلى اللهجة تحتفظ بظواهرها الصوتية وتخضع لتغيرات صوتية تخالف الألفاظ الأساسية فى اللهجة. فعنى الرغم من وجود التغير الصوتى الخاص بتحول الشاء إلى تاء فى لهجة القاهرة، لا أحد يقول "الثورة" بالناء بل تنطق هذه الكلمة فى تلك اللهجة كما لو كانت بالسيس أو بالصاد. وكذلك كلمة "الثروة" وكلمة "ثانية" بمعنى ٦٠/١ من الدقيقة. فهذه الكلمات ليست من الألفاظ الأساسية فى اللهجة القاهرة، ولذا لم يسر عليها قانون

تحول الثاء إلى تاء. وهذه الكلمات هابطة في مرحلة حديثة من المستوى الفصحى إلى المستوى العامي، وفي وقت لم تكن اللهجة المحلية تعرف الأصوات بين الأسنان ومن ثم لم تحتفظ هذه الكلمات بالثاء وإنما حلت محلها السين في محاولة غير كاملة لمحاكاة الفصحى، ولكن هذه المحاكاة غير الكاملة تتخذ أيضاً شكل النظام المتكامل إذ حلت مجموعة الأصوات الصغيرية أو أصوات الصغير وهي السين والزاي مع صوت ليس له في الفصحى مقابل هو الزاي المطبقة، محل الثاء والذال والطاء على التوالي.

وهكذا توضح القوانين الصوتية تنوع المصادر التي زودت اللهجة الواحدة بمفرداتها، فالألفاظ الأساسية تخضع لقوانين، والألفاظ الهابطة من الفصحى وكذلك الألفاظ الدخيلة من لغات أخرى تخضع لقوانينها الصوتية الخاصة بها.

٣- التغيرات الصوتية السياقية

هي تغيرات صوتية مشروطة وليست بتغيرات تاريخية، بل هي هي تغيرات تحددها طبيعة الأصوات المحيطة بالصوت موضع التغير. ومن أهم هذه التغيرات.

(١) المماثلة

لاحظ سببويه أن بناء وزن افعل من الفعل ضرب ليس: *اضرب، كما هو القياس، بل "اضطرب"، وكذلك وزن افعل من المادة "صبر" ليس: *اصتبر، كما هو القياس، بل: اصطر. وقد فسر سببويه هذه الظاهرة تفسيراً يستقيم في مجموعة مع البحث اللغوي الحديث. وإذا نظرنا في العناصر الحاسمة في هذا التغير لاحظنا أن الضاد والصاد وكذلك الطاء من أصوات الأطباق. تشترك الطاء مع الثاء في كل خصائصها النطقية، إلا أن الثاء غير مطبقة والطاء مطبقة، فالتحول الذي حدث يتلخص بالصيغة التالية:

(ص + ث) ← (ص + ط)

(ض + ت) ← (ض + ط)

(مطبق + غير مطبق) ← (مطبق + مطبق).

ويمكن بيان عدد من التغيرات الصوتية في بنية الكلمة بصيغة مماثلة،
 ممثلاً كلمة "ازدهر" هي وزن افعل من المادة "زهر" وما حدث يمكن
 إيضاحه بحث خصائص الزاى والذال والتاء من ناحية الهمس والجهر.
 فالسمة الحاسمة هنا أن الزاى صوت مجهور، أى أن الوترين الصوتيين يهتز
 بشدة عند النطق به. أما التاء التى كنا نتوقعها فى وزن افعل من المادة 'زهر'
 ليكون الفعل * ازتهر* فهي صوت مهموس، أى لا يتوتر الوتران الصوتيان عند
 نطقها. وما حدث يتلخص فى أن توتر الوترين الصوتيين فى نطق الزاى استمر
 بعد المدة الوحيدة جدا التى ينطق فيها صوت الزاى، فأعضاء النطق عند
 الإنسان دقيقة، ولكن لدقتها حدودا. لقد استمر توتر الوترين الصوتيين عند
 النطق بما كان يظن أنه سيخرج تاء، وهنا نطقست الذال. وبعبارة أخرى إذا
 أضفنا إلى التاء بكل خصائصها الصوتية توتر فى الوترين الصوتيين نطقنا ذالا،
 فالتاء صوت لا يختلف عن الذال إلا من هذا الجانب. ويمكننا تلخيص هذا
 التغير فى الصيغة التالية :

(ز + ت) ← (ز + د)

(مجهور + مهموس) ← (مجهور + مجهور)

وهكذا يمكن تفسير أبنية (افعل) من الأفعال التى تبدأ بصوت مطبق
 أو بصوت مجهور وفق الصيغتين المذكورتين، كلنا هما تدخّل فى إطار
 المماثلة، وذلك لأن الصوتين الناتجين أقرب إلى بعضهما من الصوتين اسبقين
 على التغير.

توصف المماثلة بين الحركات بأنها التوافق الحركى Vocalic
 Harmony ومعناه أن حركات المقاطع المتابعة تتماثل بشكل ما، وتعد

ظاهرة انوافق الحركى من السمات الأساسية لبنية عدد كبير من اللغات، منها اللغة التركية. واللغة التركية لغة إلصاقية تظهر وحدتها الصرفية على شكل لواصق تتحق وفق نظام خاص بالكلمة الأساسية، ولذا تتخذ اللاحقة الواحدة عدة أشكال. فحرف الجر (إلى) فى اللغة العربية يؤدي فى اللغة التركية عن صريق لاحقة، هى عبارة عن وحدة صرفية مقيدة. ويتضح هذا فى اللغة التركية من مثال اللاحقة الدالة على معنى (إلى)، فهى إما (e) مثل eve إلى المنزل، أو (a) مثل ormana إلى العابة، فالحركة الأساسية فى الكلمة حددت الصورة المناسبة لها فى اللاحقة:

$$1- \text{eve} + \text{e} = \text{eve}$$

$$2- \text{orman} + \text{a} = \text{ormana}$$

(ب) المغايرة

المغايرة نقيض المماثلة، تؤدي المغايرة إلى أن تصح الأصوات المكونة مختلفة بعد أن كانت متفقة أو متقاربة.

وتتضح المغايرة من الأمثلة الآتية :

ن ن —> ل ن - عنوان — علوان

ل ل —> ل ن - لعل — لعن

ر ر —> ر ن (كرسار Corsar) — قد صان

وكل هذه الأمثلة توضح أن الصوتين الناتجين متباعداً عن الصوتين الموجودين فى الكلمة الأساسية، ولذا فالتغير الحادث مغايرة.

(ج) القلب المكاني :

القلب المكاني ظاهرة صوتية تعنى تبادل صوتين لمكانيهما، بأن حل كل منهما محل الآخر

وهناك ثنائيات كلمات مألوقة لنا فى اللهجة المصرية تعطى أمثلة للقلب المكاني
مها: أرانب ← أنارب، ملاعق ← معالق، مسرح ← مرسح.
وهناك أمثلة للقلب فى التراث العربى، ولكن واقع الحياة اليومية يعطى
أمثلة أكثر.

الفصل السادس

بناء الكلمة

تتكون كل لغة من اللغات من عدد محدود من الوحدات الصوتية، وتعر اللغة بهذا العدد المحدود من الوحدات الصوتية عن الجوانب المتنوعة من الحياة والفكر، والبنية المعوية لا تتكون من الوحدات الصوتية مفردة، بل تتألف اللغة من الوحدات الصوتية مركبة في أبنية مختلفة. فالصوامت (ك+ت+ب) يمكن أن تتخذ عدة ترتيبات، وهي (ك ت ب، ك ب ت، ب ت ك، ت ك ب، ب ك ت، ت ب ك). وقد أفادت اللغة العربية من عدد من هذه الترتيبات المتاحة، وعندما بحث الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري أصوات اللغة العربية، وحدد المواد اللغوية الممكنة - نظرياً - لاحظ أن كثيراً منها ليس له استخدام في الواقع اللغوي العربي، فأطلق عليه مصطلح "المهمل". أما المواد اللغوية الموجودة - فعلاً - فكانت عنده تمثل "المستعمل". إن المادة اللغوية الواحدة - مثل (ك ت ب) - ليس لها وجود مباشر، فليست هناك كلمة واحدة في العربية تتألف من هذه الصوامت وحدها دون إضافات. فالفعل (كتب) يتكون من تتابع الكاف والفتحة والتاء والفتحة والباء والفتحة. وبقية كلمات هذه المادة تتكون بإضافات إلى صوامتها. وهذه الإضافات تكون في مواقع مختلفة من الكلمة، كأن تكون في البداية وتسمى السوابق Prefixes، أو في الوسط وتسمى الدواخل Infixes، أو في الآخر وتسمى اللواحق Suffixes. وقد تتكون أبنية صرفية بأكثر من إضافة كما نجد في كلمتي : مكتوب، وكتابة. ومجال البحث في الصرف أو بناء الكلمة هو دراسة الوسائل التي تتخذها كل لغة من اللغات لتكون الكلمات من الوحدات الصرفية المتاحة في تلك اللغة.

أولاً : الوحدات الصرفية :

المصطلح الأساسى فى التحليل الصرفى الحديث هو مصطلح المورفيم Morpheme أى الوحدة الصرفية. إن الباحث اللغوى يحاول تقسيم اسلسلة الكلامية إلى عناصرها المكونة ثم يصف هذه العناصر، كانت المرحلة الأولى فى هذا التقسيم على مستوى التحليل الصوتى، وبذلك أمكن تعرف الوحدات الصوتية المكونة للسلسلة الكلامية. والمرحلة التالية فى التقسيم تهدف إلى تعرف الوحدات الصرفية. وهناك تعريفات كثيرة للمورفيم عند مدارس البحث اللغوى الحديث، غير أنها تتفق فى أنها تعد الوحدة الصرفية أصغر وحدة فى بنية الكلمة تحمل معنى أو لها وظيفة نحوية فى بنية الكلمة.

لقد عرف اللغوى بلومفيلد المورفيم بأنه "صيغة لغوية لا تحمل أى شبه جزئى فى التتابع الصوتى والمحتوى الدلالى مع أية صيغة أخرى". ومعنى هذا الباحث فى تقسيمه للسلسلة الكلامية يقسم الكلمة إلى أجزائها الحاملة للمعنى أو للوظيفة النحوية، وهذه الأجزاء الحاملة للمعنى أو للوظيفة النحوية لا يمكن تقسيمها إلى أجزاء أصغر منها ذات معنى أو وظيفة نحوية. وحتى نوضح رأى بلومفيلد فى الفونيم يمكن النظر فى الكلمات الانجليزية :

read, reads, reading, sing, sings, singing

نلاحظ العلاقة بين الكلمات الثلاث الأولى فى وجود read وبين الكلمات الثلاث الأخرى فى وجود sing ، ثم نجد بعد هذا أن كلمتى sings, reads تنتهيان بهاية صوتية واحدة لأداء الوظيفة النحوية نفسها، وبالمثل نجد كلمتى singing, reading تنتهيان بهاية واحدة ing لأداء الوظيفة النحوية نفسها. ومعنى هذا، أن اللغة الإنجليزية تعرف هذه العناصر الصغيرة باعتبارها حاملة للوظائف النحوية، وهى المورفيمات أو الوحدات الصرفية. والوحدات الصرفية هى أصغر وحدات حاملة للمعنى، فإذا حاولنا أن نقسم ing إلى عناصرها المكونة لما عرف لكل وحدة صوتية من وحداتها المكونة أى معنى نحوى فى إطار بنية اللغة الإنجليزية.

إن التقسيم المباشر على النحو السابق مناسبة بشكل واضح عندما يكون الباحث يصدد تحصيل اللغات الإلصاقية Agglutinative Languages، وهي كثيرة فى العالم المعاصر. فإد بطرما فى المثال التركى Evididir (ويعنى : هو فى المنزل) أمكننا بالطريقة السابقة أن نتعرف الوحدات الصرفية الآتية : ev بمعنى منزل، de هى لاحقة المكانية، dir هى اللاحقة الخاصة بالوجود. ولكن التقسيم المباشر متعذر بهذه الطريقة فى اللغات المعربة Inflectional Languages، ولهذا ظهرت فكرة الوحدات الصرفية والصور الصرفية.

إن إمكان وجود الوحدات الصرفية على نحو غير مباشر، فى حين تظهر لنا صورها الصرفية على نحو مباشر - تعد من الحقائق التى تنطلق منها نظريات حديثة فى التحليل الصرفى. ويكفى لإيضاح هذا أن نقارن نهاية الجمع فى الإنجليزية فى الأمثلة الآتية لنجد نهايات مختلفة لأداء الوظيفة النحوية الخاصة بالدلالة على جمع الاسم: glasses(iz), pens (z) , books (s)

أما المعنى الذى تحمله هذه النهايات فهو معنى الجمع، ويمكن تعرف الوقع الصوتى لهذه النهايات بمقارنة الكلمات المذكورة بصيغها فى المفرد. إن هذه النهايات المختلفة تدور فى إطار واحد من الناحية الصوتية، فالفرق بين (s) ، (z) أن الصوت الأول مهموس والثانى مجهور، وكأننا بهذا قد فسرنا بالحوار الصوتى تعدد هذه النهايات. توزيع هذه النهايات على النحو التالى : بعد مجموعات الأصوات المعروفة باسم الأصوات السينية sibilants مثل (s),(sh) والأصوات المركبة الاحتكاكية مثل (ch) تأتى فى الجمع النهاية (iz). هذه صورة صرفية أى الومورف. وثمة صورة صرفية أخرى تكون بعد بقية الأصوات المجهورة، وهنا تكون النهاية (z)، والصورة الصرفية الثالثة تكون بعد بقية الأصوات المهموسة تأتى النهاية (s). والنهايات الأحيرون فيها درجة من المماثلة، فإلى حوار الصوت المهموس جاءت النهاية (s)، وإلى حوار الصوت المجهور جاءت النهاية (z)، ولكن كل هذه النهايات المختلفة

والتي يمكن تفسير اختلافها صوتياً تؤدي وظيفة واحدة في بنية الانجليزية، وعلى هذا فهي صور صرفية مختلفة لوحدة صرفية واحدة. الصور الصرفية allomorphes لها وجود مباشر منطوق مسموع، أما الوحدة الصرفية الجامعة لها فلا شك أنها موجودة، ولكن وجودها غير مباشر.

ويمكن إيضاح الفكرة نفسها بمثال عربي، فالفرق بين (ضرب) و(اضطرب) من ناحية البنية الصرفية هو الفرق بين (قرب) و(اقترب). التغير ليس واحداً من الناحية الصوتية، على الرغم من اتحاد الوظيفة في بنية اللغة، ومعنى هذا أن التاء تأتي هنا في حوار صوتي بعينه والطاء في حوار صوتي آخر. وشبه بهذا أمر التاء والذال في (قرب) و(اقترب) من جانب، و(زهر) و(ازدهر) من الجانب الآخر، فالتاء في حوار بعينه والذال في حوار صوتي آخر. ومعنى هذا أن (التاء) و(الذال)، (الطاء) في هذه البنية، ويؤدي هذا إلى القول بوجود ثلاث صور صرفية لوحدة صرفية واحدة.

هناك عدة اتجاهات في تصنيف الوحدات الصرفية، منها التصنيف الشكلي إلى وحدات صرفية حرة free morphemes ووحدات صرفية مقيدة bound morphemes. والفرق بينهما أن الوحدات الصرفية الحرة يمكن أن توجد مستقلة أي منفصلة على عكس الوحدات الصرفية المقيدة التي لا توجد إلا مرتبطة أي متصلة. ومثال هذا في العربية الضمائر، فيها المنفصل وفيها المتصل. الضمائر المنفصلة وحدات صرفية حرة، والضمائر المتصلة وحدات صرفية مقيدة. ويمكن أن نجد في الكلمة الواحدة وحدات صرفية حرة وأخرى مقيدة فكلمة (مصريون، مصريين) تتكون من وحدة صرفية حرة (مصر)، ثم وحدة صرفية مقيدة مكونة من الكسرة والباء المشددة (iyy) ولها وظيفة صرفية وهي تكوين صيغة النسب، ثم تأتي بعد ذلك وحدة مقيدة أخرى هي الضمة الطويلة في الحالة الأولى والكسرة الطويلة في الحالة الثانية، ولكل وحدة صرفية منهما وظيفة إعرابية للدلالة على الرفع أو على النصب والجرح، وبعد هذا كله تنتهي الكلمتان بوحدة صرفية مقيدة (na) تشير إلى كون الكلمة غير مضافة. ومن

هذا، كله نخرج بأن في الكلمتين المذكورتين وحدة صرفية حرة واحدة، وعدة وحدات صرفية مقيدة، لها وظائف النسب، والجمع المرفوع، أو الجمع المنصوب والجرور، وحالة عدم الإضافة. وتقسيم سلاسل كلامية مختلفة ومتنوعة في اللغة العربية من شأنه أن يعطي بقية الوحدات الصرفية في العربية وتوزيعها، أى مواضع استخدامها، من الجانب الآخر. فالوحدات الصرفية في كل لغة من اللغات تتخذ مواقع خاصة بها.

وثمة تصنيف آخر للوحدات الصرفية قد يكون أقرب إلى طبيعة الأوزان في العربية، وهو تقسيم الوحدات الصرفية إلى تنابعية وغير تنابعية. الوحدات الصرفية التنابعية Sequential morphemes. هي الوحدات الصرفية التي تكون مكوناتها الصوتية من الصوامت والحركات متتابعة دون فصل يفصل بين هذه المكونات، وهذا النوع ما نجده في الضمائر المتصلة بالفعل، وكذلك في الوحدات الصرفية المقيدة في المثال العربي السابق وكذلك في المثال التركي المذكور. وأيضاً في المثال الإنجيزي السابق. أما الوحدات الصرفية غير التنابعية non — sequential morphemes فهي الوحدات الصرفية التي تأتي مكوناتها الصوتية من الصوامت والحركات متتابعة على نحو غير متصل، ومعنى هذا أن الوحدات الصوتية المكونة لها تتخللها وحدات صوتية لوحدة صرفية أخرى. مثال هذا كل ما يتعلق بالأوزان في العربية، فكلما (كاتب) تتكون من وحدتين صرفيتين غير تنابعتين، تتكون الأولى من الحروف الأصول (ك+ت+ب) وهي وحدة صرفية غير تنابعية لأن هذه الصوامت بدون حركات لا تكون تنابعاً متصلاً في أية كلمة عربية، وتتكون الوحدة الصرفية غير التنابعية الثانية من فتحة طويلة + كسرة. وهي كذلك وحدة صرفية غير تنابعية لأن أصواتها لا تكون تنابعاً متصلاً في أية كلمة عربية. وبذلك تعد الحروف الأصول في البنية الصوتية لعربية واللغات السامية الأخرى وحدات صرفية غير تنابعية، وتعد الأوزان في هذه اللغات أيضاً وحدات صرفية غير تنابعية أيضاً.

من الحقائق التي أبرزها علم اللغة الحديث أن لكل لغة ولكل لهجة سمها الخاص بها، وتختلف اللغات في بنية مفرداتها وقابليتها للتغير الداخلي والتعبير الإعرابي اختلافًا بينا. كل لغة وكل لهجة تعرف الكلمات، لكن أنماط هذه الكلمات تختلف من لغة لأخرى ومن لهجة لأخرى، وهنا يهتم علم اللغة الحديث بدراسة الأنماط التي تتخذها كل لغة لمفرداتها دون أن ينظر إليها بمعيار الحسن أو لقيح، بل يحاول تحديد وسائل بناء الكلمة في كل لغة هادفاً إلى تقرير الحقائق دون قدح أو مدح. وإذا كان بعض اللغويين قد لاحظ وجود التغير الأعرابي في العربية الفصحى وعدم وجود أكثر ظواهره في اللهجات العربية وقلن وجود التغير الأعرابي فضلاً يجعل الفصحى مكانة فوق اللهجات، فالواقع أن مستويات الاستخدام اللغوي لا تستمد مكانتها من ابنية بل من استخدامها ومكانة المتعاملين بها ومستويات التعامل بها ومجالات استخدامها، ولا دخل في هذا لوجود الأعراب في لغة ما أو عدم وجوده في لغة أخرى. لا فضل لاسم على فعل، ولا لفعل على اسم، ولا لإعراب على بناء، ولا بناء على إعراب، وكل هذه تصنيفات عرفتتها العربية ولغات أخرى، وتخدم منها لغات كثيرة، فكل لغة نمطها الخاص في الوحدات الصرفية وتوزيعها ووسائلها المتعددة لبناء المفردات، ويمكننا أن نوضح فكرة النمط الصرفي واختلافه بين اللغات وتنوعه بمثال بسيط من لغة تختلف بنيتها عن اللغات السامية واللغات الأوربية التي يعرفها كثير من القراء، فاللغة السواحلية على الرغم من كون اسمها مشتقاً من كلمة عربية ومع كثرة عدد الألفاظ الدخيلة فيها من اللغة العربية، هي لغة من لغات البانتو التي تختلف في خصائصها عن اللغات السامية واللغات الأوربية من جوانب كثيرة، تصنف اللغة السواحلية الأسماء طبقاً لنظام السوابق، فيها مثلاً مجموعة تبدأ في المفرد بالصوت m في المفرد وفي الجمع بالمقطع wa، فوجود هذه الميم في أول الاسم المدرج في هذه المجموعة دليل على كونه مفرداً، ووجود المقطع wa علامة على كونه جمعاً، وعنى هذا فكلمة mtoto تعنى طفلاً، وكلمة watoto تعنى أطفالاً، وهنا نلاحظ أن

الأصل toto هو مجرد صيغة ذهنية مفترضة ليس لها وجود مباشر، أما الصيغ الحقيقية المدركة فتظهر من هذا الأصل مصحوبة دائما بالسابقة الدالة.

وسطر في مجموعة أخرى من الأسماء في اللغة السواحلية أيضاً، فيها أسماء تبدأ في المفرد بالمقطع **ki** وفي الجمع بالمقطع **vi**، فوجود **ki** في أول اسم منها دليل على كونه للمفرد، وعلى هذا فكلمة **kitu** تعني بالعربية "شيتا"، وأما أشياء فهي **vi-tu**، وبمعنى "ن يتوقف قليلاً عند الأمثلة السابقة لتوضح فكرة "الوحدة الصرفية" أو المورفيم، فعندما نستبدل السابقة **m** السابقة **wa** في المثال الأول، أو بالسابقة **ki** المقطع **vi** في المثال الثاني نكون قد عبرنا عن دلالة جديدة هي الجمع، وبهذا يصبح إحلال علامة محل أخرى تعبيراً للمعنى بواسطة صرفية، وهنا نتحدث عن السواحلية قائلين أن **ki, wa, m** مورفيمات أو وحدات صرفية.

ولننظر بعد هذا في العربية لنلاحظ مثلاً وجود وحدات صرفية تدل على التعريف والتكثير، فإذا قلنا "الولد" كما قد دللنا على التعريف السابقة "الـ" وعلى التكثير بنون التثنية، قد يتصور بعضنا أن تصنيف الأسماء إلى نكرة ومعرفة يعكس قسمة عقلية لا تستقيم أمور اللغة الإنسانية بدونها، وفي هذا نظر، فهناك لغات كثيرة لا تعرف تمييزاً بين نكرة ومعرفة، منها مثلاً اللغة التركية، فكلمة **ev** تعني المنزل أو منزل دون دليل فيها على تكثير أو تعريف. وقد يجد أحدهنا من المنطق أن تكون لتعريف في اللغة الواحدة أداة واحدة هي مثلاً "الـ" في العربية و **the** في الإنجليزية. ولكن لننظر مثلاً في اللغة الألمانية لنجد وحدات متعددة تدل على التعريف أو على التكثير، فالتعريف يظهر في الرفع بإحدى الأدوات التالية **der** للمذكر، **das** للمحايد، **die** للمؤنث، **die** لجمع، وكل هذه الأدوات في حالة الرفع، ولو شئنا الجدول كاملاً لذكرنا أدوات "حرى للمنصوب ومجموعة ثالثة للمجرور بحرف ومجموعة رابعة للمجرور بالإصاف، وليس في هذا دليل سمو أو ضعة. فعلم اللغة يقرر الحقائق لموضوعية ودور أحكام تقويمية، ولا شك أن تنوع أدوات التعريف والتكثير في

الأسمية بسبب ضيقاً شديداً لمن استقر في ذهنه النمط العربي لأداة التعريف العربية. فهي واحدة لا تتغير بغض النظر عن كون الاسم مذكراً أم مؤنثاً، مفرداً أم مثنى أم جمعاً. مرفوعاً أم منصوباً أم مجروراً، وهذا فرق بين نمطين متغايرين للغتين مختلفتين.

وتختلف اللغات في التغير الأعرابي إيجاباً وسلباً، فهناك لغات كثيرة تفرق بين ثلاث حالات مثل العربية والأكادية في العراق القديم، وقد أطلق النحاة على هذه الحالات الثلاث اسم المرفوع والمنصوب والمجرور، وهناك لغات تفرق بين أربع حالات إعرابية مثل الألمانية، وقد أطلق النحاة على هذه الحالات أسماء مختلفة تقابل في العربية: الرفع **Nominativ**، والنصب **Akkusativ**، والمجرور **Dativ** والإضافة **Genetiv**. وتحفظ هنا في الترجمة إذ إن النصب في الألمانية لا يقابل دائماً النصب في العربية، ويمكن مثلاً أن نسمي هذه الحالات: الحالة الأولى، الحالة الثانية، الحالة الثالثة، الحالة الرابعة، فتجنب بذلك إichاعات غير دقيقة. وهناك لغات تعرف حالات أكثر تنوعاً، فالتركية مثلاً تعرف الحالة المكانية **Lokativ** وتعرب عما نعبر عنه في العربية بالجار والمجرور، فمثلاً **ev** معناه منزل، **evde** تعني (في المنزل). فهل نقول بأن هذا النمط يفضل ذلك النمط أم العكس؟ واللغة الانجليزية لا تعرف تمييزاً بين حالات إعرابية، ولو جاز لنا أن نخلع سمات من النمط العربي على الانجليزية لقلنا بأن الانجليزية لا تعرف نصبا ولا رفعا ولا جرا. وفي اللهجات العربية الحديثة نجد حالة النصب في تعبيرات بعينها، مثل دائماً، شكراً، أهلاً، ولا نجد بعد هذه العبارات تمييزاً في المفرد بين المرفوع والمجرور، وأما في الجمع المذكور فقد استقر الأمر بضياغ التمييز بين المرفوع والمنصوب والمجرور.

ثانياً : الأصول اللغوية بين الثنائية والثلاثية :

كان نحاة القرن الثاني الهجري أقدم من حاول تصنيف أبنية المعردات في اللغة العربية وبحث أصولها وتحديد أوزانها. وفي كتاب سيبويه - وهو أقدم كتاب وصل إلينا في النحو العربي - جهد كبير في بحث الأنماط الصرفية، وفيه نجد فكرة الميزان

انصرفى الذى كان مفتاح فهم طبيعة بنية الكلمة لا فى العربية فحسب بل فى اسعادت السامية الأخرى أيضاً.

وتقول هذه الفكرة بوجود حروف أصول وحروف زوائد، الحروف الأصول يرمز لها فى الميزان الصرفى بحروف الفاء والعين والام، وحرف الزيادة هو ما يأتى بالإضافة إلى الحروف الأصول. فإذا قارنا بين الكلمات "كتب وكتب ويكتب ومكتوب وكتابة ومكتب ومكاتب" لاحظنا ارتباط فكرة ما بالكاف والتاء والياء بهذا الترتيب. وكى نوضح هذا نقول: أن المادة "كتب" ليس لها وجود مباشر فى الواقع اللغوى، ولابد من وضع حركات بين الكاف والتاء، وبين التاء والياء كي نحصل على صيغة الفعل الماضى، ولو تصورنا أن الأصل هو هذه الصيغة كاملة بصوامتها وحركاتها لكن فى وهم، المشترك فى هذه الكلمات تلك الحروف الأصول، كما يقول النحاة، وهى الكاف والتاء والياء على ذلك النحو التحريدى الذى ليس له وجود مباشر.

قال أكثر النحاة العرب بثلاثية الأصول، ورمزوا لهذه الأصول الثلاثة بالفاء والعين واللام، ويرمز إلى ما قل أو زاد عن ذلك فى وزن الكلمة، فكلمة "كتاب"، بوزن فاعل، وكذلك قائل، خالق، ماهر. عرفنا هذا بالمقابلة بين مفردات كثيرة بها الكاف والتاء والياء، وزدنا بين الفاء والعين فتحة طويلة وبين العين واللام كسرة، وهكذا حددنا هذا الوزن، أما كلمة : مُرٌ وكلمة: عِد وكلمة: يِع وكلمة: قُل "فأوزانها على التوالي، عُلٌ، عِلٌ، فُلٌ، قُلٌ، وذلك باعتبار أن فاء الفعل أو عين الفعل قد سقطت وهو ما عرفناه كذلك بالمقابلة بين كلمات من المادة نفسها، مثل "أمر ويأمر وأمر..... الخ". هذا هو منهج النحاة العرب فى تحديد الحروف الأصول ومقابلة الزيادة والنقص فى الميزان الصرفى.

وعندما بدأ البحث المقارن فى اللغات السامية زاد مجال المقابلة، فأتضحت أشياء حالت فى بعض الحالات رأى الشائع عند جمهوره النحاة العرب، ولسطر معا فى بحث النغوى العربى الرائد الخليل بن أحمد الذى كان صاحب فكرة الميزان

صريح في العربية مقارنة نظريته بجهد علماء المقارنات في أمثلة معينة. فقد لاحظ استحليل أنه قد جاءت أسماء لفظها على حرفين وتماها على ثلاثة أحرف، مثل: 'يد، ودم' وهم'. فالحليل يتجاوز الثنائية التي تبدو في هذه الكلمات ليحاول دراسة الكلمات المعروفة من المواد نفسها تحديد حروفها الأصول، ومهجه وضح في هذا فهو يقول: 'فإذا أردت معرفتها فاطلبها في الجمع والتصغير' وهنا نلاحظ مثل أن كلمة 'يد' وردت أيضا في كلمات أخرى مثل أيديهم، ويديه (بتشديد الياء سببية وفصح)، وهنا يلاحظ الحليل أن هذه الكلمة لا بد أن أصولها ثلاثية، وأنها تكونت في الأصل من الياء والبدال والياء، فهي على هذا ثلاثية الأصول وما يبدو منها في كلمة 'يد' ليس كل الأصول بل يظهر حرفان أصليان من ثلاثة. وشبه بهذا ما فعله الخليل بن أحمد في دراسته لكلمة 'دم'، فقد لاحظ وجود صيغ من هذه المادة وبها أصوات ثلاثة بدت له هي الحروف الأصول، ودرس الخليل كذلك 'فم'، ولاحظ الثنية: 'فموان' والجمع: 'أفواه'، فاستقر لديه أن الأصل هنا ثلاثي مكون من الحروف ف م و.

غير أن البحث اللغوي المقارن في القرن التاسع عشر انطلق من مادة أكثر فأدى بنا إلى نتائج مغايرة، لقد قارن اللغويون اللغات السامية والمختلفة، ومنها العربية والعربية الجنوبية والحشية والعبرية والفينيقية والآرامية والأكدية بحثا عن الشكل الأقدم الذي خرجت منه هذه اللغات، فأنتهى البحث بهم إلى أن اللغات السامية تعرف الأصل لثلاثي أساسا لأكثر المفردات، ولكن عددا منها قد تكونت عن أصل ثنائي، وقد أرتز بولدكه في دراسة له عن الأسماء الثنائية في اللغات السامية أن أسماء مثل: 'ويد، ودم'، أم من هذه الثنائيات المفردة في القدم، وأن تلك الصيغ التي تبدو من هذه المواد وكأنها ثلاثية تفسر باعتبارها تمثل اتجاهها في التغير نحو الثلاثية. بل وظهر بحثون يقولون بالأصل الأحادي لكلمة 'فم'، فالأصل في رأيهم هو تلك الياء التي تظهر عسرا مشتركا في كلمات هذه المادة في اللغات السامية، وهي تظهر مثلا في الكلمة لعربية التي وردتها كتب النحو العربي في تناولها للأسماء الستة. وهي كلمة

(ف، و، في) رفعا ونصباً وجراً، فهي تتكون من هذه الفاء وقد لحقتها حركة الإعراب صوية، وهكذا، أظهر البحث الحديث تعديلاً لفكرة الأصل الثلاثي التي سادت عند حمهارة، السحابة.

أدت النظرة الحديثة في ألفاظ عربية كثيرة إلى إيضاح ثنائية الأصول لعدد آخر من الكلمات. ولنقارن مثلاً كلمة "سحف" التي تبدو لأول وهلة بوزن 'فعل' بكلمة 'حف' التي تبدو أول الأمر تعديلاً طفيفاً لوزن فعل أيضاً، وبالمعل "استحف" لنلاحظ علاقة دلالية وعلاقة اشتقاقية، فاللغات السامية تجعل من النقل احتراماً ورحابة عقل وقديماً قالوا: أحلامه تزن الجبل رزاة"، وتجعل العربية الاحترام من مادة "ك ب د" الدالة على الثقل والرزانة وتكيد المشاق، وعلى العكس من هذا نجد الخفة والسحف والاستخفاف، وهنا نلاحظ أن المادة الأصلية لكلمتي "سحف، خف" لا بد أن تكون واحدة، هي الحاء والفاء. الأصل على هذا ثنائي وسع عندما كانت اللغات السامية تستكمل ملامح الثلاثية، وذلك بإضافة السين فتكونت كلمة "سحف" وتضعيف الفاء، فتكونت كلمة "خف". ومثل هذا يلاحظ بمقارنة كلمة "سكب"، "كب" في الفصحى والعامية؛ فالدلالة واحدة - والاشتقاق واحد، كلاهما من أصل واحد هو الكاف والباء، ثم وسعت الصيغة الثنائية الأولى بالسين فظهرت كلمة 'سكب'، وتشديد الباء كلمة "كب"، بإضافة السين والتضعيف وسيلتان توسلت بهما اللغات السامية في استكمالها لملامح الثلاثية في بناء الكلمة.

وهناك ألفاظ أخرى يتضح منها الأصل الثنائي وقد وسع بالون، ولنقارن الكلمات "ذل، نذل" لنلاحظ أن من أذل نفسه فهو نذل، ويتضح لنا من هذه الأمثلة أن الأصل يكمن وراء هذه الكلمات كان ثانياً مكوناً من الذال اللام، ثم وسع هذا الأصل لثنائي بطرق مختلفة منها إضافة النون، فتكونت كلمة "نذل"، ومثل هذا نلاحظه في: "قص ونقص" فقصر الشعر إتقاص له وقصر القماش كذلك، والأصل ثنائي وسع هنا بالتشديد وهناك إضافة النون، وهذا ما نجده أيضاً إذا قارنا: "جس

وحسب^١، فلمس بعض الأشياء - فى تصور ما إنجاس للامسها أو للشئ، ووضح أن الاشتقاق واحد، وقد وسعت المادة بالتضعيف هنا وبإضافة النون هناك. وهكذا اتخذت العربية وسائل مختلفة لتكون كلمات فيها محولة إياها من الثانية الأولى إلى الثالثة الشائعة.

وربما لا يخطر ببال العارفين بكتب النحو أن هناك وزنا يطلق عليه فى علم اللغة المقارن وزن شَفْعَلْ أو سَفْعَلْ وأن هذا الوزن هو وزن التعديعية القياسى فى بعض اللغات السامية. أمثلة ذلك الكلمات شعلق وشقلب وسهمد، نعرفها فى اللهجات العربية. وقد تصوّر لأول وهلة أنها كلمات مستحدثة، والواقع أنها ليست كذلك بل هى رواسب لوزن استخدم قديما فى اللهجات العربية الجنوبية القديمة التى وصلت من القرن الخامس قبل الميلاد فصاعدا، أن العربية الشمالية لا تعرف هذا الوزن وتستخدم للتعديعية فى مقابل ذلك عدة أوزان مثل أَفْعَلْ وَقَعْلْ (بالتشديد)، ونحن لا نستخدم فى العربية الفصحى الفعل شعلق بل عَلَّقْ، ولا نستخدم شقلب بل نقول قَلَبْ، ونقول مَهَّد بدلا من سهمد. والسين والثين هنا وهماك ليستا أصليتين بل هما من أحرف الزيادة. وهذا الوزن من أقدم الأوزان التى عرفتھا اللغات السامية، ويفيد التعديعية أى تكون فعل متعد.

ثالثاً : الأبنية الصرفية وتسمية المفردات

تناولت مجموعة قرارات أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة قضية "الاشتقاق، وقد أكد المجمع بهذه القرارات أن الحياة المعاصرة تتطلب اشتقاق كلمات لم ترد فى المعاجم العربية ويمكن صياغتها بعدة وسائل لغوية. كان اللغويون العرب فى عصر الحضارة الإسلامية قد سجلوا عدة ضوابط للاشتقاق، فأضاف المجمع إلى هذه القواعد قرارات فتحت مجال الاشتقاق لتكوين ألفاظ جديدة. كان قرار المجمع بحوار الاشتقاق من أسماء الأعيان منطلقا جديدا، لا يحافى روح العربية عنى الرعم من عدم ذكر اسحة الأقدمين له، فقد تصور جمهور النحاة أن الاشتقاق يصدر من الفعل

فحسب فائت المجمع أنه يصدر أيضا من الاسم، وأجاز اشتقاق صيغ جديدة وفق ضوابط واضحة. وتتلخص أهم قرارات المجمع في الاشتقاق في قضايا : المصدر الصناعي، وقياسية أوزان المصادر، والصفة المشبهة ، واسم الآلة، وصيغة النسب، وقياسية أبية الأفعال.

(أ) المصادر :

(١) المصدر الصناعي صيغة عرفت في العربية في عصر الحضارة الإسلامية في كمات مثل : الشعوبية، وكان قرار مجمع اللغة العربية حول المصدر الصناعي إقراراً صريحاً بصحة كمات كانت قد وضعت في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، فالطهطاوي يتحدث عن البدائيين ويصفهم بكلمة (السادجية)، وشبلى شميل يذكر (الإنسانية)، و(الحيوانية)، و(الحاذية) . وتكون صيغة المصدر الصناعي من الكمات بإضافة ياء النسب والناء. وقد أصبحت هذه الصيغة شائعة في العربية الفصحى المعاصرة للدلالة على المذاهب والتيارات والآراء. تكونت هذه الصيغة عند العرب المعاصرين بإضافة النهاية إلى أنواع مختلفة من المفردات منها :

- (اسم جمع + يه) ، مثلاً : قومية، جنسية، شعبية.

- (مصدر + يه) ، مثلاً : تقدمية ، اشتراكية، تعاونية، انهازمية.

- (اسم فاعل + يه) مثلاً : عاطفية ، جاذبية.

- (كلمة مركبة + يه) ، مثلاً : فيدرالية ، كلاسيكية ، رومانسية.

وفي كل هذه الصيغ نجد العربية الفصحى أفادت من هذه الإمكانية التي عرفها الاستخدام لتقديم بشكل محدود، وأجازها المجمع، وأصبحت صيغها شائعة في الكتابات المعاصرة في العربية العربية الفصحى.

(٢) أقر مجمع اللغة العربية قياسية أوزان المصادر للدلالة على معان محددة، وبهذا ارتبطت الصيغة بالدلالة على نحو مباشر في هذه القرارات:

- وزن (تَفَاعُل) للمساواة والاشتراك، مثل: تبادل، تحارب، تخاطب، تدخُل، تكامس، تصارع، تعارض، تعاوُن، تعايش.

- وزن (فُعَيْل) للدلالة على المطاوعة، مثل: التهاب، ابتكار، اجتماع، حتك، احتكار، احتمال، اختزال، ارتحال.

- وزن (فُعِيل) للدلالة على الصوت، مثل: صهيل، زكير، نجيب، غوي.

- وزن (فُعَانَة) للدلالة على الحرفة أو شبهها، مثل: نجارة، سبّانة، طبّانة.

- وزن (فَعْلَان) للدلالة على الثقل والاضطراب، مثل: غليان، حَفّان، هذيان.

- وزن (فُعَال) للدلالة على العرض، مثل: صدّاع، هُزال، كُسّاح.

(٣) أقر مجمع اللغة العربية جواز جمع المصدر عندما تختلف أنواعه، ونجد في الاستخدام المعاصر صيغاً كثيرة لجمع المصدر، منها: تحليل / تحليلات وتحاليل، تدريب / تدريبات، إرشاد / إرشادات، انتخاب / انتخابات، اشتراك / اشتراكات، استنتاج / استنتاجات، إعانة / إعانات.

(ب) المشتقات والأبنية الأخرى للأسماء:

(١) أقر مجمع اللغة العربية قياسية اشتقاق وزن (فَعَال) للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء وفي هذا استمرار للعرف اللغوي السائد في كلمات مثل: نجار، حداد، نجّار.

وأضاف قرار المجمع بعد هذا: إذا خيف ليس بين صانع الشيء وملازمه كانت صيغة فعال لصانع وكان النسب بالياء لغيره. فيقال: زحّاج لصانع الزجاج، ورجاجي لمائعه. ويبدو أن العصر الأخير من القرار لم يقبل في الاستخدام الحديث إلا بشكل محدود. وحل محله في المثال المذكور المضاف والمضاف إليه: بائع الزجاج.

(٣) أقر المجمع - انطلاقاً من استخدام وزن (فَعَال) - صياغة (فَعَّالَة) اسماً للآلة باعتبار أنها تقوم بالشئ على نحو مطرد ويتفق هذا القرار مع العرف اللغوي لسبب: غَسَّالَة، دَنَّا سَة.

وفوق هذا فقد درس المجمع الصيغ الواردة في الاستخدام اللغوي القديم لمدالة على الآلة. وأقر وجود الأوزان التالية لاسم الآلة: فَعَال، فَاعُول، وبهذا كنه أصاف المجمع هذه الأوزان التي لم تنص عليها كتب الصرف إلى الأوزان الأخرى. وبدت أصبح اسم الآلة من الصيغ التالية:

١) مِفْعَل	مبرد	أوزان نصت عليها كتب الصرف
٢) مِفْعَلَة	مقصلة	
٣) مِفْعَال	منشار، ميزان	
٤) فَعَالَة	سَمَاعَة	
٥) فَعَال	حِزَام، رِبَاط	أوزان اقراها المجمع
٦) فَاعِلَة	ساقية	
٧) فاعول	ساطرور	

(٣) أقر المجمع صحة صيغة النسب إلى الجمع. وكان نحاة البصرة قد ذهبوا إلى أن صيغة النسب لا تتكون إلا من صيغة المفرد. ولكن الاستخدام القديم عرف - أيضاً - تكوين صيغة النسب من الجمع، مثل: شعوبى، أنصارى، ملوكى، أصولى. وقد عرف الاستخدام العربى الحديث صيغتي (ذَوْلَى) نسبة إلى المفرد - من ناحية الصيغة، و (ذَوْلَى) نسبة إلى الجمع. وكلا الاستخدامين صحيح فى رأى المجمع. وستقرت الصيغة القياسية القديمة فى مصر، ويميل الاستخدام فى بعض الدول لعرية إلى الصيغة الأخرى بالنسب إلى الجمع.

(٤) أقر مجمع اللغة العربية جواز دخول (أل) على حرف النفى المتصل بالاسم واستعمانه فى لغة العلم. وفى هذا إقرار بصحة صيغ قديمة مثل: اللادرية. وقد

تكونت فى الاستخدام العربى الحديث عدة صيغ على هذا النحو: اللاهوائى -
اللاسلكى، اللاوعى، اللاشعور... الخ.

(جـ) قياسية أبنية الأفعال:

(١) كان قرار مجمع اللغة العربية بخصوص وزن (فَعَّلَ) لإفادة التعدية أو التكثير .
السبب أو السلب أو لوصف الحدث إقرارا لكثير من الصيغ المستخدمة، وانطلاقا
نحو صيغ أخرى، مثل: حضر، شخص، جسم، حل، شرع.

وأقر المجمع - أيضا - صياغة وزن (فَعَّلَل) من أسماء الاعلام الأجنبية
والكلمات الدخيلة عموما، ولهذا أقر المجمع: (بستر) من باستير Pasteur،
(وبلشف) من البلشفية، و (تلفن) من التليفون، و (فبرك) من الفابريكة أى المصنع،
و (جيس) من الجيس.

وأجاز المجمع كذلك صحة صيغة (فَيَّم) باعتبارها وزن فعل من القيمة وذلك للتمييز
بين (فَيَّم) أى عرف أو حدد القيمة، وبين (قَوِّمَ) أى أصلح أو عدل. ويتضح الفرق
الدلالى بين الفعلين بمقارنة: فَيَّم التمثال، قَوِّم التمثال.

وبهذا كان قرار المجمع بصحة صيغة (فَعَّلَ) غير مشروط بوجود وزن (فَعَّل) من نفس
المادة، فالاشتقاق جائز من الاسم العربى أو الأجنبى.

(٢) أجاز المجمع قياسية وزن (استفعل) للاتخاذ والجعل، مثل: استبعد، استهدف،
وكذلك لإفادة الطلب والصبرورة، مثل: استخرج، وفى هذا إقرار للعرف القديم مع
جواز الاشتقاق القياسى منه.

(٣) أقر المجمع قياسية أوزان المطاوعة على النحو التالى.

- المعرل الثلاثى مطاوعه افتعل، إذا كانت فاء الفعل (ل / مـ / ن)، مثل
(نصف: انتصف).

- الفعل الثلاثى مطاوعة انفعّل، إذا كانت فاء الفعل أى حرف آخر، مثل:
(جذب: اسحب).

- وزن (فَعَّلَ) مطاوعة تفعّل (قرب: تقرب).

- وزن (فاعِل) مطاوعة تفاعل (صارع: تصارع).

- وزن (فعلِل) مطاوعة تفعّل (دحرج: تدحرج).

ويرجع اهتمام المجمع بأوزان المطاوعة إلى أنها شاعت في الاستخدام العربى منذ قرون، بدلا من صيغ المبنى للمجهول التى قل استخدامها فى الفصحى بعد أن انتهى من اللهجات. وفى كل هذه القرارات الخاصة بالاشتقاق كان مجمع اللغة العربية يعتمد على بحث الاستخدام اللغوى القديم ويضع القاعدة تسجيلا للعرف القديم وانطلاقا منه تيسيرا للاستخدام الحديث.

الفصل السابع

بناء الجملة

أولاً : مفهوم النحو :

بناء جملة أو النحو أو تركيب الجملة مصطلحات مألوفة في الكتابات المعاصرة للدلالة على مفهوم واحد، يتصل بالقواعد التي تحدد نظام الجملة في اللغة، وتجعلها قادرة على أداء المعنى الذي يريده المتحدث أو الكاتب فيوصل إلى المستمع أو القارئ. ومفهوم النحو طبقاً لهذا المعنى مألوف عند أعلام النحو العربي، وغير صحيح أن النحو عند جمهور النحاة اقتصر على ضبط النهايات الإعرابية، كما نجد عند بعض النحاة المتأخرين في مؤلفاتهم المدرسية الصغيرة. قضايا النحو عند أبي سعيد السيرافي (المتوفى سنة ٣٦٨هـ) منقسمة بين حركات اللفظ وسكنته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وتأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوحي الصواب في ذلك".

وهنا نجد - أيضاً - بداية استخدام مصطلح "معاني النحو" الذي عده النحاة من مجالات عمل النحوي، وطوره البلاغيون إلى "علم المعاني". والسكاكي عرّف النحو بأنه "كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين منية عليها". والنحو هنا يبحث "تأليف الكلام" أو 'تركيب فيما بين الكلم"، ولهذا فإن البحث النحوي يعني التوصل إلى القواعد المفسرة لنظام تأليف الكلمات أو تركيب الكلمات في الجملة، حتى تؤدي المعنى المراد طبقاً لنظام اللغة.

لفكرة الأساسية لتحليل تركيب الجملة تنطلق من فكرة أساسية : ممارسة المتكلم أو الكاتب للغة ما تعني وضع الكلمات في تتابع مناسب للتعبير، ويكون هذا تتابع سبقاً لقواعد المنتجة لأنماط بناء الجملة. ويطلق على البحث في بنية اللغة على

مستوى التراكيب مصطلح النحو أو علم التركيب أو علم التراكيب أو قواعد الجملة، وليس كل تنوع في كلمات اللغة يؤدي إلى جمل صحيحة، فكل كلمة من كلمات الجملة قد تكون صحيحة في نفسها، ولكن تركيب هذه الكلمات قد يكون جملة صحيحة طبقاً للتعريف عليه في الجماعة اللغوية وقد لا يكون أية جملة مقبولة ومفهومة عند أبناء الجماعة اللغوية وقد لا يحمل أى معنى على الإطلاق. وكان سيبويه قد لاحظ أن أنماط المفردات قد تكون جملة سليمة من حيث التركيب والمعنى، وعبر عن هذا المفهوم بعبارة: "المستقيم الحسن"، مثل: أتيتك أمس وسأيتك غدا. هنا نجد تنوع الكلمات لتكوين الجملة صحيحة، ونجده في الوقت نفسه استخدم صيغة الفعل الماضى للتعبير عن الزمن الماضى مع كلمة أمس، كما نلاحظ استخدام السين الفعل المضارع للتعبير عن المستقبل مع كلمة غدا.

وفكرة الاهتمام بالمعنى الذى يحمله التركيب أصيلة فى التراث النحوى. خصص سيبويه باباً فى بداية كتابه عن الاستقامة والإحالة. وهنا نجد تناولاً مهماً لقضية مدى العلاقة بين صحة التركيب نحويًا ومدى استقامته لأداء المعنى. الكلام المستقيم الحسن يكون مستقيماً من الناحية النحوية وحسناً من الناحية الدلالية. أما الكلام المحال فهو الكلام الذى يبدو تركيبه النحوى سليماً، كأن يكون التركيب مكوناً من فعل وفاعل ومفعول به وظرف زمان، ولكن هذا التابع الصحيح نحويًا قد لا يحمل أى معنى على الإطلاق لأن كلماته متناقضة دلاليًا، مثل: أتيتك غدا، أو سأيتك أمس. والتناقض هنا بين فعل دال على الماضى وظرف زمان للمستقبل فى المثال الأول، وبين فعل دال على المستقبل وظرف زمان دال على الماضى فى المثال الثانى. وفى تصنيف سيبويه للأجمل من حيث الاستقامة والإحالة نجد أيضاً نوعاً ثالثاً وهو المستقيم القبيح، مثل: قد زيدا رأيت، كى زيدا يأتيتك. وهنا نجد تنوع الكلمات لا يتفق وقواعد بناء الجملة العربية. ومن هنا كان فكر سيبويه النحوى يربط بين قواعد التركيب، ويظهر أيضاً فى مدى اتفاق المكون الدلالي ونسق قواعد التركيب.

ثانياً : مفاهيم أساسية :

تكوّن على مدى القرون مفاهيم أساسية للتحليل النحوي نجد عدداً منها في التراث النحوي العربي. ومن أهم هذه المفاهيم ما يأتي :

١- لكل موقع نحوي صيغ صرفية خاصة به، ومعنى هذا مثلاً أن ما بعد حرف الجر في العربية يكون اسماً، ولا يكون فعلاً. حروف الجر تدخل على الأسماء ولهذا نجد في العبارة: في المدرسة، أو في العبارة: مع أحمد، أن ما بعد حرف الجر هو اسم. وبغض النظر عن كون اسم العلم أحمد له صيغة تشبه صيغة الفعل المضارع من الفعل حمد، فإن وروده بعد حرف الجر يقضي بكونه اسماً، وهو هنا اسم علم.

٢- بعض التراكيب النحوية تتكوّن من مكونين متلازمين. كل مكون منهما يتطلب وجود المكون الآخر، من ذلك: المبتدأ والخبر، إنّ واسمها، ولن والفعل المضارع المنصوب، ولم والفعل المجزوم، وحرف الجر والاسم المجرور بعدها.

٣- تتخذ الوظائف النحوية للمفردات ترتيباً محدداً يُحدده نظام "الرتبة"، أي ترتيب الكلمات في النمط الأساسي للجملة. مثال ذلك الجملة الفعلية، الترتيب الأساسي فيها: الفعل + الفاعل + المفعول به. وفي حالة عدم ظهور العلامة الإعرابية تكون الرتبة حاسمة لبيان الوظيفة النحوية : زارت سلوى منى، بعد الفعل يكون الفاعل وبعد افعال يأتي المفعول به. وتحدد الرتبة - أيضاً - وجود المعطوف عليه قبل حرف العطف والمعطوف، ووجود الموصوف قبل الصفة.

٤- إذا أمكن اللبس أمكن التحرر من الرتبة في حالات محددة، وذلك - على سبيل المثال - في الجملة الفعلية: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾. وهنا تكون العلامة الإعرابية مهمة لتحديد المعنى، فالمرفوع هو الفاعل والمنصوب هو المفعول به.

٥ ترتبط الحالة الإعرابية بالمعنى الوظيفي للأداة، فإذا تغير المعنى الوظيفي تغير لُغَر الإعرابي. مثال ذلك: الواو في العربية للعطف يكون لما بعدها حكم ما قبلها رفع أو نصباً أو جراً. ولكن الواو قد تكون للمعية، أى مع المفعول معه. وذئ مثلاً في سرّ والليل، ولا يجوز أن تكون الواو هنا عاطفة لأن الفاعل هنا لا يمكن عطفه على الليل فيكون مرفوعاً. الواو هنا للمعية وما بعدها مفعول معه منصوب.

٦- يجوز حذف أحد أركان الجملة عند إمكان الاستغناء. ذلك واضح - على سبيل المثال - في جمل الإجابة عن السؤال، فتكون الإجابة عن المسئول عنه مباشرة، دون ضرورة عمل جملة كاملة ظاهرة. ﴿وقيل الذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ السؤال هنا: ماذا أنزل ربكم؟ والإجابة: خيراً، أى أنزل ربنا خيراً. المحذوف هنا الفعل والفاعل مع المضاف إليه، والمعنى واضح، لأن السؤال كان عن المفعول به. ومن أنماط الحذف أيضاً خبر الجملة الاسمية بعد لولا، فالأداة لولا تتضمن من حيث المعنى عدم وجود الخبر، ولهذا فإن الآية ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾. دفع مبتدأ وخبره محذوف وجوباً، وكذا كل مبتدأ وقع بعد لولا، والتقدير: ولولا دفع الله الناس موجود (شذور الذهب ص ٣٦).

٧- تكامل عناصر الجملة ضرورى، وأركان الجملة، إذا لم تكن كلها ظاهرة وجب تقدير غير الظاهر منها. فعل الأمر لابد له من فاعل يوجه إليه الأمر، ومعنى هذا إذا قلنا: اكتب! كان التقدير اكتب أنت، الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت. ونفاعة هنا مستتر وجوباً، أى لا يجوز ظهوره، ولكن تكامل الجملة الفعلية يجعل المحوى يبحث عن فاعل، يوجه إليه الأمر ليقوم بالفعل.

ثالثاً: المادة اللغوية :

اقتصر التحليل فى التراث النحوى العربى على مادة لغوية مأخوذة من مراحل محددة فى تاريخ العربية. يدل مصطلح "السماع" عند النحاة وفى علم أصول النحو

على المادة اللغوية الموشوق بصحتها أى سلامتها وبكونها تمثل العربية المعصية. ويتضح من انصر فى كتب النحو من كتاب سيبويه إلى كتب السيوطى أن المستويات لدعوة لتساوئ النحوية ارتبطت بنظرية الفصاحة، فثمة مستويات يوثق بها وأحرى لا يوثق بمصاحاتها وتستبعد عند البحث وعند استخراج القاعدة النحوية. وأول هذه المستويات اللغوية اثنتى يوثق بمصاحاتها وسلامتها النص القرآنى. وفى هذا الصدد يقول اسبوصى: 'أما القرآن فكلما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به فى العربية سواء كان متواتراً أم آحاداً، أم شاذاً، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى عربية إذا لم تخلف قياساً معروفاً، بل ولو خالفته يحتج بها فى مثل ذلك الضرب بعينه وإن لم يحز القياس عليه كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس فى ذلك المورد بعينه ولا يقاس عليه'. وهذا النص يوضح موقفاً عاماً، ويذكر القراءات القرآنية كلها وييس أهميتها فى الدراسة النحوية ففيها مادة لغوية مفيدة، جعلت لغواً متميزاً وهو ابن جنى (المتوفى ٣٩١هـ) يحصص للقراءات كتاباً كبير هو المحتسب تضمن تحجيلاً لعدد كبير من القراءات التى تتجاوز ما اتفق الرأى على تصنيفه من القراءات السبعة.

ولهذا كتب السيوطى عن موقف الحجة من القراءات: "كان قوم من النحاة المتقدمين يعيرون على عاصم وحمة وابن عامر قراءات بعيدة فى العربية، وينسبونهم إلى النحى، وهم مخطئون فى ذلك، فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التى لا مطعن فيها، وثبوت ذلك دليل على جوازه فى العربية، وقد رد المتأخرون، منهم ابن مائث على من عاب عليهم ذلك بأبلغ رد واعتار جواز ما وردت به قراءاتهم فى العربية 'وهذه القضية يتطلب بحثها فى كل موضع نحوى مراعاة الوحدة والتسوع فى القراءات وملاحظة مواقف الحجة منها فى وضع القواعد أو القياس عليها، وهى - فى كل الحالات - مصدر مهم للدرس النحوى. يعد الاستشهاد بنصوص الحديث السوى من أدق المسائل المنهجية فى التحليل النحوى، "إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك نطق لرسول صلى الله عليه وسلم، إذ لو وثقوا بذلك لحرق محرق القرآن فى

إنشأت القواعد الكلية". وظل النحاة بعد ذلك يدورون في فلك الشواهد التي تدورها النحاة المكرون، فكانت الإضافات محدودة، وفي هذا السياق دخت شواهد حديثة ولكنها ظل قليلة بالمقارنة بالشواهد القرآنية والشواهد الشعرية.

تصم كتب النحو عدة آلاف من الشواهد الشعرية، وترجع هذه الشواهد إلى العصر الجاهلي والقرنين الأول والثاني للهجرة. وكانت الشواهد في كتاب سيبويه في صياغته الأولى غير منسوبة إلى أصحابها، ولكن الحاجة إلى نسبتها نجمت وبدأ أبو عمر الحرمي في تحديد قائلها. ظلت الشواهد النحوية المتداولة تتكرر في كل كتب النحو، فقد قصروا الاستشهاد على "عصور الاحتجاج" ورفضوا ما بعد ذلك، وكان موقف النحاة هنا أنهم "أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين". وهذا المبدأ طبق في كل كتب النحو وشذت في هذا الصدد استثناءات مشهورة ومعدودة، قيل: أول الشعراء المحدثين بشار بن برد، وقد احتج سيبويه في كتابه ببعض شعره تقرباً إليه، لأنه كان هجاء لترك الاحتجاج بشعره، وثمة أبيات أخر لشعراء عباسيين، منهم المتنبي. ولكن ندرة هذه الأبيات جعل بعض النحاة يبرر وجودها بأنه للتمثيل وليس للاستشهاد، فالقاعدة النحوية قامت على شواهد أخرى، ولكن هذه الأبيات أمثلة توضح القاعدة. وهكذا ظل المبدأ العام عند النحاة في الاستشهاد تحكمه عبارة الأصمعي: "ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة وهو آخر الحجاج". وهذه العبارة لها دلالتها الزمنية والمكانية، فابن هرمة ولد سنة ٩٠ للهجرة وتوفي بعد سنة ١٥٠ للهجرة، أي أن حياته تمتد حتى منتصف القرن الثاني الهجري، وكان أكثر مقامه في المدينة المنورة، ويعد بذلك من شعراء الجزيرة العربية.

ترد في كتب النحو عبارات من كلام العرب، وهذه المادة ترد في أغلب المواضع غير منسوبة إلى قبيلة محددة، وتنسب أحياناً إلى لغة معينة أي إلى لهجة قبلية. وكانت القبائل العربية الشمالية في نجد وما حولها المصدر الأول عند النحاة لتعرف كلام العرب، وفي صدر هذه القبائل "قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين

عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب في الإعراب والنصريف، ثم هذيل وبعض كثانة وبعض الطائنين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تحاور سائر الأمم الذين حولهم". ويلاحظ في الكلمات والعبارات المأخوذة من كلام العرب في كتب النحو عدم الاحتجاج في العربية الفصحى بلهجات أطراف الجزيرة العربية، وعلل الحاة ذلك باختلاط عربية تلك المناطق بلغات مجاورة، 'خالطوا' غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم". وفي هذا الصدد كانت اللهجات العربية الشمالية، أو "لغات العرب" الفصحاء تعد حجة. قال ابن جني: اللغات على اختلافها كلها حجة. وهذا الرأي تعبير عن موقف النحاة من اللهجات العربية البدوية حتى القرن الثاني الهجري، أما في أواخر القرن الرابع الهجري فكانت لهجات البدو قد حدث فيها تغيرات جعلت ابن جني نفسه يقول: "لأنكاد نجد بدوياً فصيحاً"، والمقصود بذلك الجوانب النحوية في لهجات البدو أما الجوانب المعجمية فكان الموقف منها مختلفاً، وقد جمع الأزهرى في أثناء أسره في شرقي الجزيرة العربية مفردات كثيرة عن البدو وضمنها في معجمه "تهذيب اللغة". وتدلنا كتب النحو منذ كتاب سيبويه على أن المادة المأخوذة من كلام العرب سمعت وجمعت ودونت في القرن الثاني الهجري ثم تناقشتها كتب النحو على مدى القرون.

لقد اقتصر النحاة على تلك المستويات اللغوية، ومن ثم كان رفضهم للعربية المولدة، أي العربية بعد القرن الثاني الهجري. وفي هذا الصدد كتب السيوطي: "أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة العربية". ومصطلح المولد من أقدم المصطلحات في علوم اللغة، فهذا المصطلح ورد في عبارات تنسب للأصمعي وغيره. كان الأصمعي يقول: "النحير ليس من كلام العرب، وهي كلمة مولدة". ومصطلح المولد يدل على الكلام المحدث بالقياس إلى عصور الاحتجاج وهو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم، وهكذا نجد التقابل بين "المولد"

من جانب وما يحتج به من الجانب الآخر. ويلاحظ في الأمثلة التي يوردها المعربون مع تصنيفها بأنه من المولد، أن نسبة منها تتخذ صيغاً عربية صحيحة، ولكن الكلمة نفسها لم تعرف في عصور الاحتجاج. ومن ذلك كلمة الحَبْرِيَّة خلاف القَدْرِيَّة صيغة المصدر الصناعي. ويعبر بعض المؤلفين عن المولد بكلمة محدث. ومن دسك كلمة: 'الطفيلي لغة محدثة لا توجد في العتيق من كلام العرب. كان رجل يكوفه يقال له طفيل يأتي لولاكم من غير أن يدعى إليها فنسب إليه"، أى أن المحدث يقبل عتيق. وفي عبارة أخرى: "زُبُون كلمة مولدة ليست من كلام أهل البادية".

رابعاً: الجملة بين النحاة والبلاغيين :

ورب قائل يقول : أليس هذا هو جهد النحاة العرب؟ وهنا نقول بأن البحث الحديث يفيد من كل الجهود العلمية السابقة ويتجاوزها نحو مزيد من الدقة والتفسير. النحاة العرب لهم جهد مشكور في دراسة بناء الجملة، ويكفى أن ننظر في كتاب سيبويه صاحب أقدم مؤلف وصل إليها في النحو العربي من القرن الثاني الهجري لنجد دراسة قيمة في بناء الجملة العربية.

ولكن أهم فرق يميز البحث الحديث في بناء الجملة عن البحث العربي يكمن في أن الجهد العربي دار - إلى حد بعيد - حول نظرية "العامل"، بينما يضع البحث الحديث هدفه دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة وسيلة للتعبير عن 'معنى'. وهذا يعد لمعنى عنصراً مهماً في دراسة بناء الجملة. ونوضح هذا بالنظر في بحث النحاة للفعل مضارع بعد "حتى" فقد لاحظوا أنه فعل منصوب، فنقول مثلاً: حتى أدخل، أو حتى أخرج أو: حتى تعمل.. الخ. وهذا يمكن أن نقول على نحو وصفي مباشر إن هذا التركيب يتكون من: "حتى + فعل مضارع منصوب" ولكن النحاة طرحوا بعد ذلك لسؤال التقليدي عن العامل في كون هذا الفعل المضارع منصوب. ورب قائل يقول: العامل هو كلمة: "حتى"، فيرفض جمهور النحاة مقرررين خطأ هذه المقولة، ويعلم النحاة هذا برأيهم في "العامل" فالعامل عندهم لا يعمل إلا مختصاً، الأفعال بها

عو منها، الأسماء لها عواملها، وليس ثمة عوامل تعمل في الأفعال والأسماء. وهذا يتساءل النحاة : هل "حتى" من عوامل الأسماء أم من عوامل الأفعال، فيقول أنكرهم : إنها من عوامل الأسماء فهي تجر الاسم مثل : ﴿حتى مطلع الفجر﴾. وإذا كانت كذلك فلا بد من كونها مختصة بالأسماء، أى أبها لا تؤثر إلا في الأسماء، ولا بد أن يكون ما بعدها اسماً، وهنا يقول أكثر النحاة: إن التركيب "حتى + فعل مضارع منصوب" ينبغي أن يفسر تقديراً من خلال أن المقدرة المحذوفة : أن والفعل المضارع المنصوب في تأويل مصدر مجرور بحرف الجر حتى. إن علم اللغة الحديث يدرس التركيب واصفاً له محللاً له في اللغة الواحدة أو مقارناً إياه في المجموعة اللغوية، وهنا نقول أن تعميق البحث يتم بأدوات تختلف عن الجدل المنطقي في نظرية العامل والاختصاص.

ولنوضح طبيعة جدل النحاة في موضوع العامل بمثال آخر فقد لاحظوا ورود الفعل المضارع منصوباً بعد : كى ، لكى ، كى لا ، لكى لا ، كى ما.. وكان من الممكن الاكتفاء في وصف هذا بمعادلات بسيطة على غرار: "كى + فعل مضارع منصوب"، ولكنهم طرحوا السؤال حول العامل، والعامل لابد أن يكون واحداً ولا يجوز أن يتعدد، فقام النحاة بعملية تحليلية معقدة ففى الآية ﴿لكى لا يكون على المؤمنين حرج﴾، أعربوا لكى فجعلوا اللام حرف جر وجعلوا كى والفعل بعدها مصدرٌ مجروراً باللام، إن مثل هذه الظواهر يبحثها علم اللغة الحديث بأسلوب معادلات تشبه المعادلات الرياضية بتساؤل دائم حول الوظيفة والمعنى والقرص، وفاعلية التركيب في التعبير عن معنى.

وقد أدى اختلاف نظرة اللغويين المحدثين للجملة عنها عند النحاة العرب إلى مباحث لم نل حقها من الاهتمام في كتب النحو التقليدية، فالشرط مثلاً، أو معنى أدق 'حملة الشرط' لم يدرسها النحاة في باب مستقل برأسه متنوع الأنماط مختلف الدلالات، بل تناولوها ضمن مباحث "جزم المضارع"، فاقصروا في بحثهم لها على

بحث العامل، فإذا كان التركيب: (إن تكتب أكتب) دار بحثهم حول العامل في حرم
 ندى حل بالفعل الأول وبالفعل الثاني، واختلفوا في هذا اختلافًا جزئيًا لا يحرر عن
 هذا الإطار، ولكن أهدأ كل ما يمكن أن يبحث في جملة الشرط العربية؟ هـك جمس
 شرط لا علاقة لها بالمضارع ولا علاقة لها بالحزم. فما مكانها في نظرية العامل لنى
 دار حولها البحث فى بناء الجملة عند النحاة العرب؟، فحن نقول: 'إن كتبتُ
 كتبتُ'، فلا نستخدم فعلا مضارعا بل فعلين ماضيين، وجملة كهذه لا مكان لها بين
 أنماط جملة الشرط فى كتب النحو العربى، ليس لأن هذا التركيب حدث فى لعربية
 بل لأن النظرة إلى جملة الشرط فى تكاملها فى البنية والدلالة نظرة حديثة معمقة، وقد
 سجل اللغويون المحدثون أنماطاً مختلفة من جملة الشرط العربية، وبعض هذه الأنماط
 لم يكن موضع اهتمام النحاة العرب، وذلك مثل: (إن + جملة فعلية ذات فعل ماض +
 جملة فعلية ذات فعل ماض) نحو: (إن قاتلونا قاتلناهم)، أو: (إن + جملة فعلية ذات
 فعل ماض + جملة فعلية ذات فعل مضارع). مثل: "إن افترقتم لم تجتمعوا"
 بعدها أبداً".

ويزداد الأمر تنوعاً إذا لاحظنا الأزمة المركبة واستخدامها فى جملة الشرط،
 وذلك مثل: (إن كنت أصبت فى .. فقد أخطأت فى ..). أما الشرط باستخدام 'إذا'
 و"لو" فلم يدرس عند النحاة العرب كأسلوب قائم برأسه بتركيبه وعلاقاته ودلالاته
 بحثاً مفصلاً، وكان حسهم هنا ضروباً من التقدير، ففى الجملة «إذا السماء
 انشقت» قدروا لاعتبارات نظرية بحتة فعلاً يبين إذا والفاعل، وانصرف اهتمامهم إلا
 الإعراب والعامل وتقديره وعمله.

ومن الأخطاء الشائعة عن اللغة العربية أنها لا تعرف مقابلاً لما يطلق عليه فى
 اللغات لأوربية اسم الأزمة المركبة، والواقع أن نحاة العرب لم يدرسوا هذه الظاهرة
 على الرغبة من وجودها فى أشكال مختلفة فى اللغة العربية ونحن اليوم نفرق بين
 "كنت" و"كنت كتبت"، و"كنت قد كتبت"، ولكل تركيب معناه الخاص به.

والاهتمام بالمعنى يؤدي إلى موضوعات التي عرفت عند القدماء باسم 'علم المعاني' أى : معانى النحو. ويكفى أن ننظر فيها لنجد فصولا فى بناء الجملة، مهم يفرقون مثلا بين الخبر والطلب، ولو طبقنا هذا لا تضح لنا مدى التجاوز فى رأى السحاة فى تقدير فعل عامل فى المنادى. فقد قدروا فى تركيب مثل : (يا كبير القضاة)، (أنادى كبير القضاة). ورغم كل المحاولات النظرية لتفسير هذا، التقدير، فلا بد من التحفظ وملاحظة الفروق بين الطلب والخبر. إن جهود البلاغيين العرب لها مكانها وتقديرها فى دراسة الجملة العربية، وهى المكمل الطبيعى لجهود السحاة فى هذا الميدان.

ولننظر مثلا فى دراسة البلاغيين لصيغ الأمر فى العربية، نجد عندهم فعل الأمر (اكتب، اكتبى، اكتباء، اكتبوا، اكتبن)، والأمر بالمضارع المحزوم بلام الأمر (لتكتب، لتكتبى .. الخ، واسم فعل الأمر (حذار، صَ)، والمصدر النائب عن الفعل الأمر نحو ﴿وبالوالدين إحسانا﴾. إن دراسة البلاغيين لهذه الإمكانيات التعبيرية فى العربية إسهام طيب لإدراك الوسائل المختلفة التى يعبر بها عن الأمر فى العربية. وشبهه وبهذا ما فعله البلاغيون فى دراسة الاستفهام وأساليبه المختلفة، فهناك استفهام بهل وبألهمزة وباستخدام من وما ومتى وكيف وأين.. الخ. ودراسة تكوين الجملة الاستفهامية بأدواتها وعلاقاتها ومعانيها مما يدخل فى علم اللغة الحديث فى دراسة بناء الجملة. وقد يما شغل كثير من النحاة بالنهاية الإعرابية، وأخذ عليهم البلاغيون عدم الاهتمام بالمعنى، فمزق الشكلى والمضمون، فهل لنا أن نأخذ بهما مجتمعين؟.

لقد درست كتب النحو الاستثناء مركزة البحث على العامل فى المستثنى، وكأن النهاية الأعرابية جوهر الأمر، فأكمل البلاغيون هذا الجهد بمحاولة طيبة لدراسة القصر، فهناك تراكيب مختلفة للقصر فى العربية، منها (لا .. إلا)، و(لم...إلا)، و(لن .. إلا)، و(إنما ..) الخ. شغل كثير من النحاة هنا بالنهاية الأعرابية لما بعد أداة الاستثناء فاصلين بين أداة النفى المقدمة وأداة الاستثناء التى جاءت بعدها، والأقرب إلى

واقع أن بدرس التركيب بوصفه أسلوب قصر، على نحو ما نجد عند السالاعين وعند النعويين المحدثين، والأداة هنا مركبة على نحو ما نجد في لغات أخرى كالإنجليزية not but أو الفرنسية ne que.

وصفوة القول : أن الدراسة الحديثة في بناء الجملة تهتم بترتيب الوحدت الصرفية في الجملة وتراعى الإعراب وتغيره للتعبير عن المعاني المختلفة، وهذا مما بحث قديما بين علمى النحو والبلاغة.

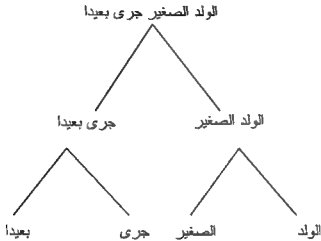
الفصل الثامن

المكونات المباشرة والنحو التوليدي التحويلي

أولاً : المكونات المباشرة

١- ترجع بدايات فكرة تحليل الجملة عند اللغويين في العصر الحديث إلى جهود نحوية كثيرة في القرن التاسع عشر، حاول أصحابها عمل دراسات وصفية للغات وبهجيات شتى، تختص كل دراسة بلغة محددة أو بلهجة معينة. وكانت هذه الدراسات روافد مهمة لعلم اللغة المقارن وبقدر الدقة في المادة التي تضمنتها هذه الدراسات كان العمل المقارن، وبقدر القصور فيها استمر القصور في الدراسة المقارنة. ولكن التفكير المنهجي في إيجاد أدوات ومفاهيم للوصف النحوي كان وراء مدارس كثيرة في الدرس النحوي الحديث. إن التفكير في صقل مناهج البحث النحوي كان عملاً تشترك فيه مدارس علم اللغة في القرن العشرين، وفي مقدمتها المدارس الوصفية والمدرسة التوليدية التحويلية. وقدّم علم اللغة في هذا الصدد عدداً من المفاهيم الأساسية منها مفهوم المكونات المباشرة Immediate Constituents يرجع هذا المفهوم إلى اللغوي الأمريكي بلومفيلد (١٩٣٣). ويمكن إيضاح هذا المفهوم بتحليل مثال عربي مماثل إلى حد بعيد للمثال الإنجليزي عنده. المثال العربي : الولد الصغير جرى بعيداً. هذا المثال يمكن تقسيمه إلى مكونين : هما : الولد الصغير، جرى بعيداً. المكون الأول يحل محل ذلك إلى مكونين اثنين : الولد، الصغير، أما المكون الثاني فيتكون من مكونين اثنين : جرى ، بعيداً، وعلى ذلك تكون المكونات النهائية للجملة كلها أربعة : الولد، الصغير، جرى، بعيداً. وتنظم هذه المكونات النهائية الأربعة في مكونين اثنين.

يكون هذا التحليل من أعلى إلى أسفل، فالجملة قسمت إلى قسمين كبيرين
سمى كل منهما المكون Constituent، ثم قسم كل مكون إلى مكونات حتى نصل
إلى المكونات النهائية Ultimate Constituents.



وهذا المنهج له طرائق تفصيلية مختلفة في مدارس اللغة قبل تشومسكي، ولكن نظرية
النحو عند المدرسة التحويلية التوليدية رأت - في هذا المنهج - الجوانب الآتية :

١- تعد فكرة المكونات المباشرة بداية تفكير جديد في التحليل النحوي، لقد ثبت أن
تتابع الكلمات في الجملة يقوم على علاقات محددة في داخلها. ونقرب هنا فكرة
بلومفيلد بمثال عربي هو : الرياضي القوى انطلق سريعا. يمكن تقسيم الجملة
السابقة إلى أربعة مكونات نهائية أو صغرى، وكل مكون هو كلمة واحدة. ولكننا
نجد كلمتين الأولى والثانية: الرياضي القوى، تكونان معا مكونا واحدا، وهو
تركيب من موصوف وصفة، ونجد الكلمتين الثالثة والرابعة تكونان مكونا ثانيا،
وهو تركيب من الفعل والمفعول المطلق المبين للنوع.

٢- مشكلة تحليل المكونات المباشرة تكمن في عدم إمكان تعرف غموض المعنى. وذلك أن فهم المكونات المباشرة لا يؤدي إلى كشف غموض جملة مثل : الطالب والتلميذ العربى لا يحتاج إلى هذا الكتاب. والغموض هنا عند القارئ الحديث يرجع إلى سؤال مهم : هل المقصود الطالب العربى والتلميذ العربى كلاهما يحتاج إلى هذا الكتاب، أم أن كلمة العربى تصف التلميذ فقط. وهنا نصل إلى نقطة مهمة تفرق منهج تحليل المكونات المباشرة عن المساهج الأخرى التى جاءت بعده، وذلك أن المستوى الظاهر لا يقدم سوى "البنية السطحية"، أما الغموض الدلالي نتيجة التركيب فتفسره "البنية العميقة".

٣- فكرة التوزيع من أهم الأفكار التى تكونت فى التحليل النحوى الحديث. وترتبط فكرة التوزيع بمعيار الاستبدال، ومعنى هذا أن العناصر القابلة للاستبدال تكون نوعا واحدا من أنواع الكلم. فى الحمل الاسمية: الطالب مجتهد، الطالبة مجتهدة، الطلاب مجتهدون، نجد الكلمات : الطالب، الطالبة، الطلاب. ويجوز فى هذه الجملة أن تحل هذه الكلمة محل تلك مع إحداث ما يلزم للمطابقة. ولهذا فهذه الكلمات تعد نوعا واحدا من أنواع الكلم. وعلى هذا الأساس فإن الكلمات التى تصلح مبتدأ أو خبرا أو فاعلا أو مفعولا تصنف نوعا واحدا، وهو: الاسم.

٤- تحليل المكونات المباشرة لا يمكننا من إدراك العلاقات بين الجمل المتقاربة فى المعنى، بل كل جملة لها خصوصيتها الشكلية وكأنها معزولة عن غيرها. ولعل أقرب أمثلة ترد إلى الذهن يطارد الأسد الفريسة أو الأسد يطارد الفريسة. فى منهج المكونات المباشرة الجملتان مختلفتان، الأولى فعلية والثانية اسمية، ولا صلة بينهما، ولكن مستخدم اللغة يرى المعنى متقاربا والصلة وثيقة بين الجملتين.

٥- يركز تحليل المكونات المباشرة على "مادة لغوية" محددة، أى على نص أو مدونة أو كلام مطوق. ومن هذا المنطلق يكون تركيزه على مستوى الكلام وليس على مستوى اللغة بمصطلح دى سوسير، أى على مستوى الأداء وليس على مستوى

الكفاءة اللغوية بمصطلح تشوسكى. ومن ثم لا يكشف عن القواعد محروسة في العقل والتي تمكن من الإنتاج اللغوى.

٦- لا يكشف هذا المنهج عن وصف العلاقات بين أنماط الجمل التي بينها علاقة في ذهن أبناء اللغة:

أ - العلاقة بين الحملة ذات الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول

كتب الطالب المحاضرة ← كتبت المحاضرة

ب - العلاقة بين فعل المطاوعة والفعل المبني للمجهول

نطلق الصاروخ → أطلق الصاروخ

ج - العلاقة بين الإثبات والنفي :

كتب المدرس ← لم يكتب المدرس

د - العلاقة بين الخبر والاستفهام :

حضر الطالب → هل حضر الطالب؟

٧- لا يكشف هذا المنهج عن وصف الفروق الدلالية بين التراكيب المتماثلة، وذلك مثل التركيب الإضافي المكون من مضاف ومضاف إليه :

كتابة الصحفي جيدة كتابة الموضوع جيدة

ثانياً : المنهج التوليدي التحويلي وبناء الجملة :

اتجه اللغويون منذ سنة ١٩٥٧ بصورة متزايدة إلى بحث بناء الجملة، فقد كانت موضوعات الأصوات وبناء الكلمة قد نالت نصيباً كبيراً من الاهتمام على مدى مائة عام، ولوحظت الثغرات في دراسة بناء الجملة فانصرف لغويون كثيرون إلى بناء الجملة، وارتبط هذا بالتزوع إلى الإفادة من الأجهزة الالكترونية في البحت النعوى

تحقيق مريد من الدقة والموضوعية. وهنا ظهر النحو فى التحويلي التوليدي Generative Transformational Grammar. والفكرة الأساسية فى النحو التحويلي انبويدي أن الوصف الدقيق للغة من اللغات إنما يعنى تحديد الإمكانيات التعبيرية لكامة فى هذه اللغة والتي يتقنى منها ويتوسل بها مستخدم اللغة إيجاباً وسلباً. فوصف الاستخدام اللغوى عند فرد بعينه ليس وصفاً لطاقت اللغة، بل تعرف للقدرة اللغوية لهذا الفرد. ومن هنا تجاوز فكرة النحو التحويلي التوليدي مجرد وصف الأداء العردي إلى محاولة تحديد "مجموع الإمكانيات التعبيرية" فى اللغة قيد الدراسة، وهذه الإمكانيات كامة عند مستخدم اللغة حتى إنه يستطيع بالمحتزن لديه منها أن يفهم جملاً وتعبيرات له يسبق له أن سمعها أو قرأها. وهذا هو معنى كون هذا الاتجاه "توليدياً"، أى أنه يبحث إمكانيات توليد الحمل الجديدة اعتماداً على إمكانيات اللغة.

ويوصف هذا المنهج أيضاً بأنه "تحويلي"، التحويل هنا وسيلة من وسائل تعرف على طبيعة العلاقات بين الوحدات التي نعرفها باسم الكلمات، ولننظر مثلاً إلى التركيب المكون من: "الاسم + الضمير". لحدد العلاقات الكامنة بين هذا الاسم وذلك الضمير متنوعة، ولنقارن بين أشياء تبدو من ناحية الشكل متضمنة لعلاقة واحدة مثل: (كتابى، أبى، وطنى، قميصى، دورى، سفرى). فهذه تعبر عن علاقات مختلفة وليس من الصحيح أن نقول: إنها علاقة الملكية، ولكى توضح تنوع هذه العلاقات نحاول نقل كل تعبير منها بمبدلين إياه بتركيب بديل مفسر للعلاقة. وسنجد تفسير العلاقة متفاوتاً متنوعاً. فكلمة كتابى تعنى الكتاب الذى ألفته أو الكتاب الذى أملكه. وهنا نجد علاقيتين تختلفان عن العلاقة الكامنة فى الاسم فى: "أبى" فالأب هو الإنسان الكبير الذى أنتمى إليه انتماء يولوجيا مباشراً، العلاقة هنا مختلفة عن العلاقتين الكامنتين بين لاسم والضمير فى: "معطفى" فهو المعطف الذى أملكه أو أرثديه لو كان المتكلم ممثلاً يقوم بدور معين، وهذه العلاقات مختلفة بدورها عن "بندى"، فالعلاقة هنا علاقة انتماء مواطن إلى وطن صغير أو كبير، وكل هذا مختلف عن العلاقة

بين الاسم والضمير في "سفرى"، أى السفر الذى قممت أو أقوم به، وهنا نلاحظ أن كل هذه الأشياء متفقة شكلا ولكنها مختلفة فى الدلالة على العلاقات.

فإن كان بصدد تصميم جهاز للترجمة الآلية لكان على اللغوى أن يزوده بالأشكال الصرفية المتاحة وبالعلاقات القائمة بينها فى اللغة المترجم منها واللغة المترجم إليها حتى يتمكن الجهاز من اختيار التعبير المقابل، وهنا نتبين أن أشياء كثيرة تبدو بسيطة ولكنها فى حقيقة الأمر متنوعة، تحتاج لأبراز هذا التنوع إلى التحويل حتى يتسنى لنا فهم العلاقات الكامنة بينها.

وهناك أشياء كثيرة لاحظها النحاة. ويفيد منها الباحث الحديث بالمنهج التحويلي إذا أراد تحديد العلاقات، وقد تحدث النحاة العرب موضحين علاقيتين كامنتين فى تركيب مثل "قُتل زيد". قد يكون زيد هو القاتل وقد يكون هو المقتول، وتعبير النحاة قد يكون هذا من قبيل إضافة المصدر إلى فاعله أو إلى مفعوله، ونستطيع بالمنهج التحويلي إدراك الفرق بينهما بأن نحرب لإحلال عن طريق التحويل، وذلك من خلال الفعل محل المصدر، نجد أن "قُتل زيد" تقابل: قُتل زيد (بفتح القاف)، أو قُتل زيد (بضم القاف) أى أن هذا المصدر يقابل الفعل المبني للمعلوم أو المبني للمجهول، وهذا ما يفسر كون هذا التركيب فى العربية حاملا إمكانييتين اثنتين فى التعبير، وعلى العكس من هذا نجد العلاقة الكامنة بين المصدر والمضاف إليه فى "وصول على" ذات دلالة واحدة، وهذا يرجع - كما يقول اللغويون - إلى كون مقابله هذا بالمنهج التحويلي فعلا لازما. ونستطيع كذلك بالمنهج التحويلي - أيضا - إدراك الفرق بين المفعول به الأول والمفعول به الثانى فى الجملة العربية، ففى الجملة "أعطيت التلميذ كتابا" يتضح الفرق الوظيفي بنقل هذه الجملة إلى المبني للمجهول. "أعطى التلميذ كتابا" "أعطى كتاب إلى التلميذ"، والمفعول الأول قابل لحرف الجر عند التحويل ولكن المفعول الثانى غير قابل لحرف الجر.

وأخيراً نود أن نقول بأن أصحاب المنهج التحويلى قدموا لنا وسيلة نستطيع بها إبراز اختلافات كامئة فى علاقات الوحدات الصرفية فى داخل الحملة. والسنوات القادمة كمية بإبراز مدى جدوى ذلك فى برامج الترجمة الآلية ومدى القصور فى ذلك. النظرية التوليدية التحويلىة تهدف فى المقام الأول إلى تعرف القواعد الكامنة فى العقل الإنسانى وراء تكوين الجمل فى اللغات الطبيعية.

ويقوم التحليل التوليدى التحويلى على ثلاثة مكونات :

أ - قواعد تركيب العبارة، ويمكن التوصل إليها عن طريق تحليل الحملة إلى مكونات صغيرة، وهكذا حتى يتم تحليل الحملة إلى أصغر عناصرها.

ب - القواعد التحويلىة، أى القواعد التى يمكن بواسطتها تحويل الحملة إلى جملة أخرى تتشابه معها فى المعنى، وذلك مع ملاحظة علاقات الجمل المتشابهة، والإجراءات التى تحدث لتجعل جملة على مستوى السطح تختلف عن الجمل الأخرى عن طريق :

١- الحذف ٢- التعويض ٣- التوسع ٤- الاختصار

٥- الزيادة ٦- إعادة الترتيب ٧- التقديم

ج- القوانين الصرفية الصوتية، وهى القوانين التى تشكل الحملة على مستوى البنية السطحية، ومن ذلك القواعد الصرفية والصوتية.

إن البحث العلاقة بين "البنية السطحية" و"البنية العميقة" يعد محورياً مهماً لتحليل بناء الحملة. وغموض دلالة البنية السطحية لا يفسر إلا على أساس تعدد الأبنية العميقة لها. فإذا قلنا : قرء الشاعر متعة، فهنا أحد أمرين أحدهما يتعلق بقرءة الشاعر بصوته وثانيهما يتصل بقرءتنا لشعره.

هذا اتعدد فى فهم التركيب فى البنية السطحية هو انعكاس لتركيبه فى البنية العميقة.

لا يكتفى التحليل النحوى بمعرفة التراكيب الموجودة بالفعل، بل عليه أن يحدد ما يقبه النظام اللغوى، وما لا يقبله. إن الجملة تمثل بالضرورة تنابعا من الوحدات الصرفية أو المورفيمات، ولكن ليس كل تنابع من الوحدات الصرفية يكون بالضرورة حمنا مفيدة. ولهذا فإن هناك قواعد تحدد كيفية تنابع هذه المورفيمات لتكوين جملة وأداء معنى. ومن هنا يميز نحويون معاصرون بين مصطلحي Grammatical بمعنى مصابق لتقاعد النحوية أو نحوى، وعكس ذلك Ungrammatical أى غير مصابق لتقاعد أو غير نحوى. وليس المقصود بطبيعة الحال المعرفة النظرية الواعية بذلك، بل هذا التصنيف عند النحوى يقوم على ما استقر عند أبناء الجماعة اللغوية. فإذا قلنا : الشجرة تتلمذ زرع، عرفنا كما يعرف أبناء العربية بحسهم اللغوى أن التركيب غير نحوى، أما التركيب النحوى فهو : زرع التلمذ الشجرة. وها يكون من مهام التحليل النحوى أن يكشف القواعد الدالة على الممكن وغير الممكن من حيث التركيب النحوى أو المكون الدلالى.

يهدف التحليل النحوى فى المدرسة التوليدية التحويلية إلى تعرف ما يأتى :

أ - الجمال الصحيحة نحوى، وهى الجمال التى يدرك ابن اللغة بالحدس اللغوى السليم أنها مفهومة ومقبولة.

ب - تركيب الكلمات والوحدات الصرفية طبقاً لنظام اللغة.

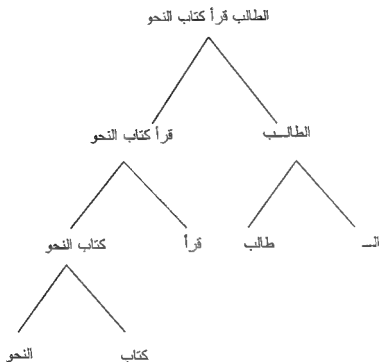
ج - معرفة الغموض البيوى، وكشف جوانب التراكيب ذات الغموض يردها إلى ما يقابلها فى البنية العميقة.

د - معرفة العلاقات بين الجمال المتماثلة فى المعنى.

هـ - معرفة الوظيفة النحوية لكل جزء فى الجملة.

ر - تعرف قواعد القدرة اللغوية لدى أبناء اللغة على إنتاج عدد لا نهائى من الجمال الممكنة طبقاً لقواعد اللغة وفهمها، لأنها صادرة عن منظومة القواعد المكونة للغة.

- يقوم تحليل بنية الجملة فى النحو التوليدى التحويلى على عملية تقسيم وتنشجر. تنقسم الجملة إلى أركان ثم إلى وحدات صرفية وتعرض بطريقة الشجرة المقلوبة.



الـ = طالب = مركب اسمى

قرأ = كتاب + النحو = مركب فعلى

الفصل التاسع

علم الدلالة المعجمية

أولاً : علم الدلالة

لا تقوم البنية اللغوية على مجرد تتابع الأصوات المكونة للأبنية الصرفية فى نسق الجملة، بل لابد أن تكون هذه الرموز حاملة للمعنى. وتعد قضية الدلالة من أقدم قضايا الفكر فى حضارات مختلفة، أسهم فيها فلاسفة ومناطقة ولغويون وبلاغيون وأصوليون من العرب وغيرهم، وتقدم البحث الدلالى فى إطار علم اللغة الحديث من جانبين، فمن الناحية المنهجية حدث تقدم فى نظرية الدلالة ومن الناحية العملية كان التقدم فى إعداد المعاجم. وفوق هذا كله، فقد أصبح البحث الدلالى موضع اهتمام المتخصصين فى الفلسفة والعلوم الاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية.

علم الدلالة من أهم جوانب علم اللغة، الاهتمام به قديم، واتجاهاته الحديث فى تقدم مطرد، وتطبيقاته فى إعداد المعاجم الكثيرة، وأهميته فى تعليم اللغات لغير الناطقين بها تتأكد يوماً بعد يوم. وعلى الرغم من ندرة البحوث العربية فى هذا المجال فى العصر الحديث فإن كتباً أوروبية وأمريكية كثيرة تناولت الدلالة والكثير من قضاياها. ولذلك فإن عدداً من المصطلحات الأوربية لتسمية هذا الفرع من فروع المعرفة قد تدولت فى البحوث المتخصصة.

وأهم هذه المصطلحات بالفرنسية (Semantique) وعنه أخذت الكلمة الإنجليزية (Semantics) والألمانية (Semantik). ويرجع المصطلح الفرنسى إلى العالم برييل (Bréal) فى عنوان كتاب له (١٨٨٣). وهذا المصطلح الأوروبى يرجع إلى اليونانية، اشتقه برييل من Semantikos بمعنى العلامة و Semaînein بمعنى دل. وكان برييل يريد به أن يسمى البحث عن الدلالة فى مقابل البحث الصوتى، وبعد هذا الكتاب من أوائل الكتب التى بحثت طبيعة الدلالة بوجهة نظر جديدة تضع سبة اللغة

موضوع البحث. وكان جهد برييل في هذا المجال مؤثراً في جمهور الساحتين في هذه القضايا، فانتشر مصطلحه وساد عند اللغويين وعند غيرهم. وثمة فرق بين جهد البعويين واهتمامات غيرهم، فأصحاب تاريخ الفلسفة - أيضاً - يستخدمون مصطلح Semantics في إطار بحثهم عن المعرفة، ويعنون به بحث العلاقة بين الكلمات وما تدل عليه في الواقع الخارجي. وأصحاب الفلسفة المعاصرة يستخدمون أيضاً هذا المصطلح في إطار نظرياتهم حول "النحو المنطقي" الذي يقوم على أساس تصور نظري مجرد يشبه المعادلات الرياضية. وليست له علاقة باللغة الطبيعية أو اللغات في واقعها المدرك. وليس من شأن البحث الدلالي عند اللغويين الاهتمام بتصوير نظري مجرد منبث الصلة بالواقع اللغوي الحقيقي، تاركين هذا الاتجاه لبحوث الفلسفة والمنطقية المعاصرة، أما تلك البحوث التي تعتمد على الواقع اللغوي، فهي عمل اللغويين وهي - أيضاً - موضع اهتمام وبحث عند بعض أصحاب الفلسفة المعاصرة.

وهناك مصطلحات أخرى سمي بها البحث الدلالي عند اللغويين في مؤلفاتهم باللغات الأوروبية، ومن هذه المصطلحات الألمانية Semasiologie، وعنه في الانجليزية Semasiology. وهذا المصطلح ساقى على مصطلح برييل بأربع وأربعين سنة، فقد ألف اللغوي الألماني رايسح مستخدماً هذا المصطلح سنة ١٨٣٩. وثمة فرق بين منهج رايسح وبحث برييل، الأول يبحث الدلالة في إطار المدرسة التاريخية وإنشائي يبحث البنية الدلالية. لقد حدد رايسح موضوع البحث - هنا - بأنه دراسة اقواعد العامة التي تفسر تطور المعنى، وكان هذا الهدف التاريخي أمامه في بحث الدلالة، فهو لا يهتم بالدلالة ووسائل تحديدها، ولكنه يهتم بتغير الدلالة ويحاول تفسير هذا التغير.

وإذا كان المصطلحان السابقان ينطلقان من الصيغة اللغوية في محاولة لتعرف دلالتها، فإن هناك مصطلحاً يستخدم للوجهة العكسية أي الانطلاق من المعنى في

محاولة للبحث عن الكلمة أو الكلمات الدالة عليه، ويطلق على هذا الاتجاه مصطلح Onomasiology أى "علم التسمية"، وقد أفادت معاجم الموضوعات من هذا الاتجاه مصنفت كلماتها موضوعياً.

بـ المصطلحات الأوربية الدالة على علم الدلالة كثيرة، تختلف اتجاهاتها وتعدد المدارس، وقد اقتصرنا على أهم ثلاثة مصطلحات. أما فى العربية فقد استقر مصطلح "علم الدلالة"، ويفضله جمهور الباحثين عن تسمية هذا الفرع باسم "علم لمعنى". ولعل من أهم أسباب تفضيل المصطلح الأول أصالته ووضوحه، وكذلك سهولة النسبة إليه دون لبس أو غموض، فالنسبة إلى الدلالة دلالية، ولكن النسبة إلى المعنى معنوية، والكلمة الأخيرة "معنوية" لها دلالة مغايرة تجعلها على عكس "المادى". ولهذا كله فون تسمية هذا الفرع فى العربية "علم الدلالة" تعد من المصطلحات المستقرة لدى أكثر النغوين العرب المعاصرين.

ثانياً : مناهج علم الدلالة والمعجمات الحديثة :

يبحث علم اللغة الحديث مجالاته المختلفة، وهى : الأصوات وبناء لكمة وبناء الجملة والدلالة، بأربعة مناهج، وهى : المنهج الوصفى والمنهج التاريخى والمنهج المقارن والمنهج التقابلى. ومعنى هذا أن البحث الدلالي يمكن أن يتم بكل منهج من هذه المناهج، وعلى ذلك فهناك : علم الدلالة الوصفى، وعلم الدلالة التاريخى وعلم الدلالة المقارن وعلم الدلالة التقابلى.

أ - علم الدلالة الوصفى جزء من الدراسة اللغوية الوصفية، وهى الدراسة التى تبحث لغة واحدة أو لهجة واحدة فى زمن بعينه أو مكان بعينه. وعلى هذا، فإعداد دراسة دلالية لعربية الشعر الجاهلى أو دراسة دلالية للقرآن الكريم أو دراسة دلالية للعربية المصحى المعاصرة تعد من قبيل الدراسة الدلالية الوصفية. وكل دراسة دلالية لمستوى لغوى واحد تدخل فى هذا الإطار. سواء أكانت هذه الدراسة لغة قديمة أو حديثة، لهجة قديمة أو حديثة. وهذه الدراسات الدلالية الوصفية من شأنها أن

تكون مفيدة فى إعداد معاجم المستوى اللغوى الواحد، أى معاجم اللغة الواحدة فى عصر بعينه أو معاجم اللهجة الواحدة فى عصر بعينه ومكان بعينه.

ب - عمم الدلالة التاريخى جزء من الدراسة اللغوية التاريخية، يبحث لغة واحدة أو لهجة واحدة دراسة تاريخية عبر القرون. والفرق بين البحث اللغوى الوصفى والبحث اللغوى التاريخى أن الأول يعنى بدرس اللغة الواحدة أو اللهجة الواحدة فى زمن بعينه والثانى يدرسها عبر الزمن. وهذه الدراسة الدلالية التاريخية مرتبطة أوتى الارتباط بالمعاجم التاريخية، أى معاجم اللغة الواحدة فى نموها التاريخى عبر القرون.

ج - علم الدلالة المقارن جزء من الدراسة اللغوية المقارنة، وهى الدراسة التى تبحث مجموعة لغات من أصل واحد، أى تنتمى إلى أسرة لغوية واحدة فدراسة الدلالة فى مفردات اللغات السامية بالمنهج المقارن يعنى دراسة هذه المفردات فى كل اللغات السامية لتعرف المعنى الأقدم ولتحديد مسار التغير الدلالي لهذه المفردات فى كل لغة من هذه اللغات. وهذه الدراسة الدلالية المقارنة وثيقة الارتباط بالمعاجم التأصيلية التى توضح أصول المفردات وكذلك بالحوانب التأصيلية من المعاجم العامة عندما يذكر تأصيل الكلمة فى أول المادة وقبل شرحها. وتأصيل المواد والمفردات سمة أساسية فى المعاجم الحديثة، ومن الجديد فى المعجم الكبير الذى يصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

د - عمم الدلالة التقابلى جزء من الدراسة اللغوية التقابلية، وهى الدراسة التى تبحث : لغة ولغة ، أو : لغة ولهجة، أو لهجة ولهجة، أو لهجة ولغة. إن الدراسة التقابلية هادفة إلى بحث الفروق بين اللغة (أو اللهجة) الأم التى نشأ عليها الفرد، واللغة (أو اللهجة) المنشودة التى يريد أن يتعلمها. فالفرق بينهما جزء أساسى من الصعوبات الموضوعية التى تواجه أبناء اللغة (أو اللهجة) الأولى فى محاولتهم اكتساب اللغة الثانية. والبحث الدلالي التقابلى عندما ينظر فى المستويين محددا الفروق الدلالية

بين المفردات في كلتا اللغتين يكون قد حدد الجانب الدلالي من الصعوبات في اكتساب اللغة الثانية. وفوق هذا، فإن الدراسة التقابلية من شأنها أن تقدم نتائج مهمة وحاسمة في إعداد المعاجم المزدوجة للغة.

وهكذا نجد لمناهج علم اللغة تطبيقاتها في الدراسة الدلالية، ونجد لكل مهج في الدراسة الدلالية ارتباطه الوثيق بضرب من المعاجم، وكأن الدراسة الدلالية بحث أساسي وإعداد المعاجم جانب تطبيقي لها.

ثالثاً : تطور الاهتمام بالدلالة :

يعد الاهتمام بالدلالة من أقدم الاهتمامات الفكرية عند الإنسان، كانت قضية الدلالة مرتبطة عند اليونان بعدد من التساؤلات الفلسفية، فقدمى السوفسطائيين قبل سقراط طرحوا عدة قضايا لها صلة بالدلالة. وفي مقدمتها: هل علاقة اللفظ بمعناه "طبيعية" أو 'مجرد مواضعة وعرف إنساني". ودار الحديث عن التسمية والمسمى والعلاقة بينهما، في اتجاهين، فمنة قائل بأن العلاقة طبيعية لا تنفصم، فكل كلمة دلالتها ولكل مسمى تسميته، فإن صح هذا وكان لكل مسمى تسميته طرحت بالضرورة قضية "لترادف" أى دلالة كلمتين اثنتين على مسمى واحد. والرأى المضاد يقول بأنه لا توجد علاقة طبيعية بين التسمية والمسمى أى بين اللفظ وتلك الدلالة، وبذلك فليس ثمة ما ينفي وجود الترادف. لقد امتد النقاش حول طبيعة العلاقة بين اللفظ ودلالته من عهد السوفسطائيين وسقراط إلى أفلاطون، واتسعت دائرة البحث الدلالي بمضى الوقت، ونظر البعض في هذه القضية فلاحظ وجود الكلمة الواحدة بأكثر من معنى، ونظر آخرون في هذه القضية من الدلالة إلى الكلمة وأثبتوا وجود الشيء الواحد بأكثر من تسمية. وكلا المدخلين بداية اتجاه، الأول في علم الدلالة Semantics والثاني في علم تسمية الأشياء Onomasiology.

وعند أفلاطون (في محاوراة قراطيلوس Kratylus) طرح - أيضاً - سؤال آخر حول اللغة والمعرفة، فهل المعرفة الحقيقية للأشياء ممكنة عن طريق اللغة أم لا؟ وإلى أي حد تعد اللغة وسيلة للمعرفة؟ وهنا نجد أفلاطون يرى علاقة التسمية بالمسمى في قسم منها طبيعية، ولكنه يؤكد أهمية العرف ودوره في تثبيت هذه العلاقة وكتسبها بعدا اجتماعيا. غير أن أفلاطون جعل اللغة مستقلة عن المعرفة، اللغة لها علاقتها مع الواقع. وهذه العلاقة وجدها تارة طبيعية وأخرى عرفية، ولكن المعرفة في نزوعها نحو الحقيقة لا يمكنها أن تعتمد على اللغة، فاللغة ليست هي الوسيلة المثلى لمعرفة، وهكذا طرحت في هذه الفترة المبكرة عدة قضايا دلالية، ومسائل أخرى في اللغة والمعرفة ذات ارتباط وثيق بالدلالة.

وكان أرسطو صاحب نظرات دلالية في اللغة، لقد أثبت أن الكلمة ليست مجرد أصوات منصوفة، بل المعنى جزء متكامل من الكلمة، فلا توجد كلمات تكون مجرد أصوات. وعندما قسم أرسطو أنواع الكلام جعل ذلك على أساس دلالي، فالاسم والفعل بهما في نفسيهما معنى على العكس من الحرف فليس له في معنى نفسه. والفرق بين الاسم والفعل يرجع بدوره إلى أمر دلالي، فالاسم دلالة مستقلة عن الزمن في حين ترتبط دلالة الفعل بالزمن. وقد ظل تقسيم أرسطو أنواع الكلام على هذا النحو مؤثرا في الحضارة الأوروبية، بل وفي النحاة العرب عدة قرون، وهو تقسيم يقوم في جانب منه على أساس دلالي.

وبتقدم الزمن تغيرت اللغة اليونانية، فكانت قضية التغير الدلالي موضع اهتمام برقلس Proklos في القرن الخامس الميلادي. لقد لاحظ برقلس بعد قرون من تدوين اللغة اليونانية وبعد انتشارها في مناطق واسعة من العالم القديم وبعد استخدامها في الشعر وانتشر تنوع المستويات اللغوية باختلاف الزمن وتنوع اللهجات واختلاف لغة الشعر عن النثر. وكانت الدلالة جانبا من هذا الاختلاف والتنوع. فطرح برقلس قضية

التغير الدلالي، وحاول أن يفسره بالتغير الحضارى، ولاحظ أن التغير الدلالي يتخذ عدة أشكال منها امتحار وتوسيع المعنى وتخصيص المعنى. وهكذا كان الجهد الدلالي عند قدماء اليونان حول العلاقة بين التسمية والمسمى، ثم حول اللغة وسنة للمعرفة، وأخيرا كانت قضية التغير الدلالي موضع اهتمامهم.

وقد كان الاهتمام بالقضايا الدلالية فى إطار الحضارة العربية الإسلامية كبيرا، شملت به عدة يئات لأسباب متنوعة. فاللغويون من أصحاب المعاجم اهتموا بالدلالة فى إطار تحديدهم لدلالة الألفاظ، والبلاغيون شغلوا بقضية الحقيقة والمجاز، والأصوليون شغلوا بقضية الدلالة فى مقدمات كتب علم أصول الفقه فى إطار تعرفهم الدلالة فى اللغة بوصفها وسيلة لفهم النصوص واستخراج الأحكام. أما الفلاسفة والمتكلمون فقد عرفوا القضايا التى أثارها أرسطو فى الدلالة وناقشوها وأضافوا إليها.

كان اهتمام اللغويين العرب بالقضايا الدلالية والمعجمية فى ثلاثة اتجاهات بين النظر والعمل. العمل المعجمى كان سابقا عندهم على أعمال الفكر فى القضايا النظرية، فالجهد المعجمى العربى بدأ مع بداية الازدهار الحضارى. أما التفكير النظرى فى قضايا الدلالة فكان بعد ذلك. لقد نشأت فى القرن الثانى الهجرى حركة للتأليف المعجمى الموضوعى، فظهرت تلك الرسائل اللغوية فى موضوعات محددة. ألف الأصمعى فى 'خلق الإنسان' وألف أبو زيد الأنصارى فى 'النبات والشجر'. وكلا الكتائين رسالة تضم ألفاظ موضوع بعينه، الأولى فى الألفاظ الخاصة بجسم الإنسان من رأسه إلى قدمه، والثانية خاصة بالألفاظ الخاصة بالنبات والشجر من حيث أنواعه وأقسامه وتسميات كل ذلك. وقد تزامن هذا الجهد فى تأليف الرسائل مع جهد آخر لا ستيغبات ألفاظ العربية فى معجم واحد، وكتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدى أقدم المعاجم العربية. لقد تنوعت اتجاهات العمل المعجمى العربى، فثمة معجم حدث حذو والخليل فى ترتيبها صوتيا وهناك معاجم أخرى اتبعت الترتيب

الهجائي للحروف (أ ب ت ث ج ح خ .. الخ)، ورتبت فيها المواد طبقاً للحرف الأخير تم للحرف الأول من حروفها الأصول، وأهم هذه المعاجم : لسان العرب لابن منظور (المتوفى ٧١١ هـ) والقاموس المحيط للفيروز أباى (المتوفى ٧٦١ هـ) وتاج العروس للزبيدي (المتوفى ١٢٠٥ هـ). وإلى جانب هذه المعاجم التى ترتب الكلمات وفق حروفها الأصول، عرفت الحضارة العربية معاجم ترتب كلماتها وفق الموضوعات، أهم هذه المعاجم : المخصص لابن سيده الأندلسي (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ)، وكل هذه الأعمال المعجمية تقوم على تصور نظرى وتصديق عمى، وتعد من أهم ما أنجزه اللغويون العرب.

شغل كثير من اللغويين العرب بقضايا كثيرة من البحث الدلالي، فى مقدمتها: الحقيقة والمجاز ، والترادف، والأضداد، والمشارك. وكانت هذه القضايا - أيضاً - موضع اهتمام البلاغيين والأصوليين، تعد قضية الحقيقة والمجاز مفتاح فهمهم لقضية الدلالة وتغيرها، فالمعنى الحقيقي ما وضع على أصله فى اللغة، هو المعنى القديم الصحيح، هو المعنى المباشر. على وعكس هذا فإن المعنى المجازى هو المعنى الجديد المخالف لمعناه الحقيقي، هو المعنى الفنى للفظ له استخدامه العادى الآخر، هو المعنى غير المباشر للفظ له استخدامه المباشر. ولكن المشكلة التى حدثت مجال البحث عندهم أنهم لم يعترفوا بالتغير اللغوى، ولم ينظروا فى إمكان أن يكون المجاز سبيلاً واضحاً لإحداث تغير دلالى. وتتضح هذه المشكلة - أيضاً - فى الموقف الذى صدرت عنه كتب "لحن العامة"، من رسالة "ما تلحن فيه العامة" للكسائى (المتوفى نحو ١٨٩ هـ) و"درة الغواص" للحريرى (المتوفى ٥١٦ هـ) و"تنقيف اللسان" لابن مكى الصقلى (المتوفى ٥٠١ هـ). ويتخلص هذا الموقف فى أن التغير الدلالى "لحن" و"خطأ" ويبغى أن تستخدم المفردات بمعناها القديم ولمعناها القديم

أما قضايا الترادف والأضداد والمشارك فكانت أيضاً موضع اهتمام اللغويين وخلافهم أيضاً. قال بعضهم بوجود الترادف على أساس اتفاق المعنى بين كلمتين

وأنكر بعضهم ذلك لفروق بين الكلمتين. قال بعضهم بوجود الأضداد بأن تدل الكلمة الواحدة على الشيء وتقيضه كدلالة الجون على الأبيض والأسود، وأنكره بعضهم. قال بعضهم بوجود المشترك بأن تدل الكلمة على معنيين اثنين كدلالة العين على العين الباصرة وعين الماء. وتناولوا كل هذه القضايا، جاء المدافعون بالشواهد وألفوا فيها الكتب. وفضلوا القول فيها تفصيلاً وبالغوا في ذلك أحياناً. وكل هذا يعكس اهتماماً جاداً بالقضايا الدلالية في التراث العربي.

رابعاً : البحث الدلالي الحديث بين النظرية والتطبيق المعجمي :

لقد حقق البحث الدلالي الحديث منذ القرن التاسع عشر نتائج كثيرة بمناهج متعددة تتابع ظهورها، وتنوعت أسسها النظرية، واختلفت وجهاتها في تحديد المعنى.

١) يعد بحث الدلالة في إطار المدرسة التاريخية بداية البحث الدلالي الحديث، وكان الباحث الألماني رايسج Reisch من أهم الباحثين في هذا الاتجاه. أن هدف البحث الدلالي عنده أن يبحث تغير الدلالة، وبعد هذا فإن من شأن البحث الدلالي أن يفيد في تبين الفروق بين المترادفات. وهنا نجد مجال الدلالة عنده ليس بحثاً تاريخياً فحسب، بل هو أسلوبى أيضاً، فالتغير الدلالي أمر تاريخي، وتعرف المترادفات والظلال الدلالية بينها أمر أسلوبى. وكلا الأمرين كان عنده من مجالات علم الدلالة. إن رأى رايسج في التغير الدلالي دال على اتجاه البحث الدلالي في إطار المدرسة التاريخية. التغير الدلالي لا يحدث وفق قواعد اشتقاقية أو نحوية، بل له قواعده الخاصة به، والدراسة اللغوية تبحث التغير في الأصوات والصيغ وتكوين الجمل، وتبحث أيضاً التغير الدلالي، وهو تغير له قواعده التي ينبغي أن توضح لنا العلاقة بين المعنى القديم والمعنى الجديد.

إن التغير الدلالي عند رايسج له عدة اتجاهات :

أ - تخصيص الدلالة، أى إطلاق الكلمة ذات المعنى العام على معنى خاص ونكى نوضح هذه الفكرة بمثال عربي نلاحظ مثلاً أن كلمة "مدرسة"

كانت تطلق في القرن التاسع عشر في مصر على كل مؤسسات التعليم،
تحصصت بعد ذلك فأصبحت تطلق على مؤسسات التعليم العام و لمهوى
أحياناً، ولم تعد تطلق على مؤسسات التعليم العالي.

ب - تعميم الدلالة، أى إطلاق الكلمة ذات المعنى الخاص على معنى عام.
ولكى بوضع هذه بكلمات مستخدمة في العربية نلاحظ أننا نسمى دولة
كبرى في أوروبا باسم "ألمانيا"، وهذا الاسم في العربية مأخوذ -بطريقة غير
مباشرة- عن اسم تجمع بشري يشغل أحد الأقاليم في وسط أوروبا على
الحدود مع فرنسا، فهؤلاء الذين يعرفون باسم **Alemannen** ليسوا كل
الشعب، بل هم جماعة منه، جاؤوا فرنسا، فأطلق اسمهم في لغتها على
كل الشعب، وأخذت العربية مع الاتصال بأوروبا الحديثة هذه الكلمة عن
الفرنسية. ولو ذكرت تلك الكلمة الألمانية في لغتها لدلت على جماعة من
الشعب، ولكن الكلمة دخلت الفرنسية ثم العربية لتدل على كل الشعب.

ج - التعبير بالكلمة الدالة على العضو لتدل على أثره، مثال ذلك في العربية
كلمة لسان التي دلت على عضو في الفم، ثم دلت على ما يحدثه هذا
العضو من أصوات تكون كلمات تؤلف جملاً لتحمل معنى، أى على اللغة.
والى اليوم يتوازي كلا المعنيين، فنحن نذكر تشرحية
اللسان، ثم نتحدث عن الدراسة بكلية الألسن. وشبه بهذه الكلمة العربية
بدلاتها كلمة **Tongue** في الانجليزية.

د - استعير بالكلمة الدالة على الشيء المادى لتدل على تصور معنوى. مثال ذلك في
العربية أن نقول : هذه الفكرة ثمرة جهد متصل، وكلمة الثمرة لا تدل هنا على
ثمرة لمادية الملموسة ذات الحجم والوزن، ولكنها الثمرة بمعنى النتيجة. وقد
تأكدت فكرة تحول الدلالة من المادى إلى المعنوى عند كثير من الباحثين في
القرن التاسع عشر، فوجود كلمة بمعنيين أحدهما مادى والآخر معنوى كان يجعل

الساحت يقدم المعنى المادى على المعنى المعنوى وظلت هذه الفكرة سائدة فى
ساحت الدلالى التاريخى.

٢) كان للبحوث الفلسفية والأنتروبولوجية وإعجاب الكثيرين فى أواخر القرن التاسع
عشر وأوائل العشرين نتائجها أثر بعيد فى البحوث الدلالية، وتناول علماء النفس
قضايا الدلالة من عدة جوانب فى إطار نظرياتهم ومناهجهم. وأهم الاتجاهات
النفسية فى دراسة الدلالة قد تطورت على النحو التالى :

أ - حاول عدد من الباحثين فى أواخر القرن الماضى، منهم الألمانى هيخت (١٨٨٨)
Hecht بحث قضية التغير الدلالى على أساس قواعد مطردة مستقرة فى النفس
الإنسانية، وكان علم نفس الشعوب Völkerpsychologie - فى تلك الفترة -
يهدف عن طريق المقارنة إلى معرفة تلك القواعد المطردة المستقرة فى النفس
الإنسانية. كان البحث الدلالى المتأثر بهذا الاتجاه يحاول أن يفسر التغير
الدلالى بالبحث عن الفعل النفسى الكامن وراء التغير.

ب - عرف الباحثون المواقف النفسية من بعض الكلمات، وأن مجموعات محددة
تصنف فى إطار الكلمات المحرمة أى فى إطار التابو Taboo، وأمكن ملاحظة أن
التابو اللغوى يجعل بعض الكلمات موضع حرج فلا تذكر فى الحديث العادى.
وأهم هذه المجموعات ما يدل على الأمراض العيية والوحوش الكاسرة وألفاظ
الجنس. وفسر الباحثون فى علم النفس هذه المجموعات بملاحظاتهم حول ربط
الانسان بين هذه الكلمات وما تدل عليه، فكأن النطق باسم الحيوان المفترس
استدعاء له، يتجنه الانسان خوفاً من بطشه، وقد أدت هذه الظاهرة إلى تنوع كبير
فى أسماء الحيوان المخيفة للإنسان فى كل بيئة لغوية، وما أكثر تسميات الأسد فى
العربية وما أكثر تسميات الثعابين فى لغات كثيرة، وهى تسميات نشأت - فيما
يدور - لتكون صفات لهذا الحيوان، ثم استقرت بعد ذلك. أما الأمراض العيية
فمحس تجنب ذكرها، وأصبح نطق اسمها إيذاءً لشعور السامع، وكأن ذكر اسم

المرض تقرب للمرض نفسه من السامع. ولاحظ باحثون أيضا أن عوامل نفسية تكمن وراء تجنب ذكر كلمات دالة على الجنس بشكل مباشر، ويتم التعبير عنها في التعامل العلمي بكلمات أجنبية.

جـ - بحث السلوكيون من علماء النفس جوانب السلوك الانساني باعتبارها سلسلة تتألف من المثير Stimulus والاستجابة Response. وكان الدعوى الأمريكي بلومفيلد بحث اللغة في إطار المدرسة السلوكية وشاركهم تصورهم في أن معنى الصيغة اللغوية هو الموقف الذي ينطق فيه المتكلم تلك الصيغة والاستجابة التي تثيرها هذه الصيغة لدى السامع. والمعادلة عنده على النحو التالي :

موقف المتكلم ← الكلام ← استجابة السامع

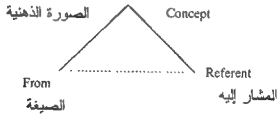
يرى بلومفيلد الصلة وثيقة بين موقف المتكلم والاستجابة لدى السامع. ولكن المواقف التي تجعلنا نستخدم الكلام تتضمن كل شيء في الحياة وكل ما يحدث في الكون، ولذا يرى بلومفيلد أن إعطاء تحديد دقيق لمعنى الصيغة اللغوية يشترط وجود معرفة دقيقة بكل شيء في عالم المتكلم. وهكذا عقد بلومفيلد أمر الدلالة وجعلها أضعف جانب في دراسة اللغة، حتى تكتمل معلوماتنا العلمية عن العالم.

د - قياس المعنى من أشهر جهود علماء النفس في التحليل الدلالي والفكرة الأساسية في قياس المعنى تقوم على وضع مجموعة معايير يمكن في ضوئها عمل اختيارات نفسية لذلك، الكلمة لها إحياء وترتبط بمجموعة عناصر دلالية تختلف عما تشير إليه في الواقع الخارجي، وما المعنى إلا مجموعة العلاقات المصاحبة لاستخدام الكلمة بما تثيره لدى السامع من استجابة. ولهذا فقد وضع أصحاب قياس المعنى مجموعة أسئلة تكون الإجابة عنها محددة لإحياء الكلمة، وهذه الأسئلة العشرون، نحو : هل هو سعيد أو حزين؟ هل هو صلب أو طري؟ هل هو طيب أم سيء؟ قد تفيد في

معرفة المعنى الانفعالي أو المعنى المصاحب، ولكنها لا تحدد المعنى الأساسي للكلمة.

اهتم اللغويون في الخمسين عاما الماضية اهتماما متزايدا بمحاولة التعرف "طبيعة الدلالة". ويعد جهد الباحثين اللغويين في هذا الاتجاه هادفا إلى بحث طبيعة الدلالة من داخل السية اللغوية مع ربطها بالعوامل الخارجية، ولكن التركيز هنا كان على بحث الدلالة في إطار البنية اللغوية، أى عدم الدخول إلى بحث المعنى من المحارج برؤية نفسية أو انثروبولوجية، بل يكون المنطلق بحث البنية الدلالية والإفادة في هذا البحث من كل ما يعين على فهم ذلك. وأهم الجهود لتحديد طبيعة الدلالة تتلخص على النحو التالي :

أ - الثالوث الدلالي The Semiotic Triangle، هذه الفكرة جاءت فى كتاب الباحثين Richards و Ogden. وتقول الفكرة بأن الصيغة اللغوية (أو الكلمة) تشير فى العقل صورة ذهنية تشير إلى ما هية خارجية.



ومعنى هذا أن الصيغة اللغوية ترتبط دلالتها بالمشار إليه عن طريق الصورة الذهنية، وهذه الفكرة قديمة فى التراث العربى، فقد طرح سؤال قديم عن طبيعة المعنى، وهل الألفاظ موضوعة يازاء الصور الذهنية أو يازاء الماهيات الخارجية؟ وكان رأى الفخر الرازى: "اللفظ يتغير بحسب تغير الصورة فى الذهن، فإن من رأى شحاحا من بعيد وظنه شجرا أطلق عليه لفظ الشجر. وهكذا يرى الرازى العلاقة غير مباشرة بين اللفظ والماهية الخارجية، ولكن العلاقة مباشرة بين اللفظ والصورة الذهنية، وهى فكرة تحمل نواة الثالوث الدلالي عند ريتشاردز وأوجدن.

ب - الوظيفة الدلالية وسياق الموقف : The Context of Situation :

التحليل الدلالي في رأى اللغوى الانجليزى Firth له أهمية كبيرة فى اسحت
اسعوى فى كل محالاته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. والمعنى فى رأى فيرت
هو مجموع الوظائف التى تقوم بها الصيغة اللغوية، وهى الوظائف الآتية:

أ- الوظيفة الصوتية، مثال هذا التمييز بين الوحدات الصوتية والصور الصوتية على أساس
دلالي، فإحلال صوت محل آخر مع تغيير المعنى معناه أن كل صوت منهما وحدة
صوتية مستقلة، وإحلال صوت محل آخر مع عدم تغير المعنى يدل على أن كلا
الصوتين فى إطار وحدة صوتية واحدة. واختلاف التنغيم قد يؤدي إلى اختلاف
المعنى. مثال هذا فى العربية عبارة : سلام عليكم نطقها للتحية يختلف عن نطقها
للإعراب عن الغضب.

ب - الوظيفة الصرفية ، وهذا معناه وجود ارتباط بين الصيغة البغوية والدلالة، ينضج
هذا من دلالة وزن "فاعل" فى العربية على من قام بالفعل، وكل أوزان المشتقات
فى العربية لها ارتباطاتها الدلالية، وكذلك المصادر لها أوزانها وكثير منها
ارتباطات دلالية: فُعَال للمرض وفَعَالَة للحرفة وفَعْلَان للحركة .. الخ.

ج - الوظيفة النحوية، ونعنى هنا ارتباط تراكيب بأعيانها بدلالات محددة فالحمة
اشروطية لها تراكيبها والحمة الاستفهامية لها تراكيبها، وهنا علاقة وثيقة
بين التركيب والدلالة.

د - الوظيفة المعجمية ، وهى الدلالة التى يحددها سياق الموقف، أى السياق
الاجتماعى الذى تستخدم فيه الكلمة، ولذا أطلق عليها فيرت أيضاً: المعنى السياقى
Contextual Meaning. وهكذا جعل فيرت المعنى قسيماً لشكل اللغوى،
وجعله محورياً أساسياً فى التحليل فى كل المحالات.

جـ - هناك حقيقة أساسية اتضحت في النظر المنهجي والتطبيق العملي عند اللغويين المعاصرين اباحثين في الدلالة، وأصبحت تشكل منطلقا أساسيا في التحليل. وهي حقيقة أن اللغة نظام متكامل في نفسه، له تكامله الداخلي، ولكل لغة نظامها الدلالي خاص بها. تختلف اللغات في تصنيفها للظواهر الموجودة في الواقع الخارجي اختلافًا بعيدا، فالعلاقة بين اللغة والماهيات الخارجية ليست علاقة مصابقة. وهدف البحث الدلالي أن يوضح طبيعة النظام اللغوي في علاقاته الدلالية. وليس من هدف البحث الدلالي أن يبحث خصائص الظواهر المادية والمعوية المشر إلىها. ومن ناحية أخرى فإن البحث الدلالي ينطلق من الواقع اللغوي ولا ينطلق من فروض وضعت بعيدا عنه، وبقدر قدرة الفروض التي تكونت في عارج علم اللغة على كشف طبيعة الدلالة والبنية الدلالية للغات يكون قبولها من اللغويين.

الفصل العاشر

البنية الدلالية

يعتمد البحث الدلالي على مجموعة من الوسائل يحاول عن طريقها دراسة البنية الدلالية في اللغات الطبيعية، إن تعرف طبيعة العلاقات الدلالية للكلمات داخل اللغة الواحدة. وكذلك الوسائل اللغوية وغير اللغوية لتحديد المعنى تعد من أسس دراسة المجالات الدلالية وتحديد السمات الفارقة بين الكلمات التي يضمها كل مجال من هذه المجالات.

أولاً: العلاقات الدلالية Semantic Relations:

العلاقات الدلالية بين المفردات في اللغة الواحدة متنوعة، منها علاقة الترادف وعلاقة الاشتراك اللفظي وعلاقة التضاد.

١) الترادف Synonymy:

كان الفلاسفة اليونان أول من أثار قضية الترادف، فالعلاقة بين التسمية والمسمى كانت موضع البحث والجدل، الأشياء المادية الموجودة في الواقع الخارجي محدّدة، وللشيء الواحد منها أكثر من تسمية، وعلى ذلك فهناك ترادف. والمقصود بالترادف وجود كلمتين أو أكثر بدلالة واحدة أى يشيران إلى شيء واحد. وقد انتقلت هذه القضية إلى المفكرين العرب من لغويين وغير لغويين، وقال بعضهم بوجوده في العربية، ولكن الرأي السائد لديهم أن الترادف الكامل غير موجود، فالمطابقة الكاملة بين دلالة كلمة ودلالة أخرى ضرب من المبالغة. وسادت فكرة أن الترادف تقارب في الدلالة وليس تطابقاً.

وفكرة الترادف ذات أهمية خاصة في العمل المعجمي، كثيراً ما يشرح معنى الكلمة في المعجم بكلمة أخرى، وهذا يعني أن الكلمتين بمعنى واحد. ولكن المعاجم

لا تكتفى بهذه الطريقة وسيلة لشرح المعنى، بل تضيف تفاصيل وصفية توضح 'معنى المراد'. إن الترح بالمرادف له مشكلته المعجمية، إذ إنه يمكن أن يوقع لفارئ في حنقة مفرغة. فلو شرحنا كلمة عظيم بأنها تعنى كبير ثم شرحنا كلمة كبير بمعنى عظيم، نكون قد وقعنا في غموض يصفه بعض الباحثين بمصطلح: الدور Circularity وقد نظر الباحثون في المترادفات محاولين تصنيف ألفاظها في مجموعات، وأهم هذه المجموعات ما يأتي:

أ - المترادف بين مجموعة ألفاظ دخيلة ومجموعة ألفاظ موروثية، ففي الإنجليزية مثلا نجد كلمات من أصل جرمانى قديم تقابلها ألفاظ دخيلة من اللاتينية أو اليونانية فكلمة World من الجرمانية القديمة (في الألمانية Die Welt) وكلمة Universe دخيلة من اللاتينية Universum. ومثل هذا نجد في الكلمتين brotherly من الجرمانية القديمة (في الألمانية brüderlich) و Fraternal من اللاتينية Fraternus. وهذه الثنائيات ترجع إلى عامل تاريخي يتعلق بتكون مفردات اللغة الإنجليزية. وتوجد في اللغة العربية ثنائيات مترادف من هذا الضرب، بين لفظ دخيل ومقابلة العربى. فجهاز "التليفون" Telephon عرف بهذا الكلمة الأوربية الأصل وعربت بكلمة "الهاتف". والكلمتان مستخدمتان جنبا الى جنب في البيئة اللغوية العربية؛ وثمة ثنائيات أخرى "Television" و "مرناه" أو "إذاعة مرئية"، "ترين" Train و "رتل" والكلمتان في تونس تسمية لما يسمى في المشرق بكلمة 'قطار'. وكذلك الكلمة ذات الأصل الايطالى "Teatro" وكلمة "مسرح". ومع هذا كله، فتمه فرق في الاستخدام السياقى بين كل طرف من أطراف هذه الثنائيات، المعنى يتفق بين الكلمتين في مواقع محددة ولكنه مختلف في مواقع أخرى تستخدم فيها كلمة مهما ولا تستخدم فيها تلك فنحن نذكر: الهاتف من بعيد وليس هو التليفون، ونذكر الرتل من الحساوات وليس هو الترين Train، وتكتب الصحف عن مسرح الجريمة وليس هو التياترو. وهكذا يمكن القول بأن هذه الكلمات

مترادفة في عدد من السياقات. ولكن القول بالمطابقة الدلالية الكاملة ضرب من المبالغة.

ب - الترادف بين لفظين من مستويين لغويين مختلفين أو ألفاظ من بيئات لغوية مختلفة. وتوجد أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة في اللغات، ففصل الخريف يسمى في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض المناطق في غرب بريطانيا Fall ولكنه يسمى في باقي مناطق اللغة الانجليزية Autumn، والكلمتان مترادفتان لأنهما تسدان على المعنى نفسه، ولكن لكل منهما مجالها الجغرافي. وفي بعض دول المشرق العربي تطلق كلمة "تمّوز" على الشهر المعروف في باقي الدول العربية بشهر "بؤيو"، وهنا نجد لأسباب تاريخية منظومتين كاملتين لأسماء الشهور الميلادية في العربية الفصحى المعاصرة. وثمة ترادف أيضا بين "سيارة نقل" في مصر و "شاحنة" في دول المشرق، وكذلك بين "محطة بنزين" في مصر، "طلمبة البنزين" في السودان، و'بنزينخانه' في العراق والدلالة واحدة. وفي مجال الأفعال نجد كذلك كثير، من الترادف، فالفعل حجرٌ في تونس يرادف منع في باقي الدول العربية. ويبدو أن اختلاف البيئات اللغوية جغرافيا كان من قديم وراء وجود المترادفات بكثرة في اللغة العربية.

ج - الترادف باختلاف المعنى الانفعالي والتقويمي، وهنا نجد ثنائيات من الكلمات، تعبر الواحدة منها عن المعنى بمحتوى انفعالي أو تقويمي يختلف عن الأخرى. وحسبنا أن ننظر في المجال السياسي، لنجد ثنائيات من الكلمات، بل نجد أكثر من كلمتين لوصف موقف ما من زاويتين مختلفتين. قد يوصف الشخص بأنه 'محافظ' وهذه كلمة إيجابية الدلالة ولكن وصفه بأنه "رجعي"، أو مترمّت، يحمل حكما تقويما سلبيا عليه. وعلى العكس من هذا فإن وصف الشخص بأنه 'مجدد' يكسه درجة من الاحترام في عدة دول عربية، ولكنه اذا وصف بأنه 'تقدمي' أو 'ثوري' كان ذلك محل شبهة في هذه الدول، وكلمة "رجل دولة" توحى

بالتقدير، ولكن يثبت كثيرة تستخدم كلمة "سياسي" وفيها إحياء الحيلة والدهاء. ومن هذا الجانب الانفعالي والتقويمي تختلف دلالة كثير من كلمات اللغة التي تصنف في إطار المترادفات.

وأخيراً، فإن الفيصل في تحديد كون الكلمتين مترادفتين كامن في السياق، فإذا أمكن انتزاع كلمة من جملة وإحلال كلمة أخرى محلها دون تغيير لمعنى فالكلمتان مترادفتان. وهذا ممكن - في حالات بأعيانها - ولكن ينبغي التحفظ في ذلك في محاولة التحديد الدقيق للمعنى. وهنا تختلف أكثر المترادفات، ولذلك يعد الترادف عند أكثر اللغويين المعاصرين تقارباً دلالياً وليس مطابقة دلالية كاملة.

٢) الاشتراك اللفظي Homonymy وتعدد المعنى Polysemy مصطلحان مختلفان يجعلهما بعض الباحثين موضوعين مستقلين، ويجمع بينهما باحثون آخرون. يتفق المصطلحان في دلالة كلمة واحدة على مدلولين اثنين، ولذا فهذه الظاهرة عكس الترادف. ودلالة كلمة واحدة على معنيين أو أكثر مما يلاحظ في اللغات المختلفة، فكلمة Bank في الإنجليزية والألمانية تعني شاطئ النهر كما تعني تلك المؤسسة المالية. وكلمة "عين" تعني في العربية عين الإنسان، وعين الماء، وعين الابرة، والعين - أيضاً - الحاسوب. ووفق هذا الرأي فإن الاشتراك اللفظي لا يعني اختلاف الدلالة في إطار الكلمة الواحدة، وذلك أن وجود معنيين اثنين أو أكثر للصيغة اللغوية الواحدة يدل على وجود كلمتين أو أكثر، فالكلمة صيغة لغوية دالة على معنى، فإذا تنوعت الصيغ اللغوية أو تعددت الدلالات تعددت الكلمات، حتى لو حدث مشترك لفظي. أما تعدد المعنى فيعني أن الكلمة واحدة ولكنها ذات معنيين، أحدهما هو المعنى الحقيقي والآخر هو المعنى المجازي. وبعض اللغويين يجعل الحد الفاصل بين الاشتراك اللفظي وتعدد المعنى موضوعاً في تاريخ اللغة. المشترك اللفظي يعني هنا أن كلمتين مختلفتين تغير نطقهما عبر الزمن، وأصبحنا نطقاً

نطقاً واحداً، مثا see يرى sea بحر. النطق واحد والمعنى مختلف، وهذا من المشترك اللفظي لتعدد الأصول.

الفرق اذن بين الاشتراك اللفظي وتعدد المعنى متعلق بتاريخ الكلمة، وله بالتالى أثره فى العمل المعجمي، فالدالتان المختلفتان لصيغة صوتية واحدة تعدان كميتين مختلفتين فى إطار المشترك اللفظي فيكون لهما فى المعجم مدخلان مختلفان، وتعدان كلمة واحدة فى إطار تعدد المعنى فيكون لهما فى المعجم مدخل واحد. وهكذا يهدف التمييز بين الأمرين إلى تحديد المداخل المعجمية. ويقوم التمييز بين هذ وذلك بوسائل تأصيلية اشتقاقية، فكثيرا ما تكون الصيغة اللغوية الواحدة ذات الدالتين من أصلين مختلفين، يحمل كل أصل منهما اتجاه إحدى الدالتين. مثال هذا فى العربية: الكلية فى عبارة مثل: كلية الآداب، تختلف دلالتها عن عبارة قضية كلية، المعنى الأول دال على مؤسسة أكاديمية تخصصية أو بالأحرى على جزء من الجامعة، والمعنى الثانى دال على العموم والشمول، ولا علاقة بين المعنيين. ولكن القول بأنهما كلمتان مختلفتان اتفقتا - فقط - فى الصيغة اللغوية، يقوم على أساس أن الأولى مأخوذة من كلمة College الانجليزية والكلمات الأوربية المماثلة لها فى الأصل لدلالة على المدرسة الثانوية أو المدرسة العليا. والثانية مأخوذة من المادة السامية القديمة الممتدة عبر القرون فى العربية واللغات السامية الحديثة، وهى مادة (ك ل ل) الدالة على العموم والشمول. وعلى العكس من هذا نجد الدلالات المختلفة لكلمة "عين" تمثل دلالات مختلفة لكلمة واحدة، أى من أصل اشتقاقى واحد، والكلمة ترجع الى المعجم السامى المشترك وامتدت فى تاريخ العربية عبر القرون.

ولكن لمشكلة الأساسية فى قضية تعدد المعنى - وكذلك فى الاشتراك اللفظي - خاصة بوضوح حدود المعنى الواحد عن المعنى الآخر. ولناخذ عددا من الألفاظ الدالة على تناول الطعام والشراب والدخان فى ثلاث لغات، هى العربية م . . جانب والإحليزية والألمانية من الجانب الآخر، وهى الأفعال: أكل، وشرب، ودحس فى

العربية من جانب، ثم فى الانجليزية والألمانية to eat = essen, to drink = trinken, to smoke = rauchen من الجانب الآخر. وليس صحيحاً أن الفعل eat, essen له دلالة واحدة، فتناول الطعام المطبوخ مثل اللحم يختلف باضرورة عن تناول الحساء. ومع هذا ففى الألمانية والانجليزية لكلا الأمرين فعل واحد فى كل منهما، أما التحديق فله فعل آخر فى كل لغة منهما، فهل يعد الفعل eat, essen - فى هذا المجال - ذا دلالة واحدة أو دالتين، فليست حدود المعانى على نحو واضح بلا غموض، ولكن يكفى لايضاح القضية أن نبين أن الانجليزية والألمانية فى هذه المجموعة من الأفعال تحددان طريقة تناول إما أكلا بأدوات المائدة أو شرباً مباشراً كما يشرب الماء من الكوب، فى حين تنطلق العربية من طبيعة المادة التى تتناول، جامدة كانت أو غير جامدة، لتناول الجامد "أكل" وهو ما يمضغ، ونغير الجامد "شرب" سائلاً كان أو دحاناً، ثم يأتى الفعل "دخن" ليشتغل حيزاً جزئياً من دلالة الفعل "شرب". وهكذا تتداخل حدود الدلالات وتختلف من لغة لأخرى.

٣) التخاليف Antonymy:

التخاليف علاقة دلالية أساسية، وتعد من أهم العلاقات المحددة لدلالة الكلمة. إن تعرف الكلمات الواقعة مع كلمة أخرى فى علاقة تخاليف يحدد لنا دلالات هذه الكلمة عن طريق ثنائيات التخاليف، فكل ثنائى يمكن أن يرشدنا إلى معنى من معانى الكلمة. ولنضرب لذلك مثلاً بكلمة: ساعة، فيمكن أن تكون فى الثنائين التاليين:

ساعة / منه

ساعة / دقيقة

التخاليف الاول يدخل بنا فى معنى الساعة باعتبارها وحدة زمنية، تخالف - أيضاً - اليوم والشهر والسنة. أما التخاليف الثانى فيدخل فى معنى الآلة المحددة لمرس، وهنا تأتى ساعة (الحائط أو اليد، أو الجامعة) فى مقابل المنه، وكأن رنينه الموقظ جعل منه شيئاً له كلمة مستقلة عن باقى الآلات المحددة للوقت. وهذا تحديد فى إطار

المفردات العربية، وفي لغات أخرى نجد توزيع الكلمات والدلالات مختلفا، والمهم هنا أن نثبت كون كل علاقة تخالف ثنائي مثبتة لمعنى معين.

ولكن التحالف ليس دائما ثنائي العناصر، ففي حالات كثيرة ليس من الممكن وجود هذه الثنائيات، بل تكون الكلمة في مجموعة دلالية ذات علاقة تحالف. فالألوان مثلا تكون مجموعة دلالية في كل لغة من اللغات، والذي يحدد كون العناصر المكونة للمجموعة الدلالية في علاقة تخالف أن يكون وجود عنصر منها نافيا لوجود باقي العناصر. فإذا وصف شيء ما بأنه أزرق، فمعنى ذلك أنه ليس أبيض وليس أسود وليس أحمر، وهكذا.

وفي بحث التحالف تتضح أيضا فكرة التدرج Gradability في الصفات، فإذا قورن شيئان قلنا: (هذا البيت كبير، وذلك البيت أكبر) كما - في رأى عدد من الباحثين - أمام مثال من تخالف التدرج، ومثل هذا يمكن أن يظفر إليه في الحمل التي تنفي صفة من الصفات ولا تتضمن بالضرورة إثبات العكس منها. فلو قلنا (هذا البيت ليس كبير) لا يعنى هذا بالضرورة أنه صغير، بل قد يكون متوسط الحجم، وهكذا نجد فكرة التدرج في الصفات أساسية في فهم طبيعة التضاد.

٤) درجة العموم Hyponymy:

العموم والخصوص من العلاقات الدلالية الأساسية، وتختلف الألفاظ في داخل المجموعة الواحدة من هذا الجانب اختلافا بعيدا. ففي مجال الحيوان مثلا نجد كلمة ذات دلالة عامة تشمل تحتها كلمات كثيرة أخرى، كلمة "حيوان" من ألفاظ العموم والكلمات: أسد، نمر، قط، فرس، كلب من الكلمات الداخلة تحت كلمة 'حيوان'. وفي هذه الكلمات بالتالي درجة ما من العموم، فيمكن أن نجد مثلا تحت أية كلمة منها مجموعة أكثر تخصصا. ولذا ليس الأمر خاصا بدرجة من العموم وأخرى من الخصوص، بل يمكن ترتيب الكلمات الخاصة بذلك في شكل هرم دلالي.

وتختلف اللغات من هذا الجانب اختلافاً بعيداً، فكلمة "مجلة" في العربية تدل على مجموعة من المطبوعات الدورية العلمية والترفيهية المصورة، في حين تعبر اللغة الألمانية للدورية العلمية اسماً هو Zeitschrift. أما الدورية الترفيهية المصورة فهي Illustrierte. وكلمة "طالب" في اللغة العربية أوسع دلالة من كلمة Student في الألمانية، فالكلمة العربية تطلق - في المقام الأول - على الدارسين في الجامعة في مرحلتى التعليم العام والدراسات العليا، بل تطلق أحياناً على تلاميذ المدارس الثانوية وعلى الدارسين بمراكز التدريب المهني، أما في الألمانية فيقابلها Schüler للطالب الثانوي، ثم Student لطالب مرحلة الليسانس، ثم Kandidat لطالب الدراسات العليا، أما Praktikant فهي للمتدرب في التعليم المهني. وكلمة "كلية" في العربية أوسع دلالة على من مقابلها في الألمانية، فنحن نطلقها على المعهد الأكاديمي مثل كلية الآداب، وعلى معهد إعداد الضباط مثل كلية الشرطة أو الكلية الحربية، وعلى معهد إعداد المهندسين التطبيقيين مثل كلية الفنون التطبيقية، وعلى بعض المدارس مثل كلية رمسيس بالقاهرة أو كلية سان مارك بالاسكندرية. وهكذا تختلف درجة العموم والخصوص في دلالة الكلمات بين اللغات المختلفة، مما يجعل محتواها الدلالي غير متطابق. وهذا يفرض على المعجمي مراعاة ذلك.

ثانياً : مصطلحات دلالية في التراث العربي :

ترد في التراث العربي مصطلحات دلالية - لم نشر إليها من قبل - وبها رؤية لبعض القضايا الدلالية. من هذه المصطلحات: الأضداد، والغريب.

١) الأضداد: المقصود بالأضداد استخدام كلمة بمعنيين متضادين مثل دلالة الجون على الأبيض والأسود. وقد ألف اللغويون العرب سلسلة من كتب الأضداد أقدمها لابن السكيت، وأشهرها كتاب الأضداد للأبي حنيفة. وقد ضم مؤلفو كتب الأضداد مجموعة من المفردات التي وجدوا فيها دلالة على المعنى وضده^(١). ولكن البحث

(١) حول الأضداد في اللغات السامية، انظر :

Nöldeke, Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1904-1910.

الحديث يميز بين مثل هذه الكلمات على نحو يجعلها خارج دائرة الاضداد، وذلك في ضوء ما يأتي:

أ - تيسر المعنى المركب الدال على شيئين في الوقت نفسه، فعندما تجد الجون في الدلالة على الأبيض والأسود في وصف الحمار الوحشي، فقد يعني أنه مخطط، وليس لكون الكلمة تدل على لونين ضدين.

ب - التمييز بين التراكيب على أساس اختلاف حروف الجر، وعلى هذا فالمعل رغب ليس فيه ضديه، بل التركيب (رغب في) له دلالة تختلف عن (رغب عن)، واختلاف حرف الجر هنا سمة فارقه في المعنى.

ج - مراعاة دلالة بعض الألفاظ على العموم، فكلمة (إنسان) تدل على (الرجال) كما تدل على (النساء)، تدل على (الأطفال) وتدل على (الكبار) أيضاً، ومن غير الصحيح أن ننشد فيها ضديه لمجرد أنها دالة على العموم.

د - وجود معنيين مختلفتين للحدث الواحد بسبب رؤيتين مختلفتين للحدث نفسه فالفعل (فتح) في العبارة فُتحت القطرة، يعني أنها فتحت للمرور السفن في حين أنها أغلقت أمام السيارات.

هـ - ضرورة التمييز في بحث الأضداد بين المستويات اللغوية في اللغة الواحدة، وكذلك بين لغات الفرع الواحد، الفعل (وثب) يدل في العربية الشمالية على القفز، لكنه يدل في العربية الجنوبية وغيرها من اللغات السامية على الإقامة والاستقرار. وهنا يوجد تضاد في المعنى للكلمة ذات الأصل الواحد، غير أن هذه الكلمات تكونت دلالاتها عبر الزمن في لغات مختلفة، وليست متضادة عند جماعة لغوية واحدة.

٢) الغريب : المقصود بالغريب تلك الألفاظ البائدة التي قل استخدامها فأصبحت المعرفة بها غريبة عند أبناء الجماعة اللغوية، فإذا ما استخدمت نجمت ضرورة

شرحها وإيضاحها. وقد خصص اللغويون العرب كتباً، مثل اعريب المصنف لأبي عبيد (المتوفى سنة ٢٣١ هـ)، وهناك فصول كثيرة للغريب، في المزهر للسبوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) وغيره من كتب اللغة.

والمشكلة التي تواجه البحث في تلك الألفاظ التي جعلها اللغويون من العريب أنها تمثل موقفاً، إنه موقف اللغويين في القرن الثالث للهجرة في بيئة رراعية في العراق من الاستخدام اللغوي في البادية قبل ذلك التاريخ، يتضح هذا: مثلاً من أنهم جمعوا كلمة "القَلِيب" من الغريب، وهذه الكلمة تعني البئر، وهي الكلمة الأكثر شيوعاً حتى اليوم عند أكثر القبائل في جزيرة العرب. هي غريبة — إذن عن بيئة العراق، ولكنها مألوقة شائعة عند بدو الجزيرة العربية. ومن ثم ينبغي أن توضع قضية الغريب في إطار فكرة تنوع المستويات اللغوية جغرافياً وزمنياً.

ثالثاً : أنواع المعنى :

تختلف كلمات اللغة من عدة جوانب تتعلق بنوع دلالتها، ولهذا أثره في كيفية تحديد دلالتها في المعجم وفي نوع المعلومات التي تقدم في المعجم إيضاحاً لها. وقد استقرت لعدة أنواع من المعنى مجموعة مصطلحات، أهمها:

١) المعنى الإشاري : Ostensive meaning :

المقصود بالمعنى الإشاري المعنى الذي يمكن إيضاحه بالإشارة إلى الشيء المدلول عليه، فإذا سئل أحدنا وهو راكب قطاراً عن الحصاد فأشار من النافذة قائلاً: هو دث الحيوان تحت الشجرة. كان المتحدث قد أفاد من الإشارة لتحديد المعنى. وثمة مجموعة ملاحظات حول المعنى الإشاري ترد عند المتخصصين في الدلالة:

١) المعنى الإشاري مرتبط بدرجة عالية من التوقع بشأن شكل الشيء موضع الاستفسار، فالإشارة تتم — عادة — إلى منظر به أشياء كثيرة، وانتوقع هو ما يساعد على استخراج الشيء المعنى من بين كل عناصر الصورة.

٢) المعنى الإشارى يطبق - فقط - على مجموعة محدودة من الأشياء، وهى تلك الأشياء المادية ذات الشكل الواضح والمتميز. فثمة أشياء مادية كثيرة ليس من السهل عرضها في أشكال واضحة، فالأحماض مثلاً لا تتميز بأشكالها. وهناك أشياء كثيرة متعددة الأشكال.

٣) تطبيق فكرة المعنى الإشارى في العمل المعجمى تقتصر على الإفادة من الصور في المعاجم العامة باعتبار الصور وسيلة إيضاح مناسبة، وكذلك فى إعداد المعجم المصورة، وهى المعاجم التى تقوم على الصور فى صفحة وأسماء الأشياء التى تضمها الصورة فى الصفحة نفسها أو فى الصفحة المقابلة. وهكذا يلاحظ أن المعنى الإشارى وسيلة لإيضاح المعنى فى قطاع من المفردات. ولعل أهم مشكلة تواجه هذه الطريقة فى تحديد المعنى أن الحدود غير واضحة فى كثير من الحالات، فنحن نعرف فى العربية كلمة (جَبَل) كما نعرف كلمة (تَل). ولكن ما الارتفاع المطلوب الذى يجعلنا نقول بأن هذا (تل) أو أن هذا (جبل)؟ ولدينا فى العربية فى مصر كلمة (كتكوت) وكلمة (دجاجة)، ولكن ما الفرق بينهما؟ أى ما الحجم الذى الذى يقرر لنا كون هذا داخلاً فى الكلمة الأولى أو فى الكلمة الثانية؟ وعدم وجود هذه الحدود الفاصلة فى الواقع المادى يجعل الأمر قضية تسمية لغوية، وليس أمر مطابقة بين النظام اللغوى والواقع الخارجى.

٢) المعنى المعجمى والمعنى النحوى :

المعنى المعجمى Lexical Meaning هو المعنى الذى يقدمه المعجم للأسماء والأفعال شرحاً لدلالاتها مستفيداً من كل ما يتاح من وسائل لتحديد المعنى. ولكن المعنى النحوى البنىوى Grammatical Meaning = Structural M. هو الإكمال النطيسى للمعنى المعجمى.

وقد أوضح اللغوى الأمريكى فريز Fries أن المعنى البنىوى يتناول ثلاثة أمور:

أ - دلالة الأدوات، مثل حروف العطف وحروف الجر إلخ.

ب - دلالة الوظائف النحوية، مثل الفاعلية والمفعولية.

ح - دلالة نمط الجملة، مثل: الدلالة في الجملة الشرطية.

وتطبيق هذا في العمل المعجمي يتضمن أمرين:

الأول : لايجوز أن يقتصر المعجم على الأسماء والأفعال، بل عليه أيضا أن يسجل دلالة الأدوات، وقد اهتم النحاة العرب بهذه الأدوات ودلالاتها اهتماما كبيرا فألفوا في ذلك كتباً، مثل معاني الحروف للرمانى (المتوفى ٣٨٥ هـ)، ومغنى اللبيب لابن هشام الانصارى (المتوفى ٧٦٢ هـ). وهناك معاجم عربية تناولت قدرا من دلالة الأدوات، ولكن الإفادة الكاملة من هذه الفكرة والاهتمام ببيان الوظائف النحوية في داخل موادها في المعجم يعدن ضرورين في المعجمات الحديثة.

الثانى : ينبغي في العمل المعجمي بيان الوظائف النحوية بالقدر الذى تسمح به طبيعة المادة، فالأفعال مثلا فيها: اللازم والمتعدى لمفعول واحد والمتعدى لمفعولين والمتعدى لثلاثة مفاعيل، وهناك أفعال تلزم البناء للمجهول. ومن الأسماء ما يستخدم للمذكر فقط، ومنها ما يكون للمؤنث فقط، ومنها ما يكون للمذكر والمؤنث معا. وكل هذه الوظائف النحوية لها مكانها في المعجم في داخل كل مادة ومع كثير من الكلمات.

وشمة فروق عند كثير من الباحثين، وفي مقدمتهم مارتيه Martinet وهاليداي Halliday بين الوحدات النحوية والوحدات المعجمية، أى الوحدات التى تبحث من ناحية المعنى الحوى والوحدات التى يشرح معناها المعجمي. ويقوم التمييز بين مجموعتين على أساس كون المجموعة الأولى مغلقة محدودة والثانية مفتوحة قابلة للسمو والزيادة. المجموعات المغلقة Closed Sets محددة ثابتة لاتريد بزيادة النصوص التى يقوم الباحث بتحليلها، مثال هذه المجموعات: الضمائر وأسماء

الإشارة والأسماء الموصولة وغير هذا. أما المجموعات المفتوحة Open Sets فهي قابلة للزيادة بالنمو الطبيعي لمفردات اللغة، وهي لذلك غير محدودة وكثيرة، وأعدادها تقبل الزيادة. ويرى هؤلاء الباحثون التركيز في المجموعة المغلقة على بيان المعنى النحوى في حين يكون التركيز في المجموعة المفتوحة على بيان المعنى المعجمى وما يصاحبه من معطيات نحوية.

٣) المعنى في العلاقات التركيبية :

هناك علاقات تركيبية من أنواع مختلفة، والمقصود بالعلاقة التركيبية ارتباط أكثر من كلمة على نحو يجعل استخدامها أو استخدامها مت لازما لأداء المعنى المراد. وأهم أنواع العلاقات التركيبية :

أ - التضام : Collocation

التضام يعنى ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية، ويكون معناها مفهوما من الجزئيات المكونة لها. فكلمة كرسي، مثلا تستخدم في عدة تراكيب على سبيل التضام، وتدور هذه التراكيب حول معنيين اثنين، أولهما يظهر في التراكيب: جلس على الكرسي، صنع كرسيًا، كرسي منخفض، كرسي خشبي، كرسي حديدي، أما المعنى الثاني فهو في تراكيب، مثل كرسي الفلسفة كرسي علم اللغة، كرسي الأستاذية. واضح من هذه التراكيب أن المعنى الأول داخل في المجال الدلالي للأثاث والمعنى الثاني داخل في المجال الدلالي للوظائف، ومعنى تركيب التضام جمع لمعنى المكونات. وجميع هذه التراكيب منطلق أساسي لتحديد المعنى.

ب - التراكيب الثابتة : Idioms

هناك عدة أنواع من التراكيب الثابتة، تكون من كل منها أكثر من كلمة في علاقة تركيبية لها دلالتها التي لا تتكون من مجرد مجموع دلالات العناصر المكونة لها. وفي كثير من الحالات نجد التركيب الثابت في لغة من اللغات تقابله كلمة واحدة

في لغة أخرى. إن ثمرة من نوع الحمضيات تسمى في مصر (يوسف أفندي). وهذا تركيب ثابت ومعناه لا يؤخذ من دلالة الكلمتين المكونتين له، واسمه في دور عربية أخرى (مندرين)، وهنا نجد كلمة واحدة دخيلة في مقابل تركيب ثابت. ومثل هذا يقال في (قمر الدين)، ومعناه ليس جمعا لدلالة القمر مع الدين.

وهناك تركيب ثابتة ذات عنصرين تربطهما الواو، ومن هذه التراكيب (لأحصر وليابس)، (العربي والعجمي). وهذه تراكيب يتجاوز معناها معنى العنصرين المكونين لها إلى دلالة العموم والشمول.

ج - العبارة الجاهزة : Ready-made Utterances

المقصود بالعبارات الجاهزة تلك التراكيب المكونة من أكثر من كلمة، وتطول عادة إلى أكثر من كلمتين، وذلك مثل عبارات التحية: كيف حالك؟ صباح الخير، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام، تشرفنا. وهي عبارات يتعلمها ابن اللغة باعتبارها عبارات متكاملة، تدل بكاملها دلالة محددة، وهي دلالة يعطيها التركيب كاملا متجاوزا دلالات الجزئيات المكونة. ومعنى هذا أن مستخدم اللغة لا يكونها من جديد في كل مرة. وهذه العبارات تستخدم في مواقف اجتماعية متكررة، وتعد عناصر لغوية في طقس اجتماعي.

وقد لاحظ عالم الأنثروبولوجيا المالنوفسكي B. Malinowski أن ثمة أحداثا كلامية كثيرة - وفي كل البيئات - لا تهدف إلى نقل المعلومات أو الأوامر أو التعبير عن أمل، بل هدفها محدد إثارة الشعور بالود والروح الاجتماعية. أطلق عليها مصطلح Phatic Communion. وبعض هذه العبارات الجاهزة داخل في هذه الأحداث الكلامية، ولكن بعض العبارات يتكون من عناصر تكاد تكون ثابتة بدرجة محدودة من المرونة. ففي مجال الترحيب بإنسان يمكن القول: فرصة عظيمة، فرصة سعيدة، أأ سعيد بهذه الفرصة. وهنا المرونة قائمة ولكنها محدودة، أما البائع عندما يقول للداحل

إلى محله: أهلاً وسهلاً، فهو لا يعنى عناصر التركيب، بل هى عبارة جاهزة فى موقف الترحيب لإثارة درجة من الود والأمان.

وفى العمل المعجمى ينبغى النظر فى كل العلاقات التركيبية بأنواعها المذكورة باعتبارها علاقات أساسية فى المعنى، ولذا ينبغى مراعاة ذلك فى تحديد المداحل وأن تكون هذه التراكيب الثابتة والعبارات الجاهزة كاملة العناصر فى المعجم، ولا يحور تمزيقها إلى عناصرها المكونة.

رابعاً: السياق : Context

كلمة السياق كثيرة الدوران فى البحوث اللغوية، تناولها الباحثون فى الدلالة بمعنيين مختلفين، يمكن تحديدهما فى أمرين، هما السياق اللغوى Linguistic Context على عكس السياق الاجتماعى Social context، ويسمى السياق الاجتماعى عند فيرث Firth باسم Context of Situation أى سياق الموقف. وعند بالمر Palmer باسم Non Linguistic Context أى السياق غير اللغوى^(١). وهناك باحثون يستخدمون كلمة السياق دون تمييز بين السياق اللغوى من جانب والسياق الاجتماعى من الجانب الآخر.

ويشمل السياق اللغوى كل العلاقات، وهى كل العلاقات التى تتخذها الكلمة فى داخل الجملة. وهذه العلاقات الأفقية Syntagmatic relations على عكس العلاقات الجدولية Paradigmatic relations وهى العلاقات الاستبدالية التى تتخذها لكلمة مع كلمات أخرى يمكن أن تحل محلها. ويوضح هذا بالأمثلة على النحو التالى:

أمثلة لعلاقة لأفقية : قام بواجبه، شجرة باسقة، كتاب قيم، علم الدلالة.

^١ فirth, Papers in Linguistics, Lyons, Introduction 413; Palmer, Semantics 43-58, 92-101.

أمثلة العلاقات الجدولية: جلس الطالب على الكرسي، جلس الأستاذ على الكرسي، جلس المدير على الكرسي.

وعلى هذا فالعلاقة بين (قام) و (واجب) أفقية، وكذلك بين (شجرة) و(باسقة)، وبين (كتاب) و (قيم)، وكذلك بين (علم) و (الدلالة).

أما العلاقة الجدولية فنجدها بين الكلمات التي يصلح استخدامها في الموقع نفسه في الجملة والوحدة، وهي كلمات: الطالب والأستاذ والمدير.

في إطار البحث الدلالي تعد العلاقات الأفقية - بكل أنواعها موضوعا للسياق لغوى، ويدخل في هذا بالضرورة ظواهر مختلفة منها التضام والتراكيب الثابتة والعبارات الجاهزة. ويتناول كل ما يربط كلمتين أو أكثر في سياق لغوي مثل:

- اسم + حرف جر الحق له، الحق عليه، باقة من الورود، مجموعة من
- فعل + حرف جر رغب في، رغب عن .
- مضاف + مضاف إليه رئيس الجامعة، طالب الجامعة.
- صفة + موصوف فكرة جديدة، فكرة قديمة.
- فتاة طويلة، شجرة باسقة.
- فعل + مفعول به أصدر مرسوما، أعلن بحبرا.

وهكذا تعد كل علاقات السياق ضرورية في العمل المعجمي.

أما السياق الاجتماعي فهو أيضا ضروري في تحديد الدلالة، ويكفي أن نشير إلى أن عبارة (سلام عليكم) تحمل دلالات تختلف باختلاف التنغيم في نطقها وفقا لمواقف الاجتماعية المختلفة، فنطقها عند الغضب يختلف عنها عند التحية. ودراسة استخدام الكلمة أو العبارة أو التركيب في الموقف الاجتماعي أمر متعدد الجوانب، ولا بد من أن تضع الدراسة العناصر المختلفة المحددة لطبيعة هذا الموقف، وفي مقدمتها:

أ - الزمن (وقت العمل، وقت الراحة الأسبوعية، وقت العطلة الصيفية إلخ).

- ب - المكان (مكان عمل، منزل، نادى، مدرسة، قطار إلخ).
- ج - مكانة المتحدث (الوظيفة، الثروة، العمر ... إلخ).
- د - مكانة المحاطب (الوظيفة، الثروة، العمر ... إلخ).
- هـ - العلاقة بينهما (رسمية، قرابة، صداقة، عدم معرفة).
- و - الأفعال غير اللغوية المصاحبة للحدث (حركات اليد، قسّمات الوجه ...).
- ز - الموضوع (موضوع عمل، موضوع شخصى، موضوع سياسى ...).
- ح - العناصر المادية الحيطّة بالموقف (المنظر الطبيعى، المنزل).
- ط - المعرفة السابقة بما دار (الموضوع جديد، استكمال موضوع قديم ...).

خامساً : المجالات الدلالية : Semantic Fields :

تعد نظرية المجال الدلالي من أهم نظريات البحث اللغوى الحديث، طورها عدد من الباحثين في ألمانيا وأمريكا، وأهمهم تريير Trier^(١) ونايدا Nida^(٢). وتقوم هذه النظرية على مبدأ النقيض، فلو كان الكون كله بلون واحد لما كنا في حاجة إلى كلمات لالوان ووجود كلمات مختلفة في مجال دلالي واحد يفرض علينا في بحث دلالة كل كلمة أن نحدد العلاقات الدلالية التي تربطها بالكلمات الأخرى داخل نفس المجموعة الدلالية، فالكلمة لاتنحذ قيمتها الدلالية في نفسها ولكنها تتحدد بالنسبة لموقعها في داخل المجال الدلالي.

(١) عواد كتاب تريير :

Trier, Jost. Der Deutsche Wortschatz im Sinnbezirk des Verstandes. Heidelberg, 1931.

(٢) اخر كتب نايدا وأهمها في هذا المجال :

F. Nida, Componential Analysis of Meaning, 1975.

ولأخذ مثلاً إحدى الكليات الجامعية تمنح تقديرات (ممتاز، جيد جداً، وجيد، ومقبول). في حين تمنح كلية أخرى تقديرات (ممتاز، جيد، ناجح). فهذا يحدد كمية (جيد) يختلف معناها في النظامين، وكلمة (ناجح) في النظام الثاني ليس لها مقادير مسانرة في النظام الأول. وإذا أردنا أن نحدد قيمة كل تقدير من هذه التقديرات علينا أن نعين موقعه في داخل نفس النظام الذي ينتمي إليه. ففي العمل المعجمي لا يصح أن نقول عن (ممتاز) تقدير رفيع وعن (جيد جداً) تقدير رفيع، وهذا خطأ عندما نسوي بين كلمتين - ثبت لنا - أنهما غير مترادفتين وعلينا أن نضع التقديرات بالترتيب إلى بعضها البعض، فيكون تقدير (ممتاز) أعلى التقديرات الجامعية، أما (جيد جداً) فهو تقدير جامعي أقل من ممتاز وأعلى من جيد. وبهذا نكون قد حددنا قيمته في داخل المجموعة التي ينتمي إليها.

وثمة مثال آخر يوضح فكرة نسبية الدلالة، وهو مثال خاص بالترتيب العسكرية، وهنا ينبغي على المعجمي أن يحدد موقع الرتبة بالطريقة السابقة، فلا يجوز أن يقول عن رتبة (عميد) رتبة عسكرية عالية وعن رتبة (لواء) رتبة عسكرية عالية، وكذلك رتبة (فريق)، ففي هذا تميع للحدود الفاصلة دلاليًا. ويمكن أن يوضح هذا ببيان موقع الرتبة، ففي شرح كلمة (عميد) رتبة عسكرية لضابط عظيم أعلى من عقيد وأقل من لواء. وهكذا في باقي الترتيب العسكرية.

ويتضح لنا من مثال (عميد) ضرورة بحث هذه الكلمة في عدة مجالات دلالية ففي وظائف الجامعية نجد أيضاً كلمة عميد، ومن ألقاب التكريم بين العلماء نجد (عميد الأدب العربي)، ومن ألقاب التكريم الأسرى نقرأ عن (عميد العائمة ...) وفي المحار ابدلوماسي نقرأ عن (عميد السلك الدبلوماسي). وهكذا نجد أنفسنا مطالبين بحث كلمة (عميد) في كل مجالاتها الدلالية، فنحصل على دلالتها في كل مجال من هذه المجالات.

ولكن الأمر في كثير من الكلمات يحتاج إلى تحديد عدد من المعايير التي يمكن على أساسها - تعرف الدلالة الدقيقة للكلمة في إطار مجموعتها الدلالية. فإذا أردنا أن نحدد دلالة كلمة (الأب) لكان علينا مثلاً أن نبحث مجموعة الألفاظ الدالة على القرابة: أب ، أم ، أخ ، أخت ، عم ، خال ، عمة ، خالة ، جد ، جده. وهناك طريقة يمكن تطبيقها لعرف المعايير التي نحدد عن طريقها دلالة كل كلمة من الكلمات. ولنأخذ أية كلمتين: أب وأم، لنحدد السمة الفارقة بينهما، وهي - هنا - الجنس، وهذا المعيار يميز لنا أيضاً بين كلمات أخرى في المجموعة، ولكنه لا يكفي. فالفرق بين الأب والابن والحد فرق في الجيل، وهذا هو المعيار الثاني، وكلا المعيارين لا يكفيان، ويبقى أن نضيف إليهما للتمييز بين العم والخال معياراً ثالثاً، وهو اتجاه القرابة ودرجتها. وهذه المعايير تميز ألفاظ القرابة، تتكون دلالة كل كلمة منها من مجموع سماتها الدلالية اعتماداً على هذه المعايير المذكورة. وعلى هذا نخرج بالتحديدات الأساسية لدلالات ألفاظ القرابة.

وتعد أفعال الحركة من المجموعات الدلالية الطريفة في كل لغة من لغات الأرض: سار ، مشى ، اقترب ، انتعد ، جرى ، طار ، سح ، زحف. لا بد من استخراج معايير تميز بين هذه المفردات، وتكون البداية التمييز بين كلمتين، هما (سار) و (صار). وهما نجد المعيار الفارق هو مكان الحركة أرضاً وجواً، فإذا أضفنا كلمة (سبح)، قلنا أرضاً وجواً وبحراً. والمعيار الثاني هو سرعة الحركة - وبهذا نميز بين (مشى) و (جرى)، والمعيار الثالث وسيلة الحركة، على الأرجل أو على البطن أو باستخدام كل الأطراف في (زحف)، والمعيار الرابع اتجاه الحركة بعداً أو قرساً في (اقترب) و (انتعد) أو دون اتجاه محدد (سار) (طار) (جرى) (سبح). وهكذا نحدد في ضوء هذه المعايير السمات المميزة لكل فعل من أفعال الحركة، وهذه السمات هي مجموع نصيبه من كل معيار من هذه المعايير .

وعلى ذلك، فتحديد المجالات الدلالية، ثم بحث الكلمات في داخل كل مجال دلالي وفق معايير مناسبة لهذا المجال يعطينا - آخر الأمر - مجموع السمات التي تميز كل كلمة - دلاليًا - عن الكلمات الأخرى في داخل المجموعة، وإذا انتقلت كمنهات في السمات الدلالية فالكلمتان مترادفتان. وبعد تحديد هذه المعايير وبحث المعمرات على أساسها تتضح ملامح المجموعة وسمات كل كلمة منها. وهذا التحديد أساسي قبل تحرير المعجم، فتحليل الدلالات في ضوء المجالات الدلالية عمل أساسي في مراحل الإعداد المعجمي.

الفصل الحادى عشر

الأسرة اللغوية الأفروآسيوية

تكون اللغات الأفروآسيوية أسرة لغوية واحدة من أكبر الأسرات المعوية فى العالم القديم والوسيط والحديث. وتضم هذه الأسرة عدة أفرع لغوية، هى: الفرع السامى، والفرع المصرى القديم، والفرع البربرى، والفرع التشادى، والفرع الكوشى. وكان الباحثون قد أدركوا العلاقة بين اللغات المختلفة التى تدخل فى إطار اللغات السامية، ثم اتضحت أوجه الشبه بين هذه اللغات واللغة المصرية القديمة. واتسع مجال المقارنة فدخلت اللغة البربرية وقورنت مع اللغات السامية وثبتت القرابة أيضا. وامتدت الدراسات المقارنة إلى بعض اللغات الأفريقية ذات الصلة باللغات السامية فاتضحت أوجه الشبه البنوية أيضا. وهكذا تكونت لدى الباحثين صورة عن القرابة بين عدد من اللغات فى شمالي وشرقي أفريقية وغربي آسيا، ولذا وصف اللغوى الأمريكى جرينبرج هذه الأسرة بأنها الأسرة الأفروآسيوية.

تقوم وحدة اللغات الأفروآسيوية على اشتراكها فى عدد من الخصائص البنوية، أوضحها ما يأتى:

(١) التمييز بين المذكر والمؤنث فى الصيغ الصرفية المختلفة، ووجود هذه السمة دليل على انتهاء اللغة موضوع البحث إلى اللغات الأفروآسيوية، فاللغات الهندية الأوروبية كانت تميز بين الذكر والمؤنث والمحايد، وهذا واضح حتى الآن فى اللغة الألمانية. أما اللغات الأورالية الالتيانية فلا تعرف مثل هذا المعيار فى التصنيف، فليس منها ما يصف بين المذكر أو المؤنث. ويقوم التصنيف فى عدد من الأسرات اللغوية الأفريقية وفق معايير أخرى، ليس من بينها التصنيف وفق الجنس المحوى، فاللغة السواحلية مثلا تصنف الأسماء وفق السابقة التى يبدأ بها الاسم. أما اللغات الأفروآسيوية فتصنف الكلمات وفق معايير من أهمها التذكير والتأنيث، أى وفق

الجنس لتحوي، وتستخدم التاء في كل اللغات الأفروآسيوية لتمييز المؤنث عن المذكر. فاللغات الأفروآسيوية تتفق من ناحية مبدأ التصنيف ومن ناحية الوحدة الصرفية الدالة على التأنيث.

٢- استخدام عدد من الوحدات الصرفية بنفس الوظائف الحوية في اللغات المختلفة، منها انون والكاف، أما النون فتقوم بالربط بين وحدة صرفية للمفعول وللإسم مع وحدة صرفية تعبر عن المتكلم. ومثال هذا في اللغة العربية نون الوقاية التي تستخدم لربط الفعل بضمير المتكلم، مثل: كلمني. أما في لغة الهاوسا -وهي من لغات انتشادية- نجد هذه النون للربط بين الإسم والضمير المتصل، فمثلا Yaronka تعنى ابنك، وتتكون من (yaro) بمعنى ابن، و (n) للربط، (ka)، ويلاحظ في المثال السابق أيضا استخدام الكاف والفتحة للمخاطب المذكر، أما في المؤنث فضمير المخاطبة المؤنثة ka في الهاوسا وفي اللغة العربية أيضا، أما التاء فتكون في اللغات الأفروآسيوية المختلفة صيغا خاصة بالمؤنث، على نحو ما نعرف في اللغة العربية.

٣- هناك لغات كثيرة تدخل في الأسرة الأفروآسيوية، وتكون صيغ اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل السابقة m، نجد هذا مثلا في اللغات السامية وفي اللغات انتشادية، ومنها لغة الهاوسا مثال هذا في العربية اسم المكان (موضع) من المادة وضع، واسم الآلة (منشار) من المادة، واسم الفاعل (مقيم) من الفعل أقام، وشبه بهذا أبنية اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل في لغة الهاوسا وغيرها من اللغات انتشادية.

أولاً: اللغات السامية:

يضم الفرع السامي من اللغات الأفروآسيوية عددا من اللغات القديمة والحديثة اتى لها دور واضح في الحضارة الانسانية. وتعد اللغات السامية من أقدم اللغات الإنسانية التي وصلت إلينا مدونة، فاللغة الأكادية في أرض المهرس قد دونت منذ ٢٥٠٠ ق.م. وهي بهذا من أقدم اللغات المدونة. وقد وصلت إلينا نصوص مدونة بلغات

سامية مختلفة منذ هذا التاريخ المبكر وعبر حوالى خمسة وأربعين قرناً. كما يعرف العالم الحديث عدة لغات سامية حية، أهمها العربية والأمهرية ومنها العبرية الحديثة وبنهجات الآرامية الحديثة والمهرية والتجرية والتجرينية. وكل هذه اللغات قد نشأت عبر مراحل من التغير عن لغة واحدة مشتركة لم تصل نصوص منها، وهى اللغة التى يسميها الباحثون باسم اللغة السامية الأولى. وهناك اقتراح بتعديل نسميتها إلى : اللغات العروبية.

١- الخصائص المشتركة في اللغات السامية:

تتفق اللغات السامية في مجموعة من الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وتظهر هذه الخصائص بشكل أوضح فى اللغات السامية القديمة، ويمكن تفسير أى خروج عن هذه السمات المشتركة فى أية لغة مفردة بأنها خالفت باقى لغات الأسرة السامية فى أحد الجوانب المذكورة.

وأهم هذه الخصائص المشتركة فى اللغات السامية ما يأتى:

(أ) نجد فى اللغات السامية مجموعة أصوات الحلق: العين والحاء والغين والخاء والهاء والهمزة. وهذه المجموعة موجودة فى شكلها الكامل فى اللغة العربية. وقد حدثت لها بعض تغيرات فى عدد من اللغات السامية أدت إلى تداخل بعض هذه الأصوات، وهذا واضح مثلاً فى اللغة العبرية إذ حل فيها صوت العين محل صوتين اثنين هما العين والغين، ومعنى هذا أن اللغة السامية الأم كانت تميز بين العين والغين كما تميز بينهما العربية، ولكن الصوتين تحولاً فى العبرية إلى صوت واحد هو العين. ومعنى هذا أن الكلمات التى توجد فى العبرية بالعين يمكن أن يقابلها فى العربية من الناحية الاشتقاقية كلمات تضم صوت العين أو صوت الغين.

(ب) توجد فى اللغات السامية مجموعة أصوات مطبقة، تشترك هذه الأصوات من اساحة الطبقة فى ارتفاع اللسان درجة فى أثناء النطق بها مع اتخاذها شكلاً مقعراً.

والأصوات المطبقة فى العربية هى الصاد والطاء والضاد والظاء. وقد عرفت اللغة السامية الأم هذه الأصوات المطبقة على نحو وجودها فى العربية، وفى اللغة العربية الجنوبية القديمة. أما فى اللغات السامية الأخرى فتوجد أصوات الأطباق بعدد أقل، فالعبرية مثلا تعرف صوت الصاد -فى نطقه المختلف قليلا عن النطق العربى- مقابلا اشتقاقيا لثلاثة أصوات عربية هى الصاد والضاد والظاء. فأية كلمة عربية بها ضاد أو طاء أو صاد يكون مقابلها الاشتقاقى فى اللغة العبرية -إن وجد- كلمة تضم الصاد العبرية.

(ج) يقوم بناء الكلمة فى اللغات السامية على أساس الصوامت والوزن. ومعنى هذا أن المعنى الأساسى يرتبط بالصوامت، فالكلمات: فعل، وفاعل يرتبط معناها الأساسى بالفاء والعين واللام، والكلمات: كتب ومكتب وكتابه يرتبط معناها الأساسى بالكاف والياء والباء، والكلمات: علم، عالم، علم يرتبط معناها الأساسى بالعين واللام والميم. أما الوزن مثل وزن فاعل فيحدد المعنى الدقيق للكلمة بأن يدل مثلا على من قام بالفعل، وعلى هذا تتفق الكلمات: كاتب، ضارب، عامل، لاتفاق وزنها.

(د) تصنف الصيغ فى اللغات السامية من ناحية الجنس النحوى إلى مذكر ومؤنث، ومن ناحية العدد إلى مفرد ومثنى وجمع. وهناك لغة سامية هى العبرية قل فيها استخدام المثنى وأصبح مقصورا على الأشياء الموجودة فى الواقع الخارجى فى شكل ثنائى مثل اليدين والرجلين. أما من ناحية النهايات الإعرابية فاللغات السامية القديمة عرفت التمييز بين ثلاث حالات فى إعراب الاسم، فهناك نهاية للمرفوع وأخرى للمنصوب وثالثة للمجرور، يتضح هذا بصفة خاصة فى الأكادية والعربية.

(هـ) وهناك عدد كبير من المفردات الأساسية المشتركة فى كل اللغات السامية، ويمكن تقسيم هذه المفردات إلى المجموعات التالية:

- ألفاظ خاصة بجسم الانسان (رأس، عين، يد، رجل، شعر).

-ألفاظ خاصة بالنبات والحيوان (قمح، سنبله، كلب، دئب).

- بعض الأفعال الأساسية (ولد، مات، قام، زرع).

- الأعداد الأساسية (من اثنين حتى عشرة).

- حروف الجر الأساسية (من، على، في).

وفوق هذا فإنه من الممكن للباحث في اللغات السامية التعرف المواد اللغوية المشتركة في كل هذه اللغات، والنسى قامت اللغات السامية المختلفة بالإفادة منها لتكوين كلماتها الكثيرة المتحددة.

ولاشك أن درجة التقارب بين اللغات السامية المختلفة تجعلها تشكل فرعاً واحداً في إطار الأسرة الأفروآسيوية. معنى هذا أن اللغة العربية أقرب إلى اللغة العبرية أو إلى اللغة الأكادية منها إلى لغة الهوسا، فالعربية والعبرية والأكادية من الفرع السامي، ولغة الهوسا من الفرع التشادي، والفرع السامي والفرع التشادي يدخلان في الأسرة الأفروآسيوية.

٢- الفرع الأكادي

اللغة الأكادية أقدم لغة سامية دوت. فقد كتبت أقدم نصوصها حوالي سنة ٢٥٠٠ ق.م. والأكاديون هم تلك الجماعات السامية التي هاجرت من مهد الساميين في جزيرة العرب -على أرجح الآراء- إلى العراق. وتعد هذه الهجرة أقدم الهجرات السامية، وعندما دخلت هذه الجماعات السامية أرض العراق التقت بشعب منحضر قديم وتعلمت منه الكثير. كان العراق قبل هجرة الساميين إليه مركز حضارة السومريين، والسومريون شعب لاعلاقة له بالساميين، ولغته تختلف اختلافاً بعيداً عن اللغات السامية بل وعن اللغات الأفروآسيوية بأسرها.

تعلم الساميون الوافدون من السومريين نظام الكتابة، وكان السومريون يدونون لعتهم بمرور تشبه المسماري، وتسمى هذه الكتابة باسم الكتابة المسمارية. وتعتمد هذه

رموز المسمارية بصفة عامة - على تدوين كل كلمة بعد تقسيمها إلى مقاطع. ولنا
 في كتابه مقطعية من ناحية الأساس العلمي ومسمارية من ناحية الشكل. وهذا لحظ
 معقد له من ناحية التعبير عن الواقع المنطوق ميزة واحدة هو أنه يدون الحركات
 ضمن المقطع، فالمقطع الواحد يتكون من صامت وحركة على أقل تقدير. فهو كنت
 كلمة كَلْب بالاكادية فإن المقطع الأخير يضم الباء والضمة ويدون برمز مسماري
 مختلف للرمز اندل على الباء والفتحة، ويختلف عن الرمز المسماري سدى يدر على
 الباء والكسرة. وهكذا تعدد الرموز، وتكثر مما يجعل الكتابة صعبة التعلم. ولكن هذا
 الخط مفيد للباحث في التحليل اللغوي.

احتفظت اللغة الاكادية بعدد من الخصائص المفرقة في القدم منها ظاهرة
 الإعراب على نحو ما نعرف في إعراب الاسماء في اللغة العربية، فهناك نهاية إعرابية
 لرفع وأخرى للنصب وثالثة الجر. وعلى العكس هذا الجانب المحافظ هناك تغيرات
 حدثت في اللغة الاكادية جعلتها تختلف عن باقي اللغات السامية، وأوضح هذه
 السمات في الاكادية عدم التمييز بين أصوات الحلق، فاختفت أصوات العين والحاء
 والهاء من الاكادية. وقد فسر بعض الباحثين اختفاء هذه الأصوات بأنه نتيجة تأثير
 اللغة السومرية فلم تكن السومرية تعرف هذه الأصوات.

لقد دخلت اللغة الاكادية أرض النهرين في القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد
 تقريباً. وساد المنطقة حوالي ستة قرون ازدهاج لغوي بين الاكادية والسومرية وهناك
 نقوش بكتا سبعين من هذه الفترة. ويقسم العلماء النقوش الاكادية المدونة بعد ذلك
 إلى عدة مستويات لغوية بابلية واشورية. وعندما سقطت آخر الدول الاشورية في
 القرن السابع قبل الميلاد كانت اللغة الآرامية تنافس الاكادية في العراق فقل استخدامها
 بصورة مطردة في القرون التالية.

٣- الفرع الكنعاني

(أ) اللغة الأجرية:

السنة الأجرية هي اللغة السامية الثانية من ناحية تاريخ تدوين أقدم النقوش فقد دوت نقوشها حوالي سنة ١٤٠٠ ق.م. وقد اكتشفت هذه النقوش الأجرية سنة ١٩٢٩ في أصلان مدينة قديمة جاء اسمها "أجريت" في النقوش، وتوجد بالقرب من رأس شمرا على ساحل الشام. وتمثل اللغة الأجرية أقدم لغة سامية عرفتها منطقة الشام، فالأجرية مثلا تميز بين أصوات تداخلت بعد ذلك في العربية. فإذا كانت العربية تميز بين الحاء والحاء على نحو ما كان في اللغة السامية الأم فإن الأجرية أيضا تميز بينهما. وقد تحولت الحاء السامية إلى حاء في العربية فالتقت في العربية الحاء والحاء الساميتان القديمتان في صوت واحد هو الحاء. وقد دوت الأجرية بخط أبجدي، ويعد هذا الخط مرحلة متطورة نقلت نظام الكتابة إلى مستوى بسيط ودقيق إلى حد بعيد. فقد طور الأجريتون نظام الكتابة إلى أبجدية. وتقوم الكتابة الأبجدية على أساس أن يعبر الرمز الواحد أي الحرف الواحد عن صوت واحد من أصوات اللغة وبهذا يحتاج تدوين اللغة إلى عدد محدود من الرموز، وبذلك تم عند الأجريتيين تبسيط نظام الكتابة، وعندهم أخذت باقي الشعوب فكرة الكتابة الأبجدية... أما من ناحية الشكل فقد دون الأجريتون حروف أبجديتهم برموز تشبه المسامير، ولذا تعد الكتابة الأجرية كتابة مسمارية أبجدية.

(ب) اللغة الفينيقية:

السنة الفينيقية هي لغة النقوش التي وصلت إلينا من ساحل الشام ومن جنوب أوروبا وشمال أفريقيا وجزر البحر المتوسط. وهذه النقوش مدونة بخط أبجدي متطور عن الخط الأجرية. وهو خط أبجدي، لكل صوت رمز يكتب به. والخط الفينيقي تتحد الحروف فيه أشكالاً هندسية مختلفة ويشبه إلى حد ما الخط العبري. وتؤرخ النقوش الفينيقية بفترة بين سنة ١٢٠٠ ق.م. إلى سنة ١٠٠ ميلادية في منطقة ساحل

النشأة. وهناك نقوش دونت بعد هذا التاريخ فى شمال أفريقيا. ويطلق على اسقوش
العينية فى شمال أفريقيا اسم النقوش البونية.

(ج) اللغة العبرية:

اللغة العبرية هى إحدى اللهجات الكنعانية، تعلمتها مجموعة من الأسويين
عندما هاجروا إلى أرض فلسطين فاكسبوا لهجة كنعانية سائدة فى فلسطين فى القرن
الثانى عشر قبل الميلاد. وقد ظلت العبرية لغة الحياة اليومية فى هذه المنطقة حوالى
سنة قرون، إلى أن حلت محلها آرامية فى نفس المنطقة. وقد ارتبطت اللغة العبرية
بالدين اليهودى حتى بعد أن انتهت من الاستخدام فى الحياة اليومية. وقد دونت أسفار
العهد القديم على مدى عدة قرون، امتدت - أيضاً - بعد القرن السادس قبل الميلاد،
فبعض الأسفار دون بعد هذا التاريخ باللغة العبرية فضلاً عن سفرين فى العهد القديم
دونا بالآرامية. وتقسم المراحل التى مرت بها اللغة العبرية -اعتماد على النصوص التى
وصلت إلينا- على النحو التالى:

(أ) العبرية القديمة:

هى لغة أسفار الكتاب المقدس عند اليهود، وهو مكون من أسفار موسى
الخمسة أى التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار المكتوبات أى الأسفار الأدبية. ويرمز اليهود
إلى هذا الكتاب المقدس بالأحرف الأولى الدالة على هذا الكتاب (ت ن خ)، ويطلق
عليه المسيحيون اسم العهد القديم تمييزاً له عن العهد الجديد أى الأنجيل. ويكاد
يكون العهد هو القديم المصدر الوحيد لتعرف العبرية القديمة، فهناك نقوش قليلة
وصلت إلينا بالعبرية القديمة.

٢- عبرية المشنا:

المشنا هو الكتاب المقدس الثانى عند اليهود وقد دون بعد أن اكتمل تدوين
العهد القديم. وقد ألف كتاب المشنا بين أواخر القرن الأول الميلادى ومنتصف القرن

الثالث لميلاد بلغة عبرية لم تكن لغة الحياة آنذاك، فقد كان مؤلفو المشنا يتحدثون بالآرامية فى أمور الحياة ويرتلون الكتاب المقدس بالعبرية، وكانت العبرية لغة الدين، وبها ألفوا المشنا.

٣- العبرية الوسيطة:

العبرية الوسيطة هى لغة الكتب الدينية وغير الدينية التى ألفت فى العصور الوسطى، وهناك خلاف بعيد حول تحديد نقطة البداية ونقطة النهاية بالنسبة لهذه المرحلة من تاريخ اللغة العبرية. لقد ازدهرت اللغة العبرية فى إطار الحضارة الإسلامية فى الأندلس فكتب بها نصوص أدبية، فيها محاكاة للأدب العربى مثل المقامات، وترجمت إلى العبرية كتب عربية كثيرة وكتب بها بعض المؤلفات الدينية والفلسفية.

٤- العبرية الحديثة:

العبرية الحديثة هى اللغة الرسمية فى إسرائيل. والعبرية الحديثة هى محاولة لاجياء اللغة العبرية بعناصرها الموروثة مع تطويرها لتعبر عن الحضارة الحديثة. ولذا فهناك اختلافات فى بنية اللغة العبرية الحديثة تعكس تغيراً طرأ على هذه اللغة عبر مراحلها المختلفة، وهناك مصطلحات كثيرة دخلت إليها من اللغات الأوروبية المختلفة. ويعكس نطق اللغة العبرية الحديثة العادات الصوتية عند أبناء اللغات الأوروبية، ويتضح هذا بصفة خاصة فى عدم نطق أصوات الإطباق وأصوات الحلق بالطريقة المتعارف عليها عند العرب وفى اللغات السامية القديمة.

٤- الفرع الآرامى :

وصلت إليها الآرامية فى عدد من المستويات اللغوية منذ القرن العاشر قبل الميلاد إلى اليوم، ظلت الآرامية معروفة على مدى القرون الثلاثين الماضية وليست هناك لغة آرامية موحدة، بل تنوعت المستويات اللغوية الآرامية فى كل فترة زمنية تنوعاً بعيداً، وتغيرت خصائص هذه اللهجات بمرضى الوقت.

(أ) آرامية الدولة :

وصلت الآرامية إلى مكانة رفيعة فى القرون السابع والسادس والحامس قبل الميلاد عندما أعلنت لغة رسمية للإمبراطورية الايرانية فى عصر الأخمينيين، ولذا يصدق عليها فى هذه الفترة مصطلح "آرامية الدولة". وهناك نقوش من هذه الفترة وجدت فى مصقة واسعة من العالم القديم أقصاها شرقا فى منطقة تقع الآن فى باكستان وأقصاه غربا فى أسوان بمصر. كانت الآرامية فى كل هذه المنطقة لغة التعامل بدوسى التى يتوسل بها أبناء اللغات المحلية المختلفة فى تعاملهم مع بعضهم البعض. وقد دونت الآرامية فى كل هذه النقوش بخط ابحدى بسيط كان من أسباب الإقبال على استخدامها.

(ب) السريانية:

السريانية أهم اللهجات الآرامية من الناحية الحضارية ارتبط تاريخها بالمسيحية، ولذا يرغب المسيحيون عن تسميتها بالآرامية باعتبار الآرامية لغة وثنية. وكانت السريانية لهجة منطقة محدودة فى الشام وانتشرت مع ظهور المسيحية شيئا فشيئا إلى أن أصبحت لغة منطقة كبيرة فى الشام والعراق ولغة ثقافية معروفة. وترجع أهمية اللغة السريانية فى المقام الأول إلى أنها كانت وسيلة نقل التراث اليونانى إلى اللغة العربية. وفى القرون السابقة على الاسلام كان المثقفون المسيحيون السريان يتعمقون اللغة اليونانية ويقرؤون تراث اليونان، وعندما دخلت منطقة الشام والعراق بعد الفتح الاسلامى فى إطار الحضارة الإسلامية الناشئة أسهم المسيحيون السريان فى تكوين الحضارة العربية الإسلامية بترجمة ما عندهم من معارف يونانية إلى اللغة العربية. ومن أشهر المترجمين السريان حنين بن اسحق وتلاميذه.

جـ- اللهجات الآرامية الأخرى :

هناك عدد كبير من اللهجات الآرامية الحديثة. يضم التلمود وهو أحد الكتب المقدسة عند اليهود متنا وشرحاً، والعتن بالعبرية ويسمى المشنا، أما الشرح يسمى جمارا. وهذا الشرح المدون في العراق باللهجة الآرامية البابلية يكون مع 'مشنا' التلمود الباسي. أما الشرح المدون باللهجة الآرامية الفلسطينية فيكون مع 'بص' المشنا ما يسمى باسم التلمود الفلسطيني. وهناك لهجات آرامية كثيرة ترجمت إليها أسفار التوراة، وتعرف هذه الترجمات باسم الترجوميم. وفي العهد القديم سفر 'مدونان' بالآرامية، هما سفر دانيال وسفر عزرا. وعندما كانت اللغة العربية لا تكتب عند أهلها كان النبط وهم شعب عربي عاش في شمال الحجاز وجنوب الأردن يدون نقوشه بلهجة آرامية. وهناك لهجة آرامية توجد إلى اليوم في جنوب العراق عند الصابئة، وهم المندعيون الذين احتفظوا بدينهم وبلهجتهم الآرامية وبكتابهم المقدس إلى اليوم.

وتوجد اليوم عشرات القرى الآرامية في شمال العراق وإيران، وهناك قرىتان آراميتان في سورية. وهذه القرى الآرامية تقع في مناطق جبلية حافظت على ارتباطها بالمسيحية. في السنوات الماضية هاجرت جماعات آرامية كثيرة من شرق تركيا إلى ألمانيا والسويد. ويقدر مجموع عدد الناطقين بالآرامية في هذه المناطق بربع المليون.

٥- الفرع الجنوبي:

يضم الفرع الجنوبي مدى اللغات السامية العربية (الشمالية) العربية الجنوبية، واللغات السامية في الحبشة.

(أ) العربية الجنوبية:

العربية الجنوبية مجموعة المستويات اللغوية التي وصلت إلينا في النقوش التي يسميها الباحثون باسم النقوش المعينية والسبئية والحميزية. وتؤرخ هذه النقوش لفترة من القرن السادس الميلادي تقريباً، وقد وجدت هذه النقوش في النصف الجنوبي من

حريرة العرب وعلى طرق التجارة التي كان الحنوبيون يقفون في محطاتها اموجودة حتى أقصى الشمال. وهذه النقوش مدونة بخط أبجدي بسيط يختلف من ناحية أشكال الحروف عن الخط العربي الشمالي، ويسمى الخط العربي الجنوبي باسم خط المسد. وبعد انهيار سد مارب هاجرت قبائل جنوبية إلى الشمال، فأحدثت تعرب شيئا فشيئا بلغة الشمال، وأخذت العربية الشمالية قبيل الاسلام تنتشر في حوب الحريرة العربية، ورا د معدل التعريب بشكل واضح بعد دخول اليمن في الاسلام. ولم يبق من العربية الجنوبية إلى اليوم إلا مجموعة من اللغات في مناطق منعزلة نسبيا أهمها المهريّة في اليمن الشعبية على حدود عمان، ويقدر عدد أبناء المهريّة بحوالى ربع مليون، وتوجد لغة جنوبية حديثة في جزيرة سو قطرة في بحر العرب. وتسمى باسم اللغة السوقطرية، وهناك عدة مستويات لغوية عربية جنوبية في سلطنة عمان.

ب- اللغات السامية في الحبشة:

نشأت اللغات السامية في الحبشة نتيجة لهجرة عربية جنوبية من جزيرة العرب إلى شرق أفريقيا، هناك تشابه بين أقدم ما وصل إلينا مدونا في الحبشة وبين ما نعرفه في النقوش العربية الجنوبية القديمة.

لغة الجعز أقدم سامية عرفتها الحبشة، وهي لغة ذات ارتباط مسيحي واضح، وتشبه من هذا الجانب اللغة السريانية وكذلك اللغة القبطية. وقد ترجمت إلى لغة الجعز في القرن الرابع الميلادي مجموعة الأسفار المكونة للعهد المقدس لدى المسيحيين، وقد ظلت لغة الجعز ذات ارتباط كنسي واضح، فأكثر ما كتب بها وماترجم إليها نصوص دينية. اعتمدت هذه النصوص على أصول سريانية أو يونانية قبل تعريب مصر ثم على نصوص عربية بعد تعريب كتب الكنيسة القبطية في مصر. فالأحباش مسيحيون يتبعون الكنيسة القبطية. ولا تزال لغة الجعز لغة الطقوس الدينية في الحبشة.

وهناك لغات سامية حديثة فى الحبشة، فلفة الجعر ماتت منذ قرون، ولم يعد لها استخدام فى الحياة اليومية. وأكثر اللغات السامية استخداما فى الحبشة اليوم هى الأمهرية، وهى اللغة الرسمية فى الدولة وبها مؤلفات حديثة وتصدر بها الصحف وتستخدم فى التعليم العام، أما اللغتان التجرينية والتجرية فهما أكثر اللغات انتشارا فى اريتريا.

وتدون اللغات السامية المختلفة الموجودة إلى اليوم فى الحبشة بحط يقوم على نظام المقاطع، فالحرف الواحد يرمز إلى صوت صامت مع حركة، والحركات كثيرة فى اللغات السامية فى الحبشة، ولذا يصل عدد الرموز المستخدمة فى تدوين تلك اللغات إلى حوالى ١٨٠ رمزا. وأخيرا فلابد من الإشارة إلى أن دولة الحبشة تضم جماعات كثيرة العدد لها لغات مختلفة لاتتنمى إلى اللغات السامية.

ثانيا: الأفرع اللغوية الأخرى

تضم الأسرة الافروآسيوية إلى جانب الفرع السامى أربعة أفرع لغوية أخرى، هى: الفرع المصرى القديم، والفرع الربرى، والفرع الكوشى، والفرع التشادى.

(١) اللغات المصرية القديمة:

اللغة المصرية القديمة من أقدم اللغات الحضارية فى العالم. يرجع أقدم نقوشها إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد تقريبا، وهى بهذا موازية من ناحية الزمن للغتين السومرية والاكادية. وهناك أوجه كثيرة بين اللغة المصرية القديمة وبين اللغات السامية، منها استخدام التاء لدلالة على الأنثى والكاف المخاطب والنون للجمع والباء لسبب. وتصنف اللغة المصرية القديمة واللغات السامية الأسماء من ناحية العدد إلى مفرد ومثنى وجمع، ومن ناحية الجنس النحوى إلى مذكر ومؤنث.

وقد دونت اللغة المصرية القديمة عدة قرون فتغيرت خصائصها اللغوية، ولذا يمكن تقسيم مراحل تطورها إلى عدة مراحل (مصرى قديم، مصرى متوسط، مصرى

متأخر) وتعد اللغة القبطية آخر مرحلة من مراحل تاريخ اللغة المصرية القديمة. وقد كتبت اللغة المصرية القديمة بعدة خطوط أقدمها الكتابة الهيروغليفية وتقوم أساساً على تدوين الكلمة بشكل دال على معناها مع الرمز إلى العناصر الصرفية بمرور صفة محددة تشير إلى النطق. وقد بسطت الكتابة في مراحل تالية واتحدت أشكالاً محتصرة، ومن أهم هذه النظم المبسطة الخط الهيراطيقى والخط الديموطيقى.

أما اللغة القبطية فقد دوت بخط أبجدي يقوم على الأبجدية اليونانية مصفاً إليها سبعة أحرف لا توجد في اليونانية. وقد ارتبطت اللغة القبطية بالمسيحية في مصر، وكانت تمثل ازدواجاً لغوياً مع اللغة اليونانية، ولذا دخلت القبطية ألفاظ يونانية كثيرة. ومن هذا الجانب تشبه اللغة القبطية اللغتين السريانية والعبرية.

(٢) اللغات البربرية:

هناك نقوش قديمة يزيد عددها عن ألف نقش وجدت في مناطق مختلفة من شمال أفريقيا، وتسمى عند الباحثين باسم النقوش الليبية أو النوميدية. وبعض هذه النقوش مكتوب بلغتين أحدهما هي الليبية والأخرى هي اللاتينية أو اليونانية، مما جعل فك الرموز الليبية التي دوت بها هذه النقوش أمراً سهلاً. وهناك نقوش ليبية مدونة بحروف لاتينية ويونانية. ولم يستطع الباحثون تحديد تاريخ أكثر هذه النقوش على نحو دقيق، وبعضها يرجع إلى سنة ١٣٩ ق.م.

وقد ثبت من الخصائص اللغوية لهذه النقوش قرابته مع اللغات السامية، فعد بعض الباحثين اللغة الليبية لغة سامية انفصلت عن باقي المجموعة في وقت مبكر، ويصفها باحثون معاصرون باعتبارها فرعاً في داخل الأسرة الأفروآسيوية.

تشارك النقوش الليبية القديمة مع اللهجات البربرية التي وصلت إليها نصوص قليلة منها، مادون بالخط العربي ويخط بربري محلي، في خصائص مشتركة. وتعد المستويات النغوية البربرية الحديثة امتداداً لليبية القديمة. تقوم بنية الكلمة في البربرية

على الصوامت والأوزان على النحو المعروف فى اللغات السامية. وهناك عدد من اىوحداث الصرفية فى البربرية تؤدى الوظائف نفسها على نحو ما نعرف فى اسعات السامية، وذلك مثل الناء للتانيث والنون الجمع. وتعرف البربرية أيضا التمييز بين الضمائر المنفصلة والضمائر المتصلة. أما أداة التعريف فهى فى البربرية أل ولكن يبدو أنها مستعارة من العربية لأن اللغات السامية لا تشترك فى أداة التعريف، وقد طورت كل لغة لنفسها أداة تعريف خاصة بها. وتوجد اللهجات البربرية فى منطقة شمال أفريقيا التى سادتها اللغة العربية بعد الفتح الاسلامى، بوصفها لغة الثقافة والعلم، ثم أدت هجرة بنى هلال فى منتصف القرن الخامس الهجرى إلى تعريب مناطق بربرية كبيرة، وكان الفتح الاسلامى قد عرب منطقة صغيرة على الساحل التونسى. وتوجد اليوم جماعات بربرية قليلة العدد فى ليبيا وتونس، ولكن أكثر البربر يعيشون فى الجزائر والمغرب وموريتانيا والصحراء ويقدر عددهم بحوالى عشرة ملايين وهناك جماعات بربرية فى دول أفريقية جنوب دول المغرب.

(٣) اللغات الكوشية:

اللغات الكوشية فرع من الأسرة الافروآسيوية يضم عشرات اللغات تبدأ فى جنوب مصر وتمتد على الساحل الشرقى الافريقى حتى الصومال، وأهم اللغات التى يضمها هذا الفرع اللغة الصومالية التى تستوعب الحياة اليومية فى الصومال وفى المناطق المتاخمة فى اثيوبيا وكينيا. وكانت دراسة البنية اللغوية لهذه اللغات وراء الفرض القائل بأن اسعات السامية تكون مع اللغات الحامية أسرة واحدة. ويتحفظ أكثر الباحثين تجاه مصطلح الحاميين لغموضه، ويفضلون اعترافا بالقرابة بين هذه اللغات والفروع اللغوية الأخرى جعلها فى اطار ما يعرف باسم الأسرة الأفروآسيوية.

(٤) اللغات التشادية:

تصم اللغات التشادية حوالى ثمانين لغة، أكثرها أهمية وانتشارا لغة الهوسا وتعد لغة الهوسا أكثر اللغات انتشارا فى افريقيا جنوب الصحراء، وهى اللغة السائدة فى

يحييريا الشمالية والكاميرون وفى المنطقة المحاورة من جمهورية النيجر . ويقسر عدد أبناء الهوسا بما لا يقل عن خمسة عشر مليوناً، ويتعامل بها من غير أبنائها عدد لا يقل عن عشرة ملايين. وهناك جماعات تتعامل بلغة الهوسا فى مواقع مختنفة فى أفريقيا العربية وأفريقيا الاستوائية. وأكثر المتحدثين بلغة الهوسا من المسلمين، وقد ارتبطت لغة الهوسا بالثقافة العربية الإسلامية عدة قرون، فكتب بالخط العربى ودخلتها ألفاظ عربية كثيرة. وقد عدل نظام الكتابة فى عهد الاستعمار الأوروبى وأحدثت المدارس الحكومية فى تعليم لغة الهوسا مدونة بالخط اللاتينى. وتشترك اللغات النشادية مع باقى اللغات الأفروآسيوية فى عدد من الخصائص البنيوية المشتركة، من أهمها التمييز بين المذكر والمؤنث واستخدام التاء للتأنيث والنون للربط مع الضمير والميم سابقة تكون الصيغ ابدانة على اسم المكان واسم الآلة واسم الفاعل، مما يشير إلى أن كل هذه اللغات تكون أسرة لغوية واحدة.

الفصل الثاني عشر

اللغات الهندية الأوروبية

أُنشئت بحوث القرن التاسع عشر أن عددا كبيرا من اللغات القديمة البائدة والوسيلة والحديثة في رقعة جغرافية شاسعة تمتد من الهند إلى أوروبا تكون أسرة لغوية واحدة. وقد أطلق اللغويون الألمان على هذه الأسرة اسم اللغات الهندية الجرمانية Indogermanische Sprachen بينما تسمى هذه الأسرة عند غيرهم من الباحثين باسم اللغات الهندية الأوروبية Indo European Languages. وقد أخذنا بالتسمية الأخيرة باعتبار أنها تقوم على أسس جغرافي واضح، وتشير إلى المنطقة الممتدة من الهند إلى أوروبا. وليس معنى هذا أن أسرة اللغات الهندية الأوروبية تضم كل اللغات في هذه المنطقة الكبيرة من العالم، فهناك لغات قديمة وحديثة في هذه المنطقة، لا تنتمي إلى الأسرة الهندية الأوروبية. اللغتان العيلامية والسومرية ليستا من اللغات الهندية الأوروبية. كانت العيلامية في غرب إيران وكات السومرية في العراق القديم. وكنتا اللغتين العيلامية والسومرية من اللغات البائدة منذ عصور سحيقة. ولكننا نجد -أيضا- عدة لغات حية في الهند وأوروبا ولاتدخل في أسرة اللغات الهندية الأوروبية. ففي جنوب الهند نجد مجموعة لغات متقاربة البنية تكون أسرة مستقلة هي أسرة اللغات الدرافيدية، وهي أسرة مستقلة لاعلاقة لها باللغات الهندية -الأوروبية. وإذا ما توجهنا من الهند إلى أوروبا نلتقي بلغات كثيرة أخرى تصنف في أسر لغوية كثيرة، فهناك لغات القوقاز، ولغات الترك والمجموعة الفنلندية المجرية، ولغة الباسك، وكلها لاعلاقة لها بالأسرة الهندية الأوروبية. ولذا يقوم تصنيف اللغويين للغات الهندية الأوروبية على الخصائص اللغوية وليس على المنطقة الجغرافية.

ترجع اللغات الهندية الأوروبية المختلفة إلى أصل واحد لم يصل إلينا على نحو مباشر. ولكن العلماء اتفقوا على تسمية اللغة التي خرجت عنها كل هذه اللغات باسم

السنة الهندية الأوربية الأولى . وكانت توجد قبل عام ٢٠٠٠ ق.م. فى مهد اللغات الهندية الأوربية. وعندما هاجرت الجماعات البشرية من هذه المنطقة فى فترات تاريخية متلاحقة أخذت اللغات المختلفة تتكون وتتفصل عن بعضها البعض وتحتد بالنتالى عن اللغة الأقدم، أى أن الباحثين يربطون الهجرات ونشأة اللغات المختلفة. وإذا كان ثمة اختلاف حول مهد اللغة الهندية الأوربية الأولى قبل خروج الهجرات من كثير من الباحثين يميلون إلى افتراض إنها كانت فى المنطقة التى توجد الآن فى جنوب جمهورية روسيا إحدى جمهوريات الاتحاد الروسى، ومن هذه المنطقة خرجت موجات الهجرات جنوبا إلى إيران والهند وفى اتجاه الغرب إلى قلب القارة الأوربية ثم فى اتجاه الجنوب إلى البلقان.

أولا: اللغات المفردة

المقصود باللغات المفردة فى إطار الأسرة الهندية الأوربية تلك اللغات التى يكون كل منها فرعاً مستقلاً بذاته. اللغة الحيثية أقدم اللغات المفردة فى الأسرة الهندية الأوربية. وقد وجدت النقوش الحيثية فى آسيا الصغرى مكتوبة تارة بالخط المسمارى وتارة بالخط الصورى. لقد تعلم الحيثيون الكتابة المسمارية عن السومريين، الذين كانوا أصحاب أقدم خط فى العالم. وكان الحيثيون أول من كتب من أبناء اللغات الأوربية، ويبدو أن اللغة الحيثية قد عاشت فى آسيا الصغرى منذ هجرة الحيثيين إلى هذه المنطقة سنة ٢٠٠٠ ق.م. حتى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وقد تم اكتشاف عدد كبير من النقوش الحيثية سنة ١٩٠٥م

واللغة اليونانية أقدم اللغات الهندية الأوربية الحية منذ ثلاثة آلاف عام. لقد تعلم اليونان الكتابة من الفينيقيين فى القرن التاسع قبل الميلاد، فكتبوا بحط أحدى يعبر عن السطق تعبيراً مباشراً. وكانت اليونانية قد عرفت لهجات كثيرة فى الفترة التالية لهجرة أسائها الأوائل من مهد اللغة الهندية الأوربية الأولى إلى جنوب أوربا، ولكن إيونانية الكلاسيكية تطورت على أساس لهجة أثينا التى كتب لها السيادة والازدهار بعد انتصار

اليونان على انصرس. وترجع أهمية اللغة اليونانية القديمة إلى أنها اللغة التي دونت بها الآثار الأدبية والحطبة السياسية والقضائية، كما كتبت بها الدراسات الفلسفية. وفي أواخر القرن الخامس قبل الميلاد كانت اللغة اليونانية القديمة قد أصبحت لغة مشتركة ذات مستوى حضارى راق.

ويطلق على اللغة اليونانية فى عصر الحضارة الهلينستية مصطلح Koiné أى اللغة المشتركة. وكانت هذه اللغة بعد فتح الاسكندر لمناطق شاسعة من الشرق لغة تعامل بين شعوب كثيرة فى العالم القديم، ثم كانت اللغة الرسمية فى شرقى الدولة الرومانية. وقد استخدمت هذه اللغة فى أقدم ترجمة للعهد الجديد، كان سكان الشام فى عهد المسيح يستخدمون الآرامية فى حياتهم اليومية، وكانت اللغة اليونانية لغة الحضارة والتعامل بين الطبقات المتميزة اجتماعيا وثقافيا فى الشام والعراق ومصر، وتكونت -أيضا- عدة جزر حضارية يونانية فى مناطق متباعدة حتى حدود الهند. وقد انكمش مجال استخدام اللغة اليونانية المشتركة بعد الفتح الاسلامى من جانب ومع دخول السلاف إلى البلقان فى القرن السابع الميلادى.

أما اللغة اليونانية الحديثة فقد بدأت تتخذ طابعها الحالى فى القرن السابع عشر، واستقرت فى القرن التاسع عشر لتكون لغة دولة اليونان والقسم الأكبر من قبرص. لقد كانت اللغة اليونانية فى مرحلتها القديمة وفى أثناء استخدامها بصفتها لغة تعامل حضارى قد حققت لنفسها مكانة دولية، وهى اليوم من اللغات الوطنية المحلية.

وتكون اللغة الأرمنية أيضا فرعا مستقلا من أفرع الأسرة الهندية الأوروبية، لقد دونت فى القرن الخامس الميلادى ومر تاريخها المدون بمراحل متتابعة، وقد خضعت المنطقة للعوية لأرمنية لدول كبرى مختلفة على مر التاريخ، فتأثرت بلغات انصرس ورومان ولبيرطيس والعثمانيين، وأدى هذا إلى تأثر بنية اللغة الأرمنية ومعجمها بهذه اللغات بكثرة حتى احتكت بها، وهى اليوم لغة حوالى أربعة ملايين نسمة، ويعيش حوالى نصف أنساء اللغة الأرمنية فى جمهورية أرمينيا، ويعيش الباقون فى مصر ولسان

وسوريا وفرنسا وأمريكا. وهم يتعاملون في هذه الدول بلغتها، بالإضافة إلى احتماصهم باللغة الأرمنية واهتمامهم بتعليمها لأبنائهم.

واللغة الألبانية آخر لغة أوروبية حديثة انتظم تدوينها إلى الآن، فقد دونت بعض النصوص باللغة الألبانية في القرن الخامس عشر الميلادي ثم كتبت بعدة خطوط، كتبها البعض بالخط اللاتيني وكتبها آخرون بالخط اليوناني، وكتبها المسلمون بالخط العربي. ولم يهتم أبناء اللغة الألبانية بالتأليف في لغتهم لأنهم كانوا على مر التاريخ مجموعة لغوية صغيرة في إطار دولة كبرى تتعامل بلغة غير اللغة الألبانية. وفي القرن التاسع عشر بدأت محاولات إصلاح الخط وتطويره ليكون معبرا عن اللغة الألبانية، ولم تسفر محاولات الإصلاح ويكتب لها النجاح إلا في أواخر الحرب العالمية الأولى. واللغة الألبانية لغة حوالي ثلاثة ملايين في ألبانيا، وهناك أقليات ألبانية تعيش في مناطق مختلفة من جنوب شرق أوروبا.

ثانيا: الفرع الهندي

تضم شبه القارة الهندية عددا كبيرا من اللغات، ففي جنوب الهند توجد مجموعة لغات تكون أسرة لغوية مستقلة هي الأسرة الدرافيدية. ولكن المقصود بالفرع الهندي هن تلك اللغات التي تدخل في إطار الأسرة الهندية الأوروبية. وليست هناك علاقة بنيوية بين الأسرة الدرافيدية والأسرة الهندية الأوروبية، فكلتاها أسرة لغوية مستقلة. يبدأ الفرع الهندي تاريخه القديم حوالي سنة ٧٠٠ ق.م، فهو بذلك من أقدم الأفرع اللغوية للأسرة الهندية الأوروبية. وهناك نصوص قديمة نعرفها في مستويين لغويين، الفيدية والسنسكريتية، وقد دونت بالفيدية والسنسكريتية الأماشيد الدينية وكتب المعرفة الهندية القديمة. كانت السنسكريتية أقدم لغة من لغات العالم تناولها البحث النحوي، فاللغوى الهندي بانيني وضع قواعد السنسكريتية حوالي سنة ٤٠٠ ق.م، ولا تزال معروفة بطريقة ما- عند بعض العلماء الهنود الدير توارثوا المعرفة بها عبر الأجيال، بعض هؤلاء يؤلف باللغة السنسكريتية حتى اليوم.

ومن أهم لغات الفرع الهندي في العصور الوسطى لغة بالي Pali، وهي لغة بوذا والنوذية، وقد دونت اللغة البالية بخطوط كثيرة فهناك كتب باللغة البالية مدونة بالخط الكمبودي وكتب أخرى مدونة بالخط السيامي ومجموعة ثالثة مدونة بالخط البرماني ومجموعة رابعة مدونة بالخط السنهاليزي، ولكن الباحثين الأوروبيين يكتبونها بالخط اللاتيني.

وتوجد في شبه القارة الهندية لغات كثيرة معاصرة يدخل أكثرها في إطار الأسرة الهندية الأوروبية، وأهم هذه اللغات الأردية والهندية، والبنغالية، والبنجابية، والمراثية، والراجستانية، والبهارية. والواقع أن الأردية والهندية لغة واحدة آخذة في الانقسام. ويطلق عليها عند المسلمين لغة الأردو، أي لغة الحبش، وتسمى عند الهندوس باسم الهندوستاني. يكتب المسلمون الأردية بالخط العربي، مما يتيح الإفادة من ألفاظ فارسية وعربية كثيرة، فاللغة الأردية إحدى اللغات الإسلامية، وشأن لغات الأمم الإسلامية على مر التاريخ أن تقبل ألفاظاً عربية كثيرة. أما الهندوس فيكتبون اللغة الهندوستانية بالخط الديفانجاري القديم، ويحاولون التخلص بقدر الإمكان من الألفاظ العربية والفارسية وإحياء ألفاظ سنسكريتية قديمة أو نحت ألفاظ جديدة بدلا عن الألفاظ العربية الفارسية الدخيلة في الهندوستانية. وبسبب التنوع اللغوي في الهند توجد مشكلة كبيرة في التعامل بين أبناء اللغات المختلفة، ولم تستطع اللغة المعروفة باسم الهندي أن تفرض نفسها، كما ينص الدستور الاتحادي الهندي لغة رسمية في الهند.

أما اللغة البنغالية التي تنتمي أيضا إلى لغات الفرع الهندي، فتجاوز أهميتها دولة بهجلاديش إلى داخل الهند، فهناك ملايين من أبناء اللغة البنغالية في داخل الهند.

أما في باكستان فالأردية هي اللغة الوطنية، وإلى جانب الأردية توجد في باكستان أربع لغات محلية تستوعب مجالات الحياة اليومية، وهي اللغات السندية في إقليم السند (كراتشي) والبنجابية في إقليم البنجاب (لاهور) والباشتو في إقليم سرحد

(شاور) والبلوشية فى إقليم بلوشستان (كوتا). واللغتان السندية والبلحادية من الفرع الهندى من اللغات الهندية الاوربية، أما اللغتان البلوشية والباشتو فهم من لفرع الإيرانى للأسرة الهندية الأوربية.

ثالثا: الفرع الإيرانى

تعد اللغات الإيرانية فرعا من أفرع الأسرة اللغوية الهندية الأوربية، وترتبط بوشائج القرابة المباشرة مع لغات الفرع الهندى من اللغات الهندية الأوربية، فلتاريخ اللغوى للفرعين الإيرانى والهندى يعود بهما إلى أصل واحد مشترك، يطلق عليه أحيانا اللغة الآرية الأولى. وأقدم ما وصل إلينا بهذه اللغة المشتركة التى صدرت عنها اللغات الإيرانية واللغات الهندية مجموعة أسماء جاءت فى نقوش ترجع إلى سنة ١٧٠٠ ق.م. تقريبا، ومعنى هذا أن هذه الأسماء يمكن أن تعد هندية بقدر ماهى إيرانية، أو بالأحرى هى من تلك اللغة الإيرانية الهندية الأولى.

وقد اتخذت القبائل والشعوب الإيرانية تاريخها المستقل عن الشعوب الهندية عندما انفصلت هذه الجماعات عن تلك، وبذلك بدأ التاريخ اللغوى للفرع الإيرانى. ويمكن تحديد تاريخ هذا الانفصال بحوالى سنة ١٥٠٠ ق.م تقريبا، وهنا يبدأ الفرع الإيرانى تاريخه، وقد صنف الباحثون تلك اللغات الكثيرة التى يضمها الفرع الإيرانى تصنيفا زمنيا إلى اللغات الإيرانية القديمة واللغات الإيرانية الوسيطة واللغات الإيرانية الحديثة، وبداخل كل مجموعة نجد مجموعة من اللغات واللهجات.

١- الإيرانية القديمة:

لقد عرفت الإمبراطورية الإيرانية فى عهد الاخمينيين (٥٥٩-٣٣٣ ق.م) عدة لغات، فقد امتد إقليم الدولة فأصبح يضم كل انحاء إيران وأرض البحرين والشاء ومصر وقسما من الحبشة. وكانت اللغة الفارسية القديمة لغة الملك ولغة البلاط ولغة الحكام. وإلى جانب هذه اللغة كانت الأكادية لغة التعامل الدولى فى الشرق كنه، وبها دوست

نقوش ملكية كثيرة فى كل أنحاء الامبراطورية، وهناك نقوش ملكية أيضا مدونة بالعلامية، وهى لغة لاتمت بصله قرابة إلى الاكادية أو إلى الفارسية القديمة وهناك نقوش دوت بعتين بعضها بالفارسية والأكادية، وبعضها بالفارسية القديمة والعلامية، أى لغة امملك مع لغة أخرى. يضاف إلى كل هذه اللغات أن كثيرا من النقوش دوت بعات أقاليم الدولة، مثل المصرية القديمة فى مصر والآرامية فى الشام والعرق. وهكذا لم تكن اللغة الفارسية القديمة وحدها فى إمبراطورية ايران، بل نازعتها مكاتها لغة دولية ولغات محلية كثيرة.

إن أكثر النقوش الفارسية القديمة ترجع إلى الفترة بين ٦٠٠ و ٤٠٠ ق.م. وقد لاحظ الباحثون حدوث تحول لغوى مهم فى أواخر هذه الفترة، فقد تحولت اللغة افارسية من النمط الإعرابى إلى النمط التحليلى. والفرق كبير بين النمطين، ففى النمط الإعرابى تقوم النهايات الاعرابية بإيضاح الوظائف الحوية لعناصر الجملة، ولكن النمط التحليلى يعتمد على ترتيب الكلمات فى داخل الجملة وعلى عناصر الربط بين هذه الكلمات. وملاحظ هذا التحول فى الفارسية القديمة اختفاء النهايات الإعرابية القديمة فأصبح ترتيب الكلمة فى الجملة محدداً للدلالة. لقد حدث هذا التحول من النمط الإعرابى إلى النمط التحليلى بين عامى (٤٨٠-٤٠٠ ق.م)، وبذلك نشأت الفارسية الوسيطة ثم الفارسية الحديثة. ويعد هذا التحول من النمط الإعرابى فى الفارسية القديمة إلى النمط التحليلى فى الفارسية الوسيطة السمة الأساسية التى تفرق بين المرحلتين.

٢- الإيرانية الوسيطة:

يضم فرع الإيرانى فى المرحلة الوسيطة عددا من اللغات، وكان الباحثون الأوروبيون حتى أواخر القرن التاسع عشر لا يعرفون من المستويات اللغوية الإيرانية الوسيطة سوى لغة واحدة هى الفارسية الوسيطة (البهلوية)، وقد تقدم البحث فى القرن

اعشرين تقدما بعيدا، فأصبحنا نعرف من اللغات واللهجات الإيرانية الوسيطة: الفارسية الوسيطة، ثم الصغدية والخورزمية.

(١) الفارسية الوسيطة:

الفارسية الوسيطة امتداد الفارسية القديمة، ويطلق عليها أيا اسم السهوية، ويرجع هذا الاسم إلى كلمة Pahlaw ومعناها بارثي، ولذا فكلما (بهوى) تعنى لغة البارثيين.

وقد دوت البهلوية بالخط الآرامى على نحو جعل الكتابة معقدة غير واضحة. وترتبط هذه الظواهر بطبيعة العلاقات اللغوية فى دولة الأخمينيين، فقد كانت الآرامية اللغة الرسمية فى الدولة، فكان كبار رجال الدولة يعرفون الآرامية، وظلت المعرفة بالآرامية هى السمة المميزة لطقة كبار الموظفين عدة أجيال، فكانت مصدر فخرهم وسمة انتمائهم. وعندما أرادوا تدوين لغتهم الإيرانية لم يأخذوا فى تدوينها بالمكونات الصوتية لكلمة الإيرانية المقصودة، بل اعتمدوا المكرة التى تعبر عنها الكلمة الفارسية. ومعنى كتابة المكونات الصوتية تدوين الكلمة برموز تدل على نطقها الحقيقى، وهذا ما لم يحدث فى تدوين الفارسية الوسيطة، ولكنهم اعتبروا الكلمة الإيرانية كيانا دلاليا متكاملًا، ودونوا هذه الكلمة بحروف الكلمة الآرامية التى تؤدى نفس معنى الكلمة الإيرانية.

ويتضح هذا الأمر من المثال الآتى تدل، كلمة (شاه) فى الفارسية الوسيطة على الملك أو الامراطور أو رئيس الدولة، وهذا المعنى يعبر عنه فى الآرامية بكلمة (ملك). وهى الكتابات البهلوية كانوا إذا أرادوا تدوين كلمة (شاه) لم يكتبوا هذه الكلمة بصيغة مباشرة بتدوين المكونات الصوتية لهذه الكلمة، بل كانوا يدسون الكلمة الآرامية المقابلة التى تؤدى نفس المعنى، وهى كلمة (ملك)، ولما كان الخط الآرامى فى ذلك الوقت لا يدون الحركات القصيرة ولا الحركات الطويلة كانت النتيجة أنهم كتبوا (م ل

ك) لنتعبر عن كلمة (شاه)، ولا علاقة صوتية بينهما إلا أن كليهما يعبر -دلاليًا- عن الملك.

ولكن الكتابة الهلوية تدون -إلى جانب ما ذكرنا- النهايات التصريفية وفق امكوبات الصوتية لها، وهذا على عكس النظام المتبع في تدوين المفردات الأساسية. ولذا فتدوين الهلوية يقوم على نظامين مختلفين، نظام التدوين بالمعنى ثم نظام التدوين الصوتي. فإن المفردات الأساسية كانت تدون تدوينا لاعلاقة له بأصوات الكلمة -عنى نحو ما متلنا، ولكن النهايات التصريفية مثل نهايات الجمع وتتكون من فتحة صويلة ونون (آن) فكان تدوينها يتم برموز توضح مكوناتها النطقية. وهذا النظام المزروح جعل تعلم الكتابة أمراً معقداً مقصوراً على من كابد ذلك وتعلمه ليناح له مجال الرقى الوظيفي والاجتماعي، وخصوصاً في عهد الساسانيين (٢٢٦-٦٥٢م) عندما كانت اللغة الهلوية اللغة الرسمية في الدولة الإيرانية.

(ب) الصغدية:

الصغدية إحدى اللغات الإيرانية الوسيطة، وطلت معروفة عدة قرون في الحضارة العربية الإسلامية. ترجع أقدم نصوص وصلت إلينا بالصغدية إلى القرن الرابع الميلادي، وقد وجدت أكثر هذه اللغة في منطقة بخارى وسمرقند. وعلى الرغم من تدمير منطقتهم في أثناء غزو الاسكندر لها وتفرق جماعات منهم فإن الرحالة المقدسي في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي قد عرف الصغد، ولاحظ أن منطقة الصغد قصبتها سمرقند، وأن لغتهم تختلف عن لغة جيرانهم، لغة الصغد "لسان على حدة"، وقد وصلت إلينا النقوش الصغدية المتأخرة من القرن الحادي عشر الميلادي.

الكتابة المانوية وتدوين اللغات الإيرانية الوسيطة:

كان تسيط ماني (٢١٦-٢٧٤م) لطريقة التدوين بداية مهمة، كان من الممكن أن تؤدي إلى تحول حضارى كبير، ولكن هذه المحاولة ظلت ذات أثر محدود. لقد أنقذ ماني من نظام الكتابة الأبجدية كما كان متبعاً عند الآراميين، وكان ماني نفسه من

أبناء إحدى اللهجات الآرامية الشرقية. وعندما أراد ماني أن يقدم لمثل سحرة من تعالمة مدونة في كتاب أفاد من فكرة الكتابة الأبجدية المبسطة، في تدوين الفارسية الوسيطة، وبهذا دونت الفارسية الوسيطة لأول مرة بكتابة محدودة العناصر سهلة النعم. ولما كانت دعوته تهديدا لرجال الدين الزرادشت فقد ظلت كتابته موضع هجومهم. وهكذا اقتصر استخدام هذه الكتابة على الجماعات المايوية، وبها دونوا الصغدية والبارثية - وهي كذلك إحدى اللغات الإيرانية الوسيطة - ودونوا بها - أيضاً - نصوصا من الفارسية الحديثة ومن لغات غير إيرانية، مثل لغة الأويغور التركية.

(ج) الخوارزمية:

ظلت اللغة الخوارزمية محتفظة بالخصائص اللغوية الإيرانية الوسيطة قرونا طويلة في الحضارة العربية الإسلامية. وقد دون الخوارزميون لعنهم بالخط العربي، وهناك مخطوطات خوارزمية مدونة بالخط العربي دون تلك النقط الثلاث التي أضافها الفرس إلى حروف الخط العربي لتكوين حروف جديدة. وثمة مخطوطات أخرى يقوم تدوينها على الخط العربي مع الإضافات الفارسية. يعد تدوين تلك اللغة الإيرانية الوسيطة بالخط العربي مهما في بالمقارنة بذلك بالنظام المعقد لفارسية الوسيطة وبالنظام غير المتداول للكتابة الصغدية، وتعد دراسة تلك النصوص الخوارزمية المدونة بالخط العربي مفتاح فهم الكتابات الكثيرة باللغات الإيرانية الوسيطة المدونة بالخطوط المختلفة.

٣- الإيرانية الحديثة:

تصلق هذه التسمية على عدة مستويات لغوية، وليست هناك لغة واحدة تحمل اسم الإيرانية الحديثة، بل هي مجموعة لغات ومستويات لغوية، وأهم هذه اللغات:

(أ) اللغة الفارسية:

اللغة الفارسية الحديثة التي تستخدم في إيران في عهدها الإسلامي وعصرها الحديث، وتسمى هذه اللغة "فارسي" أو "داري". وترجع بداية تمييز الفارسية الحديثة عن الفارسية الوسيطة إلى القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي. وتعد الفارسية

لحديثه متداد متطورا للغة الفارسية الوسيطة كما كانت مستخدمة في الجنوب لعربي
من إيران. كانت هذه اللغة لغة البلاط الساساني قبل الاسلام ولغة المراسلات الرسمية
في عهد ساساني كما كانت لغة الطبقة العليا. وقد حدث التحول من عارسية
وسيطة إلى عارسية الحديثة في أواخر العهد الساساني، فالتغيرات الصوتية التي تسير
عارسية الحديثة في أقدم صورها عن الفارسية الوسيطة كانت قد اكتملت في القرن
لسادع الميلادي.

وعندما دخلت إيران الدولة الإسلامية بعد الفتح هاجرت إليها جماعات عربية
كثيرة، ودخل الإيرانيون في الاسلام، وحاول كثير منهم العمل في الدولة الإسلامية.
وأراد بعضهم الإسهام في الحضارة الإسلامية بتأليف الكتب العربية، فكان على كل
هؤلاء انصاحين تعلم اللغة العربية. وهنا بدأ الإيرانيون عصر ازدواج لغوي. العربية لغة
التأليف ولغة الدولة ولغة الدين وهي أيضا لغة الحياة، والفارسية يقتصر استخدامها على
الحياة اليومية المحيية. وهذا كانت العربية -وحدھا- لغة الثقافة، فلم يؤلف الإيرانيون
بغيرها حوالي ثلاثة قرون. لقد عرف القرن الثالث الهجري محاولة محلية لجعل
الفارسية لغة كتابة، ثم أصبح التأليف بالفارسية ظاهرة واضحة الملامح في القرن الرابع
الهجري في إطار دولة البويهيين.

لقد تكونت الفارسية الحديثة في إطار الحضارة العربية الإسلامية، وظلت اللغة
العربية عند العلماء الفرس المصدر الذي يستمدون منه مصطلحاتهم العلمية. لقد دون
الفرس نعتهم بأسخط. لعربي، وكان استخدامهم للخط العربي تعبيرا عن ارتباطهم
بالإسلام في وقت مبكر، بينما كان الزرادشتية والمانوية واليهود والمسيحيون يدونون
عارسية بخطوط أخرى. وربما يرجع تدوين الفارسية بحروف عربية إلى منتصف
اقرن الثالث الهجري، ولكن تطوير نظام الكتابة العربية بإضافة النقط الإضافية تكويس
حروف مثلثة يرجع فيما يبدو إلى منتصف القرن الخامس الهجري.

وقد استقرت اللغة الفارسية لغة وطنية ورسمية في إيران منذ ذلك التاريخ، ودخلت بعد ذلك إلى شبه القارة الهندية لغة للآداب والثقافة، فكانت من أهم المواد الدراسية في معاهد التعليم الإسلامية في شبه القارة الهندية، واتخذت مكانها في هذه المعاهد إلى جانب اللغة العربية.

وعندما دخل الترك الدولة الإسلامية كانت الفارسية رافدا لغويا مهما قدم لغة التركية كثيرا من ألفاظ الحضارة والمعرفة. وبذلك ارتبطت الفارسية الحديثة بلغات كثيرة في العالم الإسلامي.

(ب) اللغة التاجيكية:

تنتمي اللغة التاجيكية إلى لغات المجموعة الغربية من الفرع الإيراني من اللغات الهندية الأوروبية. واللغة التاجيكية هي اللغة الرسمية في جمهورية التاجيك. ويتحدث بها هناك حوالي ثلاثة ملايين. واللغة التاجيكية أيضا إحدى لغات جمهورية ازبكستان. وكانت السياسة اللغوية للاتحاد السوفيتي في جمهورياته الجنوبية تقوم على تحويل كتابة لغات هذه المناطق إلى الخط الكيريلي الذي تدون به اللغة الروسية. ولذا تكتب اللغة التاجيكية بالخط الكيريلي الروسي. وهناك اتجاه جديد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي لتدوينها بالخط العربي على نحو تدوين اللغة الفارسية.

(ج) اللغة الكردية:

تنتمي اللغة الكردية إلى المجموعة الغربية من الفرع الإيراني من اللغات الهندية الأوروبية، وتحدث بها جماعات الأكراد في العراق وتركيا وإيران. وهي إحدى اللغات الوطنية المعترف بها - اليوم - في العراق. ويقدر عدد المتحدثين باللغة الكردية بحوالي سبعة ملايين موزعين في شمال العراق وشمال غربي إيران وشرقي تركيا، ولذا دخلت لها ألفاظ كثيرة من التركية والفارسية والعربية.

(د) اللغة البلوشية:

اللغة البلوشية إحدى لغات المجموعة الغربية من الفرع الإيراني من اللغات الهندية الأوروبية. وهى اللغة السائدة فى إقليم بلوشستان فى جمهورية باكستان، وتوجد جماعات بلوشية كبيرة العدد فى أقاليم باكستان الأخرى خصوصا فى إقليمى البجاب والسند. وهنك جماعات بلوشية فى إيران وأفغانستان. وهناك تفاوت كبير فى تقدير عدد البلوش فى هذه المناطق، إلا أن دراسة حديثة عن البلوش تقدر عددهم بعشرة ملايين فى باكستان وستة ملايين فى إيران وأفغانستان، وذلك بالإضافة إلى عدة آلاف من البلوش هاجروا منذ حوالى قرنين إلى الخليج العربى والكويت. والبلوشيون لا يدونون لغتهم إلى الآن، ويكتبون باللغات الأخرى التى يعيشون فى إطارها الحضارى.

(هـ) لغة الباشتو:

لغة الباشتو هى اللغة الوطنية واللغة الرسمية فى دولة أفغانستان منذ ١٩٣٦، وهى لغة إقليم سرحد فى دولة الباكستان وعاصمته بشاور، وهى بذلك لغة أكثر من خمسة عشر مليونا، وتكتب لغة الباشتو بالخط العربى.

رابعا: الفرع السلافى:

اللغات السلافية فرع من الأسرة الهندية الأوروبية، وترجع كل لغات الفرع السلافى إلى أصل واحد مشترك. وقد افترض الباحثون أن هذه اللغة السلافية الأولى كانت قبيل بداية التاريخ الميلادى لغة موحدة أو تكاد تكون موحدة، ولم تصل إلينا نصوص هذه اللغة السلافية الأولى، ومع هذا فمن الضرورى افتراض وجود هذه اللغة تفسيراً لنشوء اللغات المختلفة التى تجمعت عن هذا الأصل المشترك.

وقد وصلت إلينا أقدم لغة سلافية مدونة فى نصوص من القرن العاشر الميلادى، ويطلق على هذه اللغة اسم اللغة السلافية الكنسية القديمة أو اللغة البلغارية القديمة، وقد نسب هذا المستوى اللغوى للكنيسة، وذلك لأنها كانت اللغة التى استخدمها الأحرار

مسيحياد كيريل Kyril وميثود Method فى التبشير بالمسيحية بس جمعدت اسلافيه فى القرن التاسع الميلادى. وظلت هذه اللغة مستخدمة فى كيبسه الأرثوذكسيه عند الجماعات السلافية زما طويلا، ولا تزال تستخدم سكل منظور فى الطقوس الدينية لدى الكنائس الأرثوذكسية الروسية.

وقد دوت هذه اللغة السلافية الكنسية القديمة بخط يقوم على لحص يوناني فى شكله المداول فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وكان هذا تسوين على يد كيريل، فسب اليه "الخط الكيريلي". وأدى ارتباط هذا الخط بالكنيسة لارثوذكسية إلى انتشار هذا الخط عند الجماعات السلافية التى اعتنقت المسيحية لارثوذكسية، ولذا كتبت به اللغات الروسية والبلوروسية والأكرانية والبلغارية والمقدونية ولصربية. أما الجماعات السلافية الأخرى فقد عرفت المسيحية على يد المبشرين الكاثوليك، فكتبوا لغاتهم بخط يقوم على الخط اللاتيني، ولذا كتبت اللغات البولندية وتشيكية والسلوفينية والكرواتية بخطوط تقوم على الخط اللاتيني.

وقد أخذت اللغات الوطنية للشعوب السلافية فى التكون على نحو تدريجي، وبدأت هذه اللغات تأخذ طابعها المتميز بعد القرن الحادى عشر الميلادى. ويمكن توزيع هذه اللغات على النحو التالى.

(أ) اللغة الروسية:

اللغة الروسية القديمة أهم اللغات السلافية وأكثرها انتشارا. ويبلغ عدد أبنائها أكثر من مائة وخمسين فى الاتحاد الروسى، وهى اللغة الثانية فى كل جمهوريات وسط آسيا لها لغات وطنية محلية وفى كل دول أوروبا الشرقية. وتقوم اللغة الروسية المشتركة على أساس لهجة المنطقة التى تقع فيها العاصمة موسكو.

ويرجع التاريخ اللغوى المنميز للغة الروسية إلى القرن الحادى عشر الميلادى. وبكى عصر زدهارها بدأ فى القرن الخامس عشر فى موسكو، التى كانت أول الأمر مركزا دينيا. وكانت للغة الروسية مكانة ثقافية مرموقة فى النصف الثانى من القرن

سبع عشر عندما أصبحت لغة الثقافة والأدب والإدارة في كل أنحاء الدولة قيصريه، فأخذ المؤلف يتجه إلى موضوعات الحياة ويقترّب بشكل متزايد من الأدب الأوربي عربي، ونذ دحت أنماط حضارية كثيرة من اللغات الأوربية الأخرى، وخصوص من لغة الألمانية واللغة الفرنسية.

وقد عرفت اللغة الروسية في هذه الفترة عدة مستويات في لغة البائع، فكأن المستوى الرفيع يحاكي اللغة السلافية الكنسية بما فيها من تأثيرات بيزنطية يونانية، وفي هذا المستوى اللغوي المفاصح كانت تؤلف المأساة. أما المستوى الثاني وهو المستوى المتوسط فكان يتمثل في لغة الإدارة والمطبوعات العلمية، وكان مستوى الثالث هو لعامة الرقبة وبها كانت تؤلف المنهاة. وكان الفضل الكبير في الدعوة إلى اللغة الروسية المشتركة للغوى روسي مرموق هو لومونوسوف (١٧١١-١٧٦٥) Lomonossow، ولبه تنسب جامعة موسكو. ولقد أوضح لومونوسوف العناصر المشتركة بين هذه المستويات، وجعلها أساس اللغة المشتركة. وقطع الاهتمام باللغة المشتركة عدة مراحل إلى أن وجد التطبيق النحي عند بوشكين، وعسده رالت الحدود لفائدة لتصبح اللغة المشتركة هي اللغة القومية.

(ب) اللغة الأوكرانية:

تسمى اللغة الأوكرانية أحيانا باسم اللغة الروسية الصغرى، وهي لغة يتحدث بها اليوم أكثر من ثلاثين مليوناً في أوكرانيا. وقد عرفت اللغة الأوكرانية في فخر تدوينها عدة مؤلفات من القرن الحادى عشر إلى الثالث عشر، وكانت اللغة السائدة في دولة كييف، وعندما حطم التار دولة كييف ١٢٤٠م انهار الكيان الثقافى للغة الأوكرانية. و ستمر هذا الانهيار أكثر من خمسة قرون كاملة. ولم تحدث النهضة الحضارية وسعوية بعد ذلك - إلا في فترة محدودة (١٧٩٨ - ١٨٦٣)، وانتهت هذه الفترة بأن فرضت سلطات قيصرية على أبناء الأوكرانية اللغة الروسية، ولم تنته هذه المسألة إلا بانتهاء قيصرية سنة ١٩١٨. واليوم تعد الأوكرانية لغة وطنية معترفاً بها كل محالات

الحياة والثقافة فى جمهورية أكرانيا، وإلى جانبها توجد اللغة الروسية باعتبارها اللغة الثانية.

(هـ) اللغة البيلوروسية:

تسمى هذه اللغة أيضا باسم لغة الروس البيض، ويتحدث بها حوالى ثمانية ملايين فى روسيا البيضاء (بيلوروسيا) وقد ازدهرت اللغة البيلوروسية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

(د) اللغة البولندية:

اللغة البولندية هى اللغة الوطنية لحوالى ثلاثين مليوناً فى جمهورية بولندا ولغة جماعات بولندية فى روسيا وتشيكوسلوفاكيا والولايات المتحدة الأمريكية. يبدأ تاريخ اللغة البولندية بنصوصها منذ القرن الرابع عشر الميلادى. وتقوم الكتابة البولندية على أساس الخط اللاتينى، لأن البولنديين عرفوا المسيحية على يد المبشرين الكاثوليك، وكانت بولندا لذلك فى إطار الثقافة اللاتينية، حتى إن هناك عدة مؤلفات ألفها بولنديون حتى القرن السابع عشر باللغة اللاتينية، وحلت اللغة الفرنسية فى القرن الثامن عشر محل اللغة اللاتينية، فأصبحت الفرنسية لغة المثقفين. وكان لهذا الموقف أثره فى إهمال البولندية، ولم يحدث الازدهار الحقيقى للغة البولندية إلا فى إطار الحركة القومية فى القرن التاسع عشر، فكانت اللغة رمزا للوحدة القومية.

(هـ) التشيكية السلوفاكية:

التشيك والسلوفاك شعبان سلافيان كانا يكونان جمهورية تشيكوسلوفاكيا، عدد مواطنيها كان حوالى ثلاثة عشر مليوناً. وقد نشأت بعد ذلك الجمهورية التشيكية والجمهورية السلوفاكية، ولكل لغة من اللغتين تاريخ مستقل، فالتشيكية دوت منذ لقرن اثنا عشر الميلادى، وعاشت مراحل متتابعة من الازدهار الحضارى ثم الانكماش بالانقصار على التعبير عن الحياة اليومية الريفية، ولم تحدث النهضة القومية

للتشيك إلا في أواخر القرن الثامن عشر. أما السلوفاكية فقد انتظمت الكتابة بها في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

(ز) البلغارية:

عرف البلغار -أى سكان بلغاريا- تحولاً لغوياً في القرن السابع والثامن والتاسع للميلاد، فبعد أن كانت بلغاريا بيئة لغوية لإحدى اللغات الألتائية أخذ الطابع السلافي يسود هذه البيئة، وأصبحت اللغة السائدة في بلغاريا منذ القرن التاسع الميلادي إحدى اللغات السلافية، وبها دونت أقدم النصوص التي نعرفها باللغة السلافية الكنسية القديمة، ولذا تسمى هذه اللغة أيضاً باسم اللغة البلغارية القديمة.

وقد مر التاريخ اللغوي للبلغارية بمراحل متعاقبة، أطولها تلك القرون الخمسة التي كانت بلغاريا في أثناءها تابعة للدولة العثمانية (١٣٩٣-١٨٧٨). وقد بدأ الازدهار الجديد للغة البلغارية في المائة عام الأخيرة من الحكم العثماني، غير أن ملامحها الجديدة لم تتضح إلا بعد الاستقلال. والبلغارية -اليوم- هي اللغة الوطنية لسبعة ملايين في جمهورية بلغاريا.

(ح) الصربية والكروواسية:

المنطقة التي كانت تشغلها جمهورية يوغسلافيا وجمهورية بلغاريا ظلت زمناً طويلاً بيئة لغوية واحدة للغة السلافية الكنسية القديمة أى البلغارية القديمة، ومع انهيار الدولة البغارية على يد العثمانيين سنة ١٣٩٣م دخلت منطقة الملهجات الصربية والكروواسية في الدولة العثمانية. كان الصرب قد تحولوا إلى المسيحية الأرثوذكسية فكانوا يكتبون لهجتهم بالخط الكيريلي، أما الكروات فكانوا مسيحيين كاثوليك يكتبون لهجتهم بالخط اللاتيني. وقد حدثت في إطار الحركات الوطنية منذ القرن الثامن عشر محاولات كثيرة لتقنين الاستخدام اللغوي، إلى أن أصبحت اللغة الصربية الكروواسية اللغة الرسمية الأولى مع قيام جمهورية يوغسلافيا، وتحدث بها أكثر

من أربعة عشر مليوناً. وبعد انقسام هذا الكيان السياسي بدأ موقف جديد لم تتضح ملامحه اللغوية بعد.

(ط) السلوفينية:

هي لغة مليونين في جمهورية سلوفينيا، وتقع في منطقة الحدود لمسوية ولايضاية مع يوغسلافيا السابقة. قد بدأ تدوينها في القرن السادس عشر، فترجمت إليهاصوص العهد الجديد. ولكن التأليف بها لم يصبح اتحاشا واضحاً؛ إلا في مد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. وتكتب بالخط اللاتيني، وقد دخنها لفاظ كثيرة من اللغة الألمانية.

(ي) لغات البلطيق:

يضم بعض الباحثين لغات البلطيق مع اللغات السلافية في مجموعة واحدة بينما يجمعها لبعض فرعا مستقلا عن الفرع السلافي. اليوم تضم لغات السطيق، لغات محدودة، أهمها: اللغة الليتوانية واللغة اللتية، وقد عرفت منطقة شمال أوربا لغة أخرى -من لغات البلطيق- بادت منذ القرن السابع عشر، وهي اللغة البروسية القديمة. أهم لغات لبلطيق الحية هي اللغة الليتوانية. لغة جمهورية ليتوانيا اهتم بها الباحثون في علم اللغة اسقارن لخصائصها المغرفة في القدم، وكان أبناء اللغة اللتوانية قد حافظوا في عزلتهم في شمال - في تلك المنطقة التي ربما عاشت فيها جماعة تحدثت باللغة الهندية لأوربية الأولى -على كثير من الخصائص اللغوية القديمة. أما اللغة اللتية، لغة جمهورية لاتفيا، فيتحدث بها مليون ونصف مليون في جمهورية تسبب إليهم وتقع على البلطيق.

خامسا: الفرع الكلتى

الكلتية من أقدم اللغات الهندية الأوربية في أوربا، انتشرت بعد هجرة مجموعة من لاء اللغة الهندية الأوربية الأولى من مهدها المفترض في جتوب روسب إلى حوب

أوربا. كانت الكنتية لغة بلاد الغال القديمة (فرنسا) قبل انتشار اللاتينية، كما كانت لغة بريصان وإيرلندا قبل هجرة الانجلوساكسون إليهما. وكانت أيضا لغة شمال إيطاليا وجنوب ألمانيا. وكانت الكنتية أيضا لغة شبه جزيرة أيبيريا. وقد انكمشت الكنتية في قرون الأولى بعد الميلاد، وكان هذا الانكماش اللغوي الكنتي في القارة الأوروبية أكثر منه في إيرلندا واسكتلندا، فقد بقيت الكنتية فيهما إلى حد بعيد، ولم تنحسر عسى نحو ما حدث في وسط وجنوب غرب أوروبا.

ولانتزال الكنتية حية إلى اليوم في عدة أشكال لغوية، أهمها: اللغة الأيرلندية، واللغة الاسكوتلندية العالية، واللغة الريتونية. ترجع أقدم نصوص اللغة الأيرلندية إلى القرن الثامن الميلادي، ولها تراث أدبي كبير. ولانتزال اللغة الأيرلندية ثرية بالأدب الشعبي، وهي اللغة الأم لحماهير عريضة في أيرلندا. أما اللغة الاسكوتلندية الغالية فهي لغة المهاجرين لكنتيين إلى اسكتلندا في القرن الرابع الميلادي، ولانتزال اللغة الكنتية في منطقة لغوية صغيرة في القارة الأوروبية، فاللغة الريتونية امتداد حديث للكنتية. والريتونية لغة حوالي مليون ونصف مليون مواطن فرنسي في منطقة بريتانى وبعض الجزر القريبة منها. وفي كل المناطق التي تعيش فيها الكنتية في أشكالها الحديثة نجد محاولات شعبية لمحافظة عليها ولجعلها لغة التعليم هناك. ولكن موقف أبناء هذه الجماعات اللغوية الكنتية من اللغات العالمية الحديثة متفاوت وغير محدد الاتجاه. إن تأكيد الذاتية الثقافية يتطلب المحافظة على اللغة المحلية، والصلة القوية باللغات الحية الكبرى تحقق مكاسب اقتصادية وعلمية.

سادسا: الفرع الجرمانى

يضم فرع الجرمانى من اللغات الهندية الأوروبية مجموعة من اللغات الأوروبية التي ترجع إلى أصل واحد. وتترك لغات الفرع الجرمانى في عدة خصائص لغوية. مما جعل الباحثين يرجعونها إلى أصل واحد هو اللغة الجرمانية الأولى. وقد تسميت

هذه اللغة عن اللغة الهندية الأوروبية الأولى فى الفترة بين سنة ٨٠٠ ق.م و ٦٥٠ ق.م. وضلت الجماعات الجرمانية تحدث بالجرمانية فترة طويلة من الزمن، وعلى مدى أجيال متعاقبة هاجر بعضها فى اتجاه مخالف لهجرات أخرى، وبدلت أخذت الخصائص اللغوية تختلف باختلاف الجماعات، وتميزت لهجتان أساسيتان، هما اللهجة القوطية النوردية، واللهجة الجرمانية الغربية. ولم يقف تيار الانقسام عند هذه الدرجة، فقد نشأت بالتالى عدة لهجات جديدة عن القوطية النوردية ولهجات أخرى عن الجرمانية الغربية، وبذلك تنوعت اللهجات الجرمانية تنوعاً بعيداً.

(١) اللغة القوطية:

تضم المجموعة القوطية النوردية عدة لغات، أهمها اللغة القوطية واللغة النوردية القديمة. كانت اللغة القوطية قد انفصلت وتميزت بخصائص جديدة قبل المسيحية بوضع مئات من السنين. وقد تطورت عن القوطية لغتان قوطيتان، تسمى إحداهما باسم القوطية الغربية، والثانية باسم القوطية الشرقية.

وتختلف مستويات الاستخدام اللغوى للقوطية الشرقية عن القوطية الغربية الشرقية، فقد كان أهم ما دون بالقوطية الغربية تلك النصوص الدينية المترجمة إليها، ولذا ارتبط استخدامهما بالمجال الدينى المسيحى. فقد ترجم العهد القديم إلى القوطية الغربية وكذلك العهد الجديد، ولم تقم هذه الترجمة على النقل المباشر عن النصوص الأصلية فالعهد القديم مثلاً لم يترجم عن النصوص العبرية والآرامية بل ترجم عن الترجمة اليونانية المعروفة باسم الترجمة السبعينية، وترجم العهد الجديد عن النص اليونانى أيضاً. وقد أدى ارتباط اللغة القوطية الغربية بهذه المترجمات عن اليونانية إلى أن تأثرت القوطية الغربية باللغة اليونانية من ناحية بناء الجملة، كما دخلت إليها ألفاظ يونانية كثيرة خاصة بالمجال الدينى.

أما اللغة القوطية الشرقية فقد كانت لغة كثير من النصوص الأدبية، أهمها مايدور حول البطولات والأمجاد، ولهذا امتد تأثيرها فى ملاحم العصور الوسطى الألمانية.

(ب) النوردية القديمة:

المرع انتاسى من المجموعة القوطية النوردية يعرف باسم اللغة النوردية القديمة. وتعد هذه النوردية لغة واحدة، وهى الأصل التاريخى الذى خرجت عنه اللغات السويدية والدانيمركية والنرويجية. ولذا كانت تذكر أيضاً باعتبارها السويدية القديمة والدانيمركية القديمة والنرويجية القديمة، وقد ظلت هذه اللغة موحدة حتى حوالى ٧٠٠م، ثم أخذت فى الانقسام بعد ذلك.

(ج) الأيسلندية

تعد الأيسلندية ثمرة انفصال مبكر عن النوردية القديمة فقد هاجرت جماعات من النرويجيين -وكانت لغتهم هى النوردية القديمة- إلى جزيرة أيسلندا (٨٧٤م-٩٣٠م). وبذلك اتخذت هذه الجماعة البعيدة طابعاً خاصاً بها، كانت أوضح سماته المحافظة على الخصائص اللغوية القديمة. وقد وصلت إلينا أناشيد شعبية كثيرة مدونة بهذه اللغة المحافظة، أهمها مجموعة الإدا Die Edda.

(د) اللغات السويدية والدانية والنرويجية:

تكونت عدة لغات وطنية فى المناطق التى كانت من قبل تكون البيئة اللغوية النوردية القديمة. وأهم هذه اللغات الدانيمركية أو الدانية، والسويدية والنرويجية، وقد أخذت هذه اللغات طابعها المتميز باعتبارها لغات وطنية منذ بداية القرن التاسع عشر، وقبل ذلك التاريخ كان تنوع اللهجات يسود الحياة اللغوية هناك.

إن دولة واحدة كانت تضم الدانمرك والنرويج حتى استقلال النرويج سنة ١٨١٤م، وكان السيادة اللغوية فيها للغة واحدة هى لغة الدولة (الدانمركية)

Riksmaal، وبعد انفصال النرويج سياسيا ظهر عندهم اتجاه للانفصال للعوى بقوم عبي، الإفادة من لهجة البلاد لتكوين لغة وطنية تختلف عن لغة الدولة التي سادت أيام الوحدة، وبذلك قامت سنة ١٨٤٧ الدعوة إلى لغة البلاد Landsmaal، وهي اللغة التي تعرف أحيانا باسم اللغة النرويجية. ومنذ سنة ١٨٩٧ اعترفت دولة لنرويج بكت المعين في التعامل الرسمي.

(هـ) الفرع الألماني:

يضم الفرع الألماني Deutsch عددا من المستويات اللغوية امتدعة زمتا المتنوعة مكانا. وكانت هذه اللهجات تسود الحياة الشعبية في فترة كانت اللغة اللاتينية لغة ثقافة الرفعة والعلم، وزاد الاهتمام باللغة الألمانية شيئا فشيئا إلى أصبحت لغة العلم والثقافة والحياة اليومية.

إن بداية التدوين المحدود باللغة الألمانية ترجع إلى القرن الثامن لميلادي. ودخلت الألمانية محال الاستخدام الرسمي للدولة في القرن الثالث عشر (١٢٣٨م) بينما ظلت اللغة اللاتينية لغة العلم والثقافة، وبدأ استخدام اللغة الألمانية في التعليم الجامعي سنة ١٦٨٧م وصدرت بها أول مجلة شهرية ١٦٨٨م، ولكن اللاتينية ظلت منافسا قويا في الجامعات، حتى إن بعض الرسائل الجامعية كانت حتى أوائل القرن العشرين تقدم مكتوبة باللغة اللاتينية.

وهناك عوامل حاسمة أدت إلى التوحيد اللغوي في هذه المنطقة التي سادتها من قبل مجموعة كبيرة من اللهجات الألمانية، فقد حاولت الإدارة استخدام مستوى لعوى موحد، وما أن انتهى القرن الخامس عشر حتى كانت النواويس تتعامل بغة ألمانية موحدة. وكان اختراع الطباعة حوالي ١٤٥٠م، ورغبة الدشريس في روح مطبوعاتهم عاملا حاسما في إصرارهم على أن تكون الكتب تلك اللغة المشتركة. وبسبب باللهجات المحلية. وأدت ترجمة مارتين لوتر للكتاب المقدس إلى هذه سعة لمشاركة إلى أن أصبحت هذه اللغة رمزا لحركة الإصلاح الديني، ورادت محلات

ستخدام هذه اللغة المشتركة جيلا بعد جيل، ورغب المؤلفون عن المؤلفات بمستويات اللغوية المحلية، وفي منتصف القرن السابع عشر انتهى التأليف بالسويسرية وبلهجات ألمانية أخرى كثيرة، وأصبحت السيادة في التأليف للغة الألمانية المشتركة. ثم استخدم اللغة الألمانية في التعامل الشفوي فقد زاد بانتشار التعليم والسلوى بلغوى يقومى. فأصبحت بمضى الوقت وسيلة التدريس والشرح والحوار ولقدش فى كى امدرس والمعاهد العلمة، وكذلك لغة المسرح ولغة الاذاعة، إلى جانب كونها لغة الكتب ولصحيفة والإدارة. وهكذا قلت محالات استخدام اللهجات محسة بصورة متزيدة، وحسرت اللغة اللاتينية لتصبح اللغة الألمانية لغة الحياة وعلم وفن عند مائة مليون من الأوروبيى فى ألمانيا والنمسا وسويسرا، وعند جماعات ألمانية أخرى فى دول أوروبا.

(و) اللغة الهولندية:

تقترب الهولندية فى بنيتها اللغوية من اللغة الألمانية. فقد كانت إحدى اللهجات الألمانية لكثيرة لى سادت هذه المنطقة، ثم دوت بها بعض النصوص الأدبية فى القرن الرابع عشر. وأدى النزوع السياسى نحو الاستقلال عن باقى المناطق الألمانية ثم إعلان الاستقلال سنة ١٦٤٨م إلى الانفصال الهائى، وبذلك اتخذت الهولندية تجاهها الخاص متميزة عن الألمانية.

وفى فترة تأنية خرجت جماعات من المهاجرين الهولنديين إلى جنوب افريقيا، ودونوا هلك لهجتهم الهولندية، وأطلقوا عليها اسم Afrikaans تميزا لها عن الهولندية لأم. ولغة الافريكانز هى إحدى اللغات الرسمية فى اتحاد جنوب أفريقيا.

(ز) اللغة الفريزية:

تكون الإنجليزية والفريزية فرعاً فى داخل المجموعة الجرمانية. وقد انفصل هذا فرع واختلفت خصائصه منذ منتصف القرن الخامس الميلادى، وتوعدت اللهجات

بعد ذلك وزاد الانقسام في إطارها فنشأت لهجات أخرى، ودونت عدة لهجات منها. وبعد ذلك تكومت الهولندية وأخذت تسود الحياة اللغوية في تلك المنطقة. وبذلك انحسر استخدام الفريزية منذ القرن الخامس عشر الميلادي عن المجالات الحضارية، وظلت بعض المناطق الصغيرة في هولندا تتعامل بها في الحياة اليومية.

(ح) اللغة الإنجليزية:

أخذت اللغة الإنجليزية في التكون بعد هجرات الانجليز والسكسون والحث من القارة الأوروبية في منتصف القرن الخامس الميلادي. وتأثرت هذه اللهجات في القرون التالية باللغة الدانمركية في أثناء حكم الدانمرك للجزر البريطانية (١٠١٦-١٠٤٢م) وباللغة الفرنسية في أثناء الحكم النورماندي الفرنسي منذ ١٠١٦م، وكانت اللغة الفرنسية في الفترة من القرن الحادي عشر الميلادي حتى منتصف القرن الرابع عشر لغة البلاط ولغة المثقفين، وظلت -أيضا- كانت لغة التعليم حتى ١٣٤٩م ولغة القضاء حتى ١٣٦٢م. وقد ساعدت عوامل كثيرة على جعل اللغة الانجليزية لغة حضارية وعلى انتشارها خارج الجزر البريطانية إلى أن أصبحت اللغة الدولية الأولى في العالم المعاصر. إن اللغة التي ألف بها تشوسر في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي كانت تقوم على لهجة لندن التي أصبح استخدامها في الأدب وعند رجال البلاط دعما لمكانتها. وكانت الطباعة منذ دخولها إلى إنجلترا ١٤٧٥م ذات أثر فعال في انتشار الكتاب الانجليزي في مناطق اللهجات المحلية. ولاشك أن أهم العوامل التي دفعت باللغة الانجليزية إلى أفريقيا وآسيا وأستراليا وجنوب أفريقيا وأمريكا هي الاستعمار والهجرات. فقد دخلت الانجليزية شبه القارة الهندية ومناطق واسعة في أفريقيا مع موجة المد الاستعماري، ثم كانت الهجرات إلى جنوب أفريقيا وأستراليا. أما إعلان اللغة الانجليزية لغة رسمية في عدد من الولايات المتحدة الأمريكية فيعد أهم الأحداث احاسمة في التاريخ الحديث للغة الانجليزية. كانت الانجليزية في بداية اقرن التاسع عشر لغة ٢١ مليوناً، فأصبحت في بداية القرن العشرين لغة ١٢٥ مليوناً

أكثرهم في الولايات المتحدة الأمريكية، واليوم يقدر عدد المتحدثين باللغة الإنجليزية حوالي ٤٠٠ مليون من أبنائها، إلى جانب عدد مماثل ممن يستخدمونها بوصفها لغة تعامل.

سابعاً: الفرع الروماني:

يضم الفرع الروماني من اللغات الهندية الأوروبية كل اللغات التي ترجع أصلها إلى اللاتينية بمستوياتها اللغوية المختلفة، وأهم هذه اللغات هي: الفرنسية والإسبانية، والبرتغالية، والإيطالية، والرومانية - أي لغة رومانيا - وذلك إلى جانب عدة لغات ولهجات في جنوب أوروبا وجزر البحر المتوسط.

(١) اللغة اللاتينية:

نشأت اللغة اللاتينية في منطقة روما، وكانت القبائل المهاجرة إلى إيطاليا حوالي سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد تتحدث بعدة لهجات، وسادت بعد ذلك إحدى هذه اللهجات وهي لهجة مدينة روما وما حولها.

لقد انتشرت اللاتينية مع اتساع رقعة الدولة الرومانية، فكانت منذ ٢٦٦ ق.م اللغة السائدة في أكثر أنحاء إيطاليا. وقد عرفت اللاتينية آنذاك مستويين لغويين، واتضح خصائصها اللغوية بمرور الوقت، هما اللاتينية الفصحى (الكلاسيكية) واللاتينية الشعبية. لقد اهتم الأدباء والخطباء بصقل الاستخدام الفصحى لللاتينية، وكانت اليونانية منهم الأعلى فحاكوا التركيب اليونانية، وأدخلوا فيها كثيراً من الألفاظ اليونانية. ولكن اغلحين والمواطن البسطاء ظلوا بعيدين - إلى حد كبير - عن هذه المؤثرات الثقافية اليونانية، فكانوا يتعاملون باللاتينية الشعبية في حياتهم اليومية، وهكذا نشأت الثنائية اللغوية. وزادت الفروق بين المستويين بمحاولة المثقفين تجنب الألفاظ الشعبية من جانب وبالتغير المطرد في اللهجات اللاتينية من الجانب الآخر.

ولكن اتساع رقعة الامبراطورية الرومانية - بغزو أسبانيا في القرن الثاني قبل الميلاد ثم بلاد الغال ثم مناطق الألب - جعل اللغة اللاتينية منتشرة في منطقة واسعة.

ثم كان اختلاف لهجات الجماعات التي هاجرت إلى المناطق المفتوحة وتأثيرات لغات الأقدم في هذه المناطق سببا في نشوء لهجات لاتينية شعبية جديدة.

وعندما انتشرت الثقافة اللاتينية بين طبقات شعبية كثيرة ودخلت جماهير غفيرة في المسيحية تأثرت اللغة الفصحى باللاتينية الشعبية، كما دخلت ألفاظ فصحى كثيرة -عُط يونانية إلى لغة المستويات الشعبية. ولكن اللاتينية الشعبية في أقاليم الدولة كانت تنمو نموها الطبيعي وتختلف من إقليم لآخر، ومهد هذا كله لنشوء اللغات الرومانية المختلفة عن اللغة اللاتينية الشعبية.

(ب) اللغة الفرنسية:

تقوم على اللاتينية الشعبية في لهجاتها التي وجدت في بلاد الغال، وكانت لغة الفرنسية لغة الثقافة الرفيعة والدبلوماسية في أنحاء مختلفة من القارة لأوربية عدة قرون. وظلت الطبقات العليا في وسط أوروبا من القرن الثاني عشر إلى قرن لتاسع عشر تنتقي حول اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية، ثم قلت مكانة اللغة الفرنسية في وسط أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية. كانت اللغة الفرنسية أيضا اللغة الرسمية ولغة الإدارة والتعليم في المستعمرات الفرنسية في إفريقيا وفي منطقة الهند الصينية. وبعد استقلال هذه الدول وجدت الفرنسية قدرا من المنافسة من اللغات الوطنية وكذلك من اللغة الانجليزية التي بدأت تدخل برامج التعليم في هذه الدول. ويقدر عدد أبناء اللغة الفرنسية بحوالي مائة مليون في فرنسا وبلجيكا وسويسرا وكندا. واللغة الفرنسية إحدى لغات العمل في المنظمات الدولية، وهي اللغة الرسمية في عدد من الدول الإفريقية.

(ج) اللغة الأسبانية:

تكونت الأسبانية نتيجة تطور اللاتينية الشعبية في لهجاتها التي كانت موجودة في شبه جزيرة إيبيريا. وقد كان لوجود اللغة العربية في هذه المنطقة عدة قرون أثرها الكبير في لغة الأسبانية. وتعد الأسبانية أكثر اللغات الرومانية انتشارا في عالم

معاصر، فهي أيضا لغة أمريكا الجنوبية والوسطى— أو بعبارة أخرى أمريكا اللاتينية كلها دستناء البرازيل. ويبلغ عدد أبناء اللغة الأسبانية أكثر من مائتين وستين مليوناً وهي أيضا إحدى لغات العمل في المنظمات الدولية.

(د) اللغة البرتغالية:

تعد لغة البرتغالية لغة تطور اللاتينية الشعبية في شبه جزيرة إيبيريا، وتُتحدث أيضا بالوجود العربي في المنطقة. والبرتغالية هي لغة البرتغال والبرازيل و لغة قبيلة غابيسيا في أسبانيا، وقد فرضها الحكم البرتغالي لغة رسمية في المستعمرات الأفريقية لبرتغال قبل استقلالها، ومنها: أنغولا. ويقدر عدد المتحدثين بها بنحو مائة وخمسين مليوناً.

(هـ) اللغة الكتالانية واللغات الرومانية الغربية الأخرى:

اللغة الكتالانية لغة ستة ملايين في كتالانیا وفي جزر البليار، وهي اللغة لثانية بعد الأسبانية في دولة أسبانيا.

وبالإضافة إلى اللغات الفرنسية والأسبانية والبرتغالية والكتالانية هناك لغات ولهجات أخرى تنتمي إلى الجناح العربي من اللغات الرومانية. كانت البروفنسالية في جنوب فرنسا، وعرفت ازدهارا كبيرا في القرون الحادى عشر والثانى عشر واشالت عشر عندما تضم بها شعراء التروبادور غزلهم الشبيه بالغزل في الشعر العربي الأندلسى. واللغة الريتورومانية هي اللغة الرسمية الرابعة في سويسرا، على الرغم من أن المتحدثين بها لا يربطون عن خمسين ألفاً، وتوجد لهجات كثيرة في شمال إيطاليا تنتمي إلى هذا لسان 'نغوى، وفي إيطاليا أيضا الفريولية ويقدر عدد أبنائها بحوالى نصف مليون.

(و) اللغة الإيطالية:

ولغة لإيطالية هي اللغة الأم في أكثر أنحاء إيطاليا، باستثناء الشمال حيث يسود ريدو ح غوى بين الألمانية والإيطالية. ويقدر عدد أبناء الإيطالية بأكثر من

خمسين مليوناً. وكان لها انتشار محدود بوصفها لغة ثانية في إثيوبيا والصومال وبينيا، وبعد انحسار موجة الاستعمار قل استخدام الإيطالية.

(ز) لغة رومانيا ومولدافيا:

واللغة الرومانية لغة جمهورية رومانيا، وتنتمي مع الإيطالية إلى الجناح الشرقي من اللغات الرومانية، وهي اللغة الأم عند حوالي عشرين مليوناً في جمهورية رومانيا. أما سكان جمهورية مولدافيا فبلغتهم في الواقع هي اللغة الرومانية، ولكنهم يدونونها بالحروف الكيريلية الروسية في إطار تبعيتهم للاتحاد السوفيتي ثم للاتحاد الروسي، ويقدر عدد أبناء المولدافية بحوالي مليونين.

الفصل الثالث عشر

اللغات الأورالية الألتائية

تتكون مجموعة اللغات الأورالية الألتائية من فرعين أساسيين، هما الفرع الأورالي والفرع الألتائي. وينسب كلا الفرعين إلى سلاسل جبلية، الأول مسسوب إلى جبال الأورال التي تفصل أوروبا عن آسيا والثاني إلى جبال الأنساي في وسط آسيا. وأهم اللغات التي تدخل في هذه الأسرة اللغات المجرية والفنلندية والتركية والمغولية.

وتعد هذه اللغات في رأى كثير من الباحثين أسرة لغوية واحدة، وتقوم وحدة هذه الأسرة على أساس اشتراك لغاتها في عدد من الخصائص البنوية. وأهم الخصائص المشتركة في هذه اللغات من الناحية الصوتية وجود التوافق الحركي، ومعناه أن الحركة الأساسية في الكلمة تتحكم في باقى حركات اللواحق فتجعلها متوافقة معها، ويظهر التوافق الحركي Vocalic Harmony في كل اللغات الأورالية الألتائية بدرجات متفاوتة أقمها في اللغة الفنلندية وأوضحها في اللغات التركية، وتتفق اللغات الأورالية الألتائية في نظام البنية اللغوية، فكل هذه اللغات لغات إلصاقية. فهناك كلمات أساسية ولواحق كثيرة تؤدي عددا كبيرا من الوظائف النحوية. وويتضح الفرق بين هذه اللغات في مجموعها بالمقارنة مع الخصائص المشتركة في الأسرات اللغوية الأخرى. اللغات الهندية الأوربية والأفروأسيوية تعرف حروف الجر، أما اللغات الأورالية الألتائية فإنها تعبر عن ذلك باللواحق، فإذا أردنا أن نقول ما معناه "فى المنزل" قلنا بالمجرية hazba وبالتركية evde، وفى المجرية كلمة haz وفى التركية كلمة ev تعنيان المنزل، أما تلك اللاحقة ba فى المجرية dc، فى التركية فقد عبرتا عن هذا المفهوم الذى نعر عنه فى اللغات السامية بحروف الجر، وحرف الجر يكون كلمة مستقلة قبل الاسم. أما اللواحق التي تلحق الاسم فتعبر فى اللغات الأورالية الألتائية عن الوظائف

لحموية المختلفة. ومن المعانى التى تؤيد هذا اللواحق - أيضا - معنى الوجود ومعنى عدم ومعنى الجمع وغير ذلك. وهذا الشبه البينوى بين هذه اللغات جعل بعض الباحثين يجعلونها أسرة لغوية واحدة. ولكن الكلمة المعبرة عن البيت - وهى من الكلمات الأساسية فى كل اللغات - تختلف فى المحرقة عنها فى تركية، ولاحقة المعرة عن المكاء تختلف فى اللغتين أيضا. وهذا الاختلاف المعجمى ليس لمحربة وهى من شعاع الأورالية والتركية وهى من اللغات الألتائية، جعل بعض باحثين يتحفظون فى قبول الرأى القائل بأن اللغات الأورالية واللغات الألتائية تشكل أسرة لغوية واحدة.

أولا: اللغات الأورالية:

تشكل اللغات الأورالية الجناح الأوروبى من اللغات الأورالية، الألتائية، وأهم لغات هذه المجموعة: الفنلندية والمحرية، فهى الأكثر انتشارا والأرقى حضارة ولاكثر أهمية فى تاريخ والحياة المعاصرة. أما اللغات الصوميدية فتتحدث بها جماعات تعيش فى الاتحاد الروسى فى المنطقة الساحلية لبحر المتجمد الشمالى، ويزيد عدد أبنائها عن خمسة وعشرين ألفا، وقد ثبت يبحث هذه اللغات أنها تمت بصلة لقربة إلى اللغات الفنلندية المحرية.

١- اللغة الفنلندية:

يسبق عدد أبناء اللغة الفنلندية حوالى أربعة ملايين. وهى أهم اللغات فى جمهورية فنلندا التى تضم أيضا عدة أقليات لغوية تتحدث باللغة السويدية ولغة سلاف. ويرجع لتاريخ الحضارى للغة الفنلندية إلى منتصف القرن السادس عشر، ففى سنة ١٥٤٨ تمت ترجمة الأنجيل إلى اللغة الفنلندية، فأصبح لدى الفنلنديين كتاب مقدس مدون سعتهم. واعتمد أداء الترجمة على الاستخدام اللغوى فى منطقة نوركو، وبدأت ارتبطت لغة الفنلندية فى تاريخها المبكر بلهجة هذه المنطقة التى سأت اللغة المسندة فى إطارها. وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر كاد استخدام اللغة الفنلندية أن

يكون مقصوداً على كسب الثقافة الدينية، وكانت تكتسب باعتبارها اللغة المحلية التي يعيها مواطنون. أما باقي المجالات فقد كانت تسودها اللغة السويدية، إلى ضمت لغة الثقافة واللغة الرسمية عدة قرون، ولم تنته السيادة اللغوية السويدية إلا مع مفصل سويديا و استقلالها عن السويد سنة ١٨٠٩م. وهنا بدأت اللغة الفنلندية تصبح لغة وطنية في دولة سويد، أحد المؤلفون يتركون السويدية ليؤلفوا في العلم وثقافة سلطنة الفنلندية. وبذلك ازدهرت اللغة الفنلندية في القرن التاسع عشر في إطار حركة القومية، ولم تستطع فترة الاحتلال الروسي (١٨٥٠-١٨٦٠) أن تقصى عنى قومية الفنلندية، وكان الاحتلال عاملاً دفع الفنلنديين إلى مزيد من الاهتمام بلغتهم لقومية. وكان للعلماء المعوي الفولكسوري Lönnrot (١٨٠٢-١٨٨٤) جهد كبير في جميع الأناسيد الشعبية، وكون منها ملحمة الكالافالا (١٨٣٥)، وله أيضاً فضل تأليف أول معجم للغة الفنلندية (١٨٨٠)، وبذلك أحدث اللغة الفنلندية مكانتها بوصفها لغة قومية ولغة لثقافة والعلم في دولة فنلندا.

وهناك لغة وثيقة الصلة باللغة الفنلندية، وهي اللغة الكاريلية. ويتحدث بهذه لغة حوالي نصف ميسون في الجمهورية الكاريلية المتمتعة بالحكم الذاتي في الاتحاد الروسي، وليس لغة الكاريلية تراث مدون، ولا تستخدم في مجالات الثقافة والتعليم. وتعد اللغة الإستونية أهم اللغات التي تمت بصلة القرابة اللغوية للغة الفنلندية ويرجع تدوينها أيضاً إلى القرن السادس عشر الميلادي. واللغة الإستونية هي اللغة الوصية في جمهورية استونيا، ويتحدث بها حوالي مليون مواطن في استونيا، ونصف ميسون في روسيا وسيريا وليتلاند.

وإلى جانب الفنلندية والكاريلية والإستونية، وهناك عدة لغات تنتمي إلى الفرع عسدي، وهي لغة الالاب والموردفينية وغيرهما. ويبلغ عدد المتحدثين بهذه اللغات محضنة حوالي المليونين يشكلون أقبليات لغوية في الدول الاسكندنافية المحتمنة والاتحاد الروسي.

اللغة المجرية:

يضم الفرع المجرى Ugrian عدة لغات أهمها وأكثرها انتشاراً: لغة المجرية Hungarian. المجرية من أقدم اللغات الفنلندية المجرية التي دونت، فقد تم ذبّ هـى المـقر ١٣٣٠ ميلاد، فهناك نص مجرى وصل إلينا مدوناً سنة ١٢٢٠ م. وقد ظهرت بشائر النهضة اللغوية المجرية فى القرن السادس عشر عندما ألفت بهـا بعض الكتب الدينية فى إطار حركة الإصلاح الدينى، وكان شأنها فى هذا الصدد شأن اللغات المحلية، وأصبحت اللغة المجرية منذ القرن السابع عشر لغة تأليف وثقافة وطنية ولكن اللغات الكثيرة نازعتها مكانتها فى بلاد المجر. ظل المجرىون حتى القرن السابع عشر يتعاملون باللغة اللاتينية باعتبارها اللغة الرسمية ولغة القضاء ولغة العلم، وكان بعضهم يتوسل فى مجالات العلم باللغة الألمانية أيضاً، فى حين كانت اللغة الفرنسية لغة الأرستقراطية فى وسط أوروبا. ولهذا تأثرت اللغة المجرية فى مجالات العلم والثقافة باللاتينية وبالألمانية وفى ألفاظ الحياة الراقية باللغة الفرنسية. وقد زاد الاهتمام باللغة المجرية فى أواخر القرن الثامن عشر مع ظهور الحركة القومية المجرية، فأصبح المجرىون يؤلفون بها فى مجالات العلم ويهتمون بها رمزا لقوميتهم ووجودهم.

ثانياً: اللغات الألتائية:

اللغات الألتائية هى الجناح الآسيوى من اللغات الأورالية الألتائية، وتشترك اللغات الألتائية فى الخصائص التالية:

(١) الأصوات:

١- يوجد فى اللغات الألتائية عدد كبير من الحركات، تصل فى كثير من هذه اللغات إلى سبع حركات، وفى اللغة التركية إلى عشر حركات.

٢ يسود فى اللغات الألتائية نظام التوافق الحركى، وهو نوع من المماثلة بين الحركات، فالحركات التى توجد فى الكلمة الأساسية تتحكم فى حركات الملاحق التى تلصق فى آخر الكلمة، فمثلاً تتخذ الوحدة الصرفية الدالة على الملكية أو التبعية

الصور الصرفية الآتية (in,ün,in,un) وتحدد الصورة الصرفية المناسبة من هذه
 اصور الأربع طبقا للحركة الخاصة في كل حالة بالكلمة الأساسية، ويتضح هذا من
 الأمثلة التالية:

ev-in	=	of the house
otobüs-ün	=	of the bus
orman-In	=	of the forest
vapur-un	=	of the steamer

وعلى هذا تحددت حركة اللاحقة وفق حركة الكلمة الأساسية:

u a ü e الحركة الأساسية:

u I ü i حركة اللاحقة:

وهناك عدة قوانين للتوافق الحركي في كل لغة من لغات اللاتينية، ولكن وجود
 هذه الظاهرة -بصفة عامة- يعد من السمات المميزة لهذه اللغات.

٣- لا تظهر بعض الصوامت في أول الكلمة، أو يكون وجودها نادرا، ومن هذه
 الصوامت الرء والزأى، فلا تكاد الكلمات الأصلية في اللغات اللاتينية تبدأ بالرء
 أو بالزأى.

٤- أنواع المقاصع في اللغات اللاتينية محدودة، ولا يوجد فيها مقطع يبدأ
 بصامتين أو أكثر.

(ب) بناء الكلمة:

١- اللغات اللاتينية لغات إلصافية، تتكون بنية الكلمات فيها من كلمة أساسية تحقق
 بها لواحق كثيرة.

مثال من اللغة التركية:

الكلمة الأساسية: qorq تخاف تتكون منها بإضافة اللواحق، الكلمات الآتية:

حرف qorqut جبان qorqaq مخيف qorqunč

٢- تؤدي هذه اللواحق وظائف لغوية مختلفة، للتعبير عن زمن الفعل وعن لفي وعن الجمع وعن المكان، وغير ذلك من المعاني التي تؤدي في لغات الأخرى بوسائل عوية مختلفة. ولاتعرف هذه اللغات حروف جر سابقة على الاسم، بل تؤدي هذه معاني عن طريق لواحق تأتي بعد الكلمة، أي أنها ليست Prepositions بل postpositions. ويتضح هذا من الأمثلة التركية التالية:

في المنزل evde منزل ev هو (يكون) في المنزل evdedir

٣- لاتعرف اللغات الالمانية تصنيف الصيغ من حيث التكبير والتأنيث.

جـ- المفردات

١- هناك مجموعات من المفردات الأساسية المشتركة في اللغات الالمانية.

المعنى	الكلمة في اللغات المغولية	الكلمة في اللغات التركية
قوة	erke	aerk
قص	kirya	qirq
جمع	qata	qat
حلب	saya	say
فهم	uqa	uq
دافع	saki	saq

ويلاحظ في الأمثلة السابقة، وكلها من الكلمات الأساسية. أنها من أصل واحد. وهم الفروق بين الصيغ المغولية والصيغ التركية يتعلق بأحر الكلمة. فقد حذفت الحركة الأخيرة في الصيغ التركية، وهذا الحذف ملاحظ في كل الأمثلة لتركية السابقة.

٢- يصم المعجم المشترك في اللغات الألتائية ألفاظاً أساسية في كل الأفرع لتركية و لمغولية والتونغوزية.

لغات المغولية	اللغات التركية	اللغات التونغوزية
aqqa = أخ كبير	aya = أخ كبير	age = السيد
boroyan = مطر	buran = عاصفة جليدية	buran = عاصفة

وعلى الرغم من وجود اختلاف نسبي في الدلالة فإن الاختلاف يمكن تفسيره في إصر التغيير الدلالي.

٣- يشمل المعجم المشترك الألفاظ الخاصة بالموضوعات التالية:

(أ) أسماء أعضاء جسم الإنسان، وذلك مثل الألفاظ الدالة على: ركة، رأس، شعر، فم، أذن، وجه، صدر، قدم.

(ب) الأسماء الدالة على علاقات القرابة، وذلك مثل الألفاظ الدالة على: أب، أخ كبير، أخت كبيرة، عم، جد أقارب الأب.

(ج) أسماء الحيوان، وذلك مثل الألفاظ الدالة على: حروف، فار، جمل، حبة سمك، ثور، حمار، دب.

(د) أسماء الفواهر الطبيعية، وذلك مثل الألفاظ الدالة على: يوم، ليل، ضوء، زمن، مطر، جليد.

قدم نقوش النى وصلت مدونة باللغات التركية كانت من القرن الثامن الميلادي. وهي ثلاث مجموعات، منها: النقوش البلغارية التركية، وقد دوت هذه نقوش في أرض أوربية على عكس المجموعتين الأورخونية والأغورية فقد دوت في وسط آسيا وقد دوت هذه النقوش التركية في الفترة من القرن الثامن الميلادي إلى لقرن رابع عسر لميلادي، ولذا هناك تواز تاريخي بين النقوش التركية القديمة في كل مجموعاتها، واستمر هذا التوازي عدة قرون. وكانت منطقة بلغاريا من القرن الثامن

إلى القرن الرابع عشر للميلاد قد عرفت ازدواجا لغويا، كان الشعب يتحدث بلغة سلافية، ووقع هؤلاء السلاف تحت حكم الترك الوافدين من آسيا وجنوب روسيا. وظل الازدواج اللغوي في بلغاريا انعكاسا لتقسيم السكان إلى ترك حاكمين وسلاف محكومين. وقد وجدت عدة لهجات تركية في بلغاريا، وبادت أكثر هذه اللهجات التركية بسيادة اللغة البلغارية السلافية. وقد تكونت في باقي المناطق لغات تركية مختلفة، وبعضها تعد من اللغات التركية ذات السرات، وهي التركية والأذرية والجنغالية.

(١) اللغة التركية:

اللغة التركية هي لغة الدولة العثمانية، وأهم اللغات التركية في التعبير عن الحضارة الإسلامية، وهي لغة الجمهورية التركية، وأهم اللغات التركية في العصر الحديث. يرجع تاريخ اللغة التركية إلى القرن الخامس عشر الميلادي. وقد ازدهرت اللغة التركية في إطار الدولة العثمانية، ولذا تأثرت كثيرا بالعربية والفارسية، وكانت اللغات العربية والفارسية والتركية، تستوعب مجالات التعبير الحضاري في الجناحين الغربي والأوسط من العالم الإسلامي. وتسمى اللغة التركية في هذه الفترة باسم التركية العثمانية، وكانت تدون بالخط العربي. وقد عاشت التركية العثمانية في إطار الحضارة الإسلامية، وكانت المثل الثقافية في إطار الدولة العثمانية تجعل اللغتين العربية والفارسية أهم أدوات الثقافة الرفيعة. وأدى هذا الاهتمام بالعربية والفارسية إلى دخول عدد كبير من الألفاظ العربية والفارسية إلى التركية، ويتضح هذا التأثير بصفة خاصة في المجالين الديني والثقافي.

وقد دخلت اللغة التركية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى مجالات التعبير عن الحضارة الحديثة، فتأثرت باللغة الإيطالية وباللغة الفرنسية في ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية، وأخذ بعض الكتاب يطرحون قضية التجديد اللغوي باعتباره الطريق نحو التقدم والحضارة. ونادى كثيرون بالإقلال من الألفاظ

الدخيلة من العربية والفارسية التي كان الفصحاء يتبارون في حشدها، وطالب بعض الكتاب بمحاولة الاقتراب من لغة الشعب في التعبير الأدبي. وظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين محاولات لإصلاح نظام الكتابة بابتكار علامات إضافية تجعل الكتابة التركية أصدق تعبيراً عن الصوامت والحركات التركية. وعندم ألغيت الخلافة سنة ١٩٢٤م وأعلنت الجمهورية التركية دولة علمانية كانت تركيا أول دولة تفصل بإرادة حكامها عن الإطار الاسلامي الحضارى وتولى وجهها شطر الغرب. وفي ذلك العام أيضاً كانت المحاولات الروسية لفصل الاقاليم الجنوبية عن الارتباط الحضارى يباقي أنحاء العالم الاسلامي قد اتخذت شكلاً رسمياً، وذلك بتعديل نظام كتابة اللغات التركية في جنوب الاتحاد السوفيتي من الحرف العربي. كان استخدام الحرف اللاتيني في تدوين اللغة التركية سنة ١٩٢٨ نقطة تحول في التاريخ اللغوى والحضارى التركى، فكان إعلاننا بالتحول عن الارتباط بالعربية والفارسية ودعوة إلى التغريب في اللغة التركية. وقد حاولت الحكومات التركية بقرارات رسمية التخلص من كلمات عربية وفارسية كثيرة كانت قد دخلت التركية واحلال كلمات تركية بديلة. وعلى الرغم من كل هذه المحاولات فقد ظلت نسبة عالية من ألفاظ العربية والفارسية مستقرة في اللغة التركية، ولا تزال الدولة تسمى نفسها رسمياً باسم Türkiye Cumhuriyeti دون رفض كلمة "الجمهورية" وهى كلمة عربية. ولكن تحول نظام الكتابة عن الخط العربى إلى الخط اللاتينى أوقف دخول كلمات عربية جديدة وفتح الباب لدخول ألفاظ كثيرة من اللغات الأوروبية.

٢- اللغة الآذرية:

اللغة الآذرية هى لغة آذربيجان، وتسمى هذه اللغة باسم "آذرى". وتعد اللغة الآذرية أقرب اللغات -من حيث البنية النحوية والمعجم الأساسى- من اللغة التركية، ومن الممكن أن يتفاهم آذرى بلغته مع تركى أناضولى بلغته فى موضوعات كثيرة دون أن يكون أحدهما قد تعلم لغة الآخر، وكأن اللغتين لهجتان للغة واحدة. واللغة الآذرية

هى لغة السائدة فى جمهورية آذربيجان وعاصمتها باكو، وتوجد جماعات أذرية فى إيران. ويقدر عدد أبناء اللغة الأذرية بحوالى ثلاثة ملايين ونصف (١٩٥٩)، ثلاثة أرباعهم فى جمهورية آذربيجان.

وكانت اللغة الأذرية فى إطار الحضارة الإسلامية إحدى اللغات التى صفت به المؤرخون الأدبية. وهناك تراث أدبى أذرى منذ القرن الثالث عشر ميلادى، ويهد تكون الأذرية أقدم فى الاستخدام الأدبى المدون من اللغة التركية. وكبار الأدباء الأذريون يحميدون العربية والفارسية، ودخلت ألفاظ عربية وفارسية كثيرة فى 'شعارهم' وكتاباتهم. وظهرت محاولات عند بعض الأدباء بعد ذلك للاقترب من لغة الشعب والإقلاق من التفاسيح بالعربية والفارسية. وكانت الصحافة الأذرية فى أواخر القرن التاسع عشر عاملا ملورا للوعى الوطنى فى إطار النهضة الإسلامية. ولكن إعلان جمهورية آذربيجان السوفيتية (١٩١٨)، ثم تحويل نظام تدوين اللغة الأذرية من الحط العربى إلى الحط اللاتينى (١٩٢٤) ثم إلى الحط الكيريلى الروسى (١٩٣٩) كانت عوامل حددت الوجه الحضارى إلى السق الروسى، وبذلك بدأت مرحلة جديدة فى أذرية جمهورية آذربيجان، وتكونت مفردات جديدة فى الاطار الحضارى الروسى، يتضح من المقارنة مع التركية كيف دخلت ألفاظ روسية اللغة الأذرية. إن الترك فى جمهورية تركيا أحلوا محل الكلمة العربية "انقلاب" كلمة تركية الأصل هى devirme. أما اللغات التركية فى وسط آسيا -ومنها الأذرية- فإنها تستخدم فى هذا الصدد كلمة أورية مأخوذة عن الروسية، وهى: revolyutsiya. ونرى جانب هذا يلاحظ أن الأذرية فى إيران ظلت تكتب بالحط العربى.

٣- اللغة الجفطانية:

لغة الجفطانية إحدى اللغات التركية ذات التاريخ الادبى والثقفى. وقد دون الأدب الجفطانى منذ القرن الثالث عشر الميلادى بالحط العربى. وكانت لغة الجفطانية راحرة بالألفاظ الفارسية والعربية، تراثها محاكاة للتراث العربى والعربى

وصت اعطائية أهم لغات شرقي دولة التتار، إلى أن قام الأوزبك بطرد اتتار من وسط آسيا وشرقي إيران في القرن السابع عشر، فأخذت لهجتهم الأوزبكية في سيادة. و اليوم تتحدث بنالعه الأوزبكية حوالي ستة ملايين، أكثرهم في جمهورية أوزبكستان، ومنسهم جماعات في جمهوريات التاجيك والقرغيز والقازاق.

اللغات الوطنية للشعوب التركية:

هناك مستويات لغوية كثير عند الجماعات التركية في وسط آسيا. كان استخدماها مقصوراً على الحياة اليومية، أما في مجالات الثقافة فقد كانوا يتعاملون بغير لغتهم المحلية. ولكن السياسة اللغوية للاتحاد السوفيتي جعلت هذه لمستويات اللغوية المحلية لغات وطنية، وهذه اللغات متقاربة في البنية والمعجم حتى إن بعضها يكاد يكون بمثابة نهجات من اللغة التركية، ولكن أبنائها يعدونها اليوم لغات وطنية.

أهم اللغات الوطنية للشعوب التركية

(١) اللغة الأوزبكية:

وهي أهم اللغات التركية في وسط آسيا وتتحدث بها أكثر من ستة ملايين، أكثرهم في جمهورية أوزبكستان، وتوجد جماعات أوزبكية في جمهورية التاجيك وجمهورية القرغيز وجمهورية القازاق. وتعد اللغة الأوزبكية أهم اللغات في جمهورية أوزبكستان، إذ يشكل أبنائها أكثر من ٦٠٪ من مواطني هذه الجمهورية.

٢- اللغة التتارية:

تعد لغة التركية الثانية في وسط آسيا، وتتحدث بها حوالي سبعة ملايين، أكثرهم في جمهوريتي التتار والباشكير، وكتلتهما من جمهوريات الاتحاد الروسي. ولكن لتتار يشكلون في تاتارستان أكثر السكان، والباقيون من الروس والشوباش.

٣- اللغة القازاقية:

تعد لغة القازاق اللغة التركية الثالثة في وسط آسيا، يبلغ عدد أسائها أقل من أربعة ملايين، أكثرهم في جمهورية كازاخستان، أي جمهورية القازاق، وتوجد جماعات قازاقية في الاتحاد الروسي وأزبكستان.

٤- اللغة الآذرية:

هي اللغة التركية الرابعة في وسط آسيا، يتحدث بها حوالي ثلاثة ملايين أكثرهم في جمهورية آذربيجان، وهناك أقليات في جمهوريتي جورجيا وأرمينيا. وذلك بالإضافة إلى وجود الآذرية في إيران.

٥- اللغة الشوباشية:

هي اللغة التركية الخامسة في وسط آسيا، يبلغ عدد أبنائها حوالي المليون ونصف، يعيش حوالي نصفهم في جمهورية الشوباش، أما الباقيون فهم في جمهوريات أخرى في داخل الاتحاد الروسي.

٦- اللغة التركمانية:

هي اللغة التركية السادسة في وسط آسيا، يتحدث بها حوالي مليون أكثرهم في جمهورية التركمان، وهناك جماعات تركمانية في شمال العراق وتركيا وإيران وشمال غرب أفغانستان والقوقاز. وكانت تدون بصورة منتظمة منذ القرن السابع عشر بالخط العربي، إلى أن عدل الاتحاد السوفيتي نظام التدوين إلى الخط الكيريلي الروسي وتدون في خارج جمهورية التركمان بالخط العربي.

٧- اللغة الباشكيرية:

هي اللغة التركية السابعة في وسط آسيا يتحدث بها حوالي مليون، أكثرهم في جمهورية الباشكير، وتوجد جماعات قليلة من الباشكير في جمهوريات أخرى داخل الاتحاد الروسي.

٨- اللغة القرغيزية:

هى اللغة التركية الثامنة فى وسط آسيا يتحدث بها حوالى املليون، أكثرهم فى جمهورية القرغيز.

وهناك لغات وطنية أخرى داخل الاتحاد الروسى، منها لغة الياقوت (٢٥٠,٠٠٠). ولغة الفاراليق (٢٥٠,٠٠٠)، واللغة الكوميكية (١٣٥,٠٠٠) ولغة الجوجوز (١٢٥,٠٠٠)، ولغة الأويغور (١٠٠,٠٠٠) فضلا عن أقليات لغوية أخرى يقل عددها عن مائة ألف.

تعديل نظام الكتابة:

قد كان تعديل نظام التدوين إلى الخط الروسى بالنسبة للأذرية والتركمانية، وتدوين باقى المستويات اللغوية المحلية وإعلانها لغات وطنية تنفيذا للسياسة اللغوية فى الاتحاد السوفيتى بعد ١٩١٩. وتوضح ملامح هذه السياسة اللغوية مما يأتى:

١- تكوين أبجديات جديدة للشعوب التى لم تكن لها لغات وطنية مكتوبة خاصة بها وتعديل نظام تدوين اللغات التى كانت تتخذ الحرف العربى أساسا لتدوينها. وشكلت لهذا "لجنة مركزية للأبجدية"، وضعت فى أواخر العقد الثالث أبجديات جديدة تقوم على الأساس اللاتينى، قطعت الصلة مع الخط العربى رمز الحضارة الإسلامية.

٢- أثبت التطبيق أن اتخاذ الحروف اللاتينية عند الجماعات التركية يجعل علاقاتها مع اللغة اروسية محدودة. ولذا قرر المؤتمر الأول لكل روسيا سنة ١٩٣٢ مالموافقة على مشروع تعديل نظام التدوين إلى الخط الروسى. وبذلك أصبحت هذه اللغات لتركية تدور فى الإطار الحضارى الروسى، ودخلت اللغة الروسية برامج التعيم باعتبارها اللغة الأجنبية العالمية فأصبحت اللغة الثانية عند الشعوب التركية فى داخل الاتحاد.

٣- أصبحت اللغة الروسية مصدر الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية، وقد أوضحت دراسة مفردات الصحف الأوزبكية أنه في سنة ١٩٢٣ كان ٢٨٪ من الكلمات من أصل عربي وقارسي و ٢٪ من أصل أوربي، وفي سنة ١٩٤٠ قست الألفاظ ذات الأصل العربي إلى ٢٥٪ وزادت الألفاظ الروسية ولأوربية إلى ١٥٪. وقد ردد معدل التغير في كلا الاتجاهين: تناقص الألفاظ العربية الفارسية من جانب وزيادة الألفاظ الروسية من الجانب الآخر. أما في مجالات العلوم فإن لغة لروسية هي مصدر التوحيد بلا منافس، ويتضح هذا من دراسة المصطلحات الأساسية للكيمياء في لغة الماشكير، نجد ١٣٢٠ اصطلاحاً أوربياً بصيغته لروسية ونجد ١٤٩ كلمة باشكيرية، وفي مصطلحات علوم الطبيعة نجد ٣٤٤ كلمة باشكيرية و ١٤٢٠ اصطلاحاً أوربياً بصيغته الروسية. وهكذا نلاحظ أن الاتحاد العام في تكوين ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية في اللغات التركية في داخل الاتحاد السوفيتي يتلخص في العبارة الآتية: "تؤخذ مفردات الاصطلاحات كاملة تقريباً من اللغة الروسية بدون تغير في الهجاء، ويؤدى هذا أيضاً إلى تقريب جميع اللغات الوطنية بعضها البعض الآخر وكذلك من اللغة الروسية".

اللغات المغولية:

تضم أسرة اللغات المغولية ست لغات حديثة تطورت عن لغة واحدة هي اللغة المغولية لقديمية، وقد تكونت هذه اللغات المغولية الحديثة في القرون لاربع عشر ولخامس عشر والسادس عشر للميلاد عن اللهجات المغولية المختلفة، وقبل نشوء هذه اللغات المغولية الحديثة كانت اللغة الواحدة الأم، وهي اللغة المغولية القديمة ذات شأن كبير، في القرنين الثالث عشر والرابع استطاع أبناء هذه اللغة بقيادة جنكيز خان وحفده من بعده أن يحتلوا منطقة كبيرة وقيموا امبراطوريتهم الممرامية لأصراف. ولأيوم وبعد أن تطورت اللهجات المغولية وتكونت عدة لغات متقاربة يمكن القول بأن

أهم معات معولية، وهى: اللغة المغولية، ولغة مغول البريات، واللغات الأويراتية، ولغة إقليم المغول فى أفغانستان.

سغة المغولية هى اللغة الرسمية لجمهورية منغوليا الشعبية، يتحدث بها اليوم حوالى احميون. ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر الميلادى عندما تصحت ملامح اللغة المعوسة الكلاسيكية متميزة بذلك عن اللغة المعولية القديمة، وقد صفت سغة المغولية الكلاسيكية منذ ذلك الوقت لغة ثقافة ودين؛ فترجمت إليها مؤلفات بوذية كثيرة من اللغة لتبتية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد. وعلى مدى هذه قرون كانت سغة المغولية - القديمة ثم الكلاسيكية - تدون بالخط المغوسى القديم، وهو خط أبجدى يقوم على الخط الأويغورى الذى كتبت به عدة قبائل تركية، فتعتمد مغول منهم فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى، أما الخط معولى الرابع المأخوذ عن الخط التبتى فقد دوت به بعض النصوص فى أواخر القرن اثنث عشر وأوئل قرن أربع عشر، ولكنه لم يستقر بعد ذلك، وظل الخط الأويغورى مستعملا حوالى سبعة قرون. أما الخط المغولى الحالى فيقوم على أساس الخط الكيريسى الروسى، وقد بدأ التدوين به سنة ١٩٤١ وتقرر استخدامه والالتزام به سنة ١٩٤٦.

الفصل الرابع عشر

اللغات الأفريقية الأخرى

أولاً: التصنيف النمطي

يقوم تصنيف اللغات ذات النصوص القديمة على أساس البحث التاريخي لتوصل إلى خصائصها الأقدم، ومن ثم لتعرف سمات اللغة المشتركة التي خرجت عنها لغات المجموعة قيد الدراسة. هذا المنهج في التصنيف يقوم على أساس تاريخي تطوري، وقد طبق في وضوح وموضوعية في بحث الأسرات اللغوية التي دونت لغاتها المفردة منذ قرون، ولذا تطور هذا المنهج في بحث اللغات الهندية الأوربية واللغات السامية واتضحت ملامحه وظهرت نتائجه، وبذلك تحددت اللغات التي تدخّل في إطار كل أسرة منهما بشكل يقيني وقاطع. ولكن هذا المنهج في التصنيف على الأساس التاريخي غير ممكن التطبيق في بحث اللغات الكثيرة التي لم تصل إليها منها نصوص قديمة مدونة على النحو الذي يتيح لنا لتعرف أصولها القديمة.

ويمكن إيضاح المشكلة مثلاً بتصور باحث يود مقارنة اللغات الفرنسية والروسية والأردية في مستوياتها الحالية بحثاً عن الأصل المشترك الذي خرجت عنه كل هذه اللغات، إن هذا الباحث لا يستطيع - في مثل هذه الحال - أن يصل إلى الأصل المشترك. والوصول إلى ذلك الأصل ممكن فقط بالرجوع إلى المستويات الأقدم، أي إلى اللاتينية والسلافية والسنسكريتية، وعندئذ يتضح التشابه وتحدد ملامح التغير اللغوي ادى حدث، فكلما كثرت النصوص المدونة في عصور محتفة من اللغات، تمكن رسم ملامحها القديمة وأصبح إدراك القرابة بينها وتصنيفها أمراً ممكناً على نحو يقيني، ولكن عدم وجود النصوص القديمة المدونة يعنى عدم إمكان التصنيف على الأساس التاريخي.

ويعتمد تصنيف اللغات الأفريقية وغيرها من اللغات التي لم نصل إليها بهذا
نصوص مدونة قديمة - على أساس الخصائص اللغوية المشتركة، ويسمى هذا المنهج
باسم: 'التصنيف النمطي'. وقد أوضح الباحث الأمريكي جرينبرج في كتابه. لغات
أفريقيا J.Greenberg, Languages of Africa، الأسس التالية التي اتبعها في تصنيف تلك
اللغات:

١- التشابه بين المكونات الصوتية والمعنى الذي تحمله، فلا يكفي مثلاً أن يكون
تصنيف الأسماء في لغة من اللغات إلى مذكر ومؤنث أساساً وحيث جعل هذه
اللغة من اللغات الأفروآسيوية، بل لابد أن تكون علامات التأنيث أيضاً هي علامته
المعروفة في تلك اللغات. ويدخل في هذا أيضاً وجود ألفاظ أساسية على قدر من
التشابه في المكونات الصوتية والمعنى.

ب- عمل المقارنة بين مجموعة لغات مرة واحدة، فلا تتم مقارنة لغة بلغة أخرى فهذه
المقارنة الثنائية توضح أشياء محددة وتخفى أشياء أخرى، ولكن مقارنة المجموعة
كاملة توضح انتماءها إلى أسرة واحدة.

ج - الاعتماد على الأدلة اللغوية وحدها، وعدم اعتبار الآراء السائدة حول تصنيف
القبائل أو علاقاتها أو قربانها. فقد كانت هذه الآراء مصدرًا لكثير من الأحكام
الخاطئة.

وتعد هذه المعايير مقبولة عند جمهور الباحثين في اللغات الأفريقية واللغات
الأخرى التي لا يمكن بحثها وفق الأسس التاريخية.

قدر المعوي الأمريكي جرينبرج عدد لغات إفريقيا بحوالي ٧٣٠ لغة، تنتمي إلى
عدة أسر لغوية. هناك لغات أفريقية كثيرة تنتمي إلى الأفرع المختلفة للأسرة
الأفروآسيوية، وإلى جانب هذه الأسرة تنوزع اللغات الأفريقية الأخرى في رأي
جرينبرج وغيره من المتخصصين في تصنيف اللغات الأفريقية على عدد من الأسرات
اللغوية، أهمها:

١- لغات البانتو.

٢- لغات النيجر الكونغو.

٣- اللغات النيلية الصحراوية.

وهذه الأسرات تستوعب مع الأسرة الأفروآسيوية أكثر اللغات الأفريقية.

ثانيا: لغات البانتو:

تضم أسرة البانتو بضع مئات من اللغات الأفريقية، وأكثرها في القسم الجنوبي من القارة. وقد ذكر الباحثون خمس عشرة لغة تعامل من بين اللغات المنتمية إلى أسرة البانتو، ومعنى هذا أن حوالي ثلث لغات التعامل في القارة الأفريقية تدخل في إطار هذه الأسرة وأهم اللغات هي اللغة السواحلية، ثم تأتي بعد ذلك لغات أخرى منها الفانجالو، تسوانا، لوزي، نيانجا، دوالا، وغيرها من اللغات.

(١) اللغة السواحلية:

تعد اللغة السواحلية أهم لغات أسرة البانتو على الإطلاق، وأهم اللغات السائدة في شرقي أفريقيا. وفي هذه المنطقة تعد اللغات السواحلية وغاندا والأمهرية أهم لغات التعامل، أما الأمهرية فهي من الفرع السامي للأسرة الأفروآسيوية. وتدخل اللغتان الأخريان، وهما السواحلية وغاندا ضمن لغات البانتو.

هناك عدة آراء حول نشأة اللغة السواحلية وانتشارها والعوامل المؤثرة في ذلك. لاشك أن السواحلية من أسرة البانتو، ومعنى هذا أن بنيتها اللغوية تحمل السمات المميزة لهذه الأسرة منها مثلا تصنيف الأسماء وفق السوابق، فهناك مجموعة تبدأ بالمتصع ki في المفرد وتبدأ بالمقطع vi في الجمع. وهي سمة تجعلها بعيدة كل البعد عن اللغات الأفروآسيوية، ولكن اللغة السواحلية زاخرة بألفاظ عربية بشكل يجعل الألفاظ العربية مكونات حاسمة فيها، ولا يمكن تصور اللغة السواحلية دونها، وعلى هذا فاللغة السواحلية ذات بنية بانثوية؛ ولكن مفرداتها بها نسبة عالية من العربية، وهي لغة أفروآسيوية

وقد أدت هذه الحقيقة إلى عدة فروض حول نشوء اللغة السواحلية، فمن قائل بأنها خلط بين لغة بانتوية واللغة العربية، وهناك من يراها ثمرة اختلاط عرب يمس ولحيح بالسكان الأصليين في شرقي أفريقيا، وهناك من يرى فيها لغة نشأت من مجموعة لهجات بانتوية توحدت في أثناء الاتصال بالعرب والاحتكاك التجاري بهم. وهكذا تدور هذه الآراء في إطار كون السواحلية لغة بانتوية به معرودت عربية كثيرة.

يبدأ تاريخ اللغوى للغة السواحلية في الإسلام، فالحركة التجارية على الساحل الشرقي سقارة الأفريقية جذت عدداً من التجار العرب والفرس إلى منطقة بالقرب من مصب نهر تانا. واختلط الوافدون المسلمون مع الإفريقيين الذين دخلوا في الإسلام، فنشأ عن هذا الاختلاط نمط حضارى جديد، وتكونت بيئة لغوية ظهرت في إطارها اللغة السواحلية.

وعندما قامت دولة الزنج كان التعامل فيها باللغة السواحلية وانتشرت هذه اللغة مع نمو الدولة. وبذلك أصبحت اللغة السواحلية لغة تعامل زادت منطقتها بمضى القرون فأصبحت لغة المنطقة الساحلية بين مقديشو وسوفالا، ولغة الجزر مثل زنجبار وكلوة، وتكونت جماعات لغوية سواحلية في جزر القمر وعلى لساحل الشمالى لمدغشقر.

وبعد القرن التاسع عشر مرحلة هامة في التاريخ اللغوى للسواحلية، فقد دخلت إلى أعماق القارة الافريقية من الساحل الشرقي، وكان النشاط التجارى ينعرب في هذه لمناطق وتعلمهم بها من عوامل نشر هذ اللغة إلى منطقة البحيرات في وسط أفريقيا والكونغو فقد انتشرت السواحلية على طرق القوافل وفي المحطات التجارية، ودخلت إلى مناطق كانت قد سادتها لغات أخرى من قبل. وكانت القراية السعوية يس هذه سعات في إطار أسرة البانتو واللغة السواحلية من العوامل التى يسرت نعلم أساء هذه لغات لغة السواحلية. وكانت اللغة الوحيدة المنافسة للغة السواحلية في تلك المناطق

هي نعة الماساي من رعاة البقر، وما أن حصد الطاعون أكثر من ثلثي الماساي سنة ١٨٩٠/١٨٩١. حتى قلت مكانة هذه اللغة، وبذلك انعدمت المنافسة وفتح الباب أمام مريد من الانتشار للسواحلية.

وأدى انتشار السواحلية إلى نشأة عدة مستويات لغوية وعدة لهجات. وحاولت المعونات التبشيرية الاستفادة من السواحلية الواسعة الانتشار، ولكن الخلاف في اختيار لهجة معينة تكون وسيلة تقريب المسيحية إلى أبناء السواحلية كان قائما. احتار الكاثوليك السواحلية المستخدمة في زنجبار التي كانت تعد فصحي، أفاد البروتستانت من المستوى المنعوى للسواحلية المستخدمة في الكونغو والمعروف باسم نجوانا، وعدوها لغة مغايرة متميزة عن السواحلية، ولكن هذه المحاولة لم تجح، وصت إمكانية قائمة في الكونغو -أيضا- للغة السواحلية الفصحى.

لقد كتبت لغة السواحلية عدة قرون بالحروف العربية، وكانت محاولات الأوربيين لتغيير نظام الكتابة هادفة إلى قطع الصلة الحضارية بين اللغة السواحلية والحضارة العربية الإسلامية، وفي سنة ١٩٠٧ أعلنت الحكومة الألمانية إلغاء استخدام الحروف العربية في كتابة السواحلية في المنطقة التي احتلتها في شرقي إفريقية. وتستخدم اللغة السواحلية في مجالات مختلفة في دول شرقي أفريقيا، وخصوصا تنزانيا وكينيا وأوغندا على الترتيب. وقد أسست سنة ١٩٣٠ هيئة لغوية تعنى بقضية تطوير اللغة السواحلية وجعلها معبرة عن الحياة الحديثة، وقد عدت هذه الهيئة اللغوية لهجة زنجبار المستوى اللغوي المنشود. واليوم تتفاوت مجالات استخدام اللغة السواحلية في دول شرقي أفريقيا. نجدها في تنزانيا لغة الصحافة والثقافة ولتعليم لعدم الإدارة واسقاطات السياسة. إما السياسة اللغوية في أوغندا فتهدف إلى جعل لتعمل بين أبناء الجماعات اللغوية فيها يتم بالانجليزية وليس باللغة السواحلية. ويسمح الكتابة ارفيعة سعة السواحلية في تنزانيا ومحاولة إزاحتها عن مكانتها في أوغندا حدد السواحلية في كينيا في مركز وسط، فالسياسة اللغوية لا تهدف إلى تدعيم السواحلية

وحدها بل إلى استخدام تسع عشرة لغة محلية في التعليم العام، وجعل الانجليزية لغة التعامل المشتركة إلى جانب السواحلية. ولكن الانجليزية تمثل الطموح نحو الثقافة الحديثة والرقى الاجتماعى، وبذلك تقل مكانة السواحلية عن الانجليزية فى إصار السياسة المعوية فى كينيا. وعلى الرغم من هذه المشكلات التى تواجه السواحلية على المستوى الرسمى فإنها على المستوى الشعبى ذات انتشار كبير، وتعد من أهم اللغات الكبرى فى القارة الأفريقية.

(ب) لغة غندا:

لغة غندا هى أهم اللغات المحلية فى دولة أوغندا، وكانت من قبل لغة التعامل فى مملكة بوغندا، ويتضح من هذه الكلمات: غندا، أوغندا، بوغندا - أن السوابق لها دور كبير فى بنية الكلمة وتصنيفها، وهذه هى الحال فى لغات البانتو. كانت مملكة بوغندا أول منطقة حكمها الإنجليز فيما عرف بعد ذلك باسم أوغندا، وأفاد الإنجليز من أبناء لغة بوغندا فأخذوا منهم العمال والموظفين للعمل فى منطقتهم ثم فى خارج منطقتهم، وبذلك أصبحت هى اللغة المشتركة بين موظفى الإدارة والعمال. وتقوم مكانة لغة غندا على كونها لغة الإدارة ولغة التعليم العام، وهى بهذا أكثر اللغات المحلية انتشاراً فى أوغندا. وهى مكانة محددة على أية حال، فالمنافسة مع السواحلية ومع الإنجليزية تجعل من لغة غندا مجرد لغة محلية، لها انتشارها فى جنوب أوغندا، ويتعامل بها حوالى مليونين.

(ج) لغة الفانجالو:

هناك مجموعة من اللغات المنتمية إلى أسرة البانتو، تستخدم باعتبارها لغات تعامل فى القسم الجنوبى من القارة الأفريقية، وأهم هذه اللغات لغة الفانجالو. ترجع لغة الفانجالو فى تاريخها المعروف إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى، أفاد منها المستوطنون البيض فى التعامل مع الزنوج الأفريقيين، إن بنية هذه اللغة تجعلها -بصفة

عامة من لغات البانتو، ومعجمها كذلك، ثم دخلت إليها ألفاظ كثيرة من الانجليزية ومن لغة الأفريكانز. وتعد لغة الفانجالو في مناجم اتحاد جنوب أفريقيا لغة العمل، بها تنصر لأوامر إلى عمال تنحدر أصولهم من أنجولا وروديسيا وزامبيا ومالواي وتنزانيا، ولهم لغاتهم الأولى في تجمعاتهم في خارج مجال العمل، ولكنهم يتعاملون بها في مجال العمل. وقد أدى تحرك العمال وتهجيرهم من منطقة لأخرى إلى أن أصبحت لغة الفانجالو متداولة في مواقع عمل كثيرة في اتحاد جنوب أفريقيا وروديسيا وزامبيا وإقليم كاتانجا، وهي دائما لغة عمل ولغة التعامل بين الزنوج والبيض الذين يرفضون أن يحدثهم السود بالانجليزية، ولذا تعد لغة الفانجالو رمزا للسياسة العنصرية.

(د) لغة تسوانا:

هي لغة تنتمي إلى مجموعة البانتو، وتعد هي والانجليزية اللغتين الرسميتين في منطقة بوتسوانا في جنوب أفريقيا. وفي تلك المنطقة توجد أكثر من عشر لغات، غير أن سياسة الحكم غير المباشر جعلت لها مكانة أفضل من غيرها.

(و) لغة مدينة بمبا:

تنتمي هذه اللغة إلى أسرة البانتو، انتشرت هذه اللغة بين العاملين في صناعة النحاس في زامبيا وجنوب كاتانجا من أبناء القبائل المختلفة، وتجنبوا في حياتهم الاجتماعية لغة الفانجالو، وأقبلوا على التعامل بلغة بمبا التي كانت منذ أوائل القرن العشرين لغة جماعة كبيرة من العمال الزنوج. وتعد هذه اللغة اليوم لغة واسعة الانتشار في هذه المناطق، لا يقتصر استخدامها على العمال بل يعرفها الموظفون والمدرسون السود، وهي محببة إلى نفوسهم.

(ز) لغة نيانجا:

هي اللغة لسائدة في دولة ملاوي (نياسالاند: سابقاً) في وسط افريقيا، وهذه لغة مكانة نسبية بين لغات المنطقة، لأنها كانت لغة قبيلة أتيح لأبنائها قدر من التعظيم

العام والحرفى، فأصبح كثيرون منهم موظفين وعمالا فنيين، وفى المصافى المحبورة انتشرت لغتهم حتى مناطق المناجم، ولهذه اللغة مكانتها فى دولة ملاوى بوصفها أيضا لغة الشرطة والحيتى، ولها كذلك مكانتها فى شرقى زامبيا والمناطق المتاخمة للملاوى فى موزمبيق، ولها انتشارها أيضا فى منطقة من روديسيا يقدر عدد أسائها ولتعمنن بها بحوالى المليونين.

(ج) لغة لوبا:

تصم اللغات المستخدمة فى حوض الكونغو عدة لغات يدخل بعضها فى لغات البانتو، وأهم هذه اللغات لغة لوبا. توجد هذه اللغة فى عدة لهجات فى منطقة جنوبى شرقى الكونغو، وقد كان تعاون قبيلة لوبا فى المشروعات فى كاساي وكاتانجا سبب فى انتشار العمال المتحدثين بهذه اللغة فى مناطق لم تكن تعرف هذه اللغة من قبل.

(ط) لغة كينوبا:

هذه اللغة تنتمى إلى أسرة البانتو، أعاد منها الأوربيون فى تعاملهم مع قبائل الكونغو، وأصبحت بمضى الوقت لغة التعامل التجارى وأجهزة الإدارة والاعلام، وهى اللغة المشتركة بين أبناء اللغات المحلية الأخرى، ويقدر عدد المتحدثين بحوالى ثلاثة ملايين.

(ى) لغة اللينجالا (لغة النهر)

تنتمى هذه اللغة إلى أسرة البانتو، انتشرت فى المناطق الموجودة على نهر الكونغو فسميت بهذا الاسم لينجالا، أى: لغة النهر. وقد تطورت لغة اللينجالا منذ القرن التاسع عشر، وانتشرت فأصبحت من أهم اللغات المحلية فى عربى الكونغو. وكان استخدامها عند الجنود عاملا فى نشرها حتى شرقى الكونغو. أى إلى حدود منطقة انتشار السواحلية.

(ك) لغات البانتو فى غربى وسط افريقيا

تعد اللغتان ياوندا ودوالا من أهم لغات البانتو. أما لغة ياوندا فهي لغة محلية فى جنوبى الكاميرون، يتعامل بها أبناءها وغير أبنائها من القبائل ذات اللغات المختلفة.

ولكن منطقة الساحل الشمالى للكاميرون تسودها لغة تعامل أخرى هى لغة دوالا التى تنتمى أيضا إلى أسرة البانتو، قد استخدمت هذه اللغة وسيلة للتشهير البروتستانتى وأصبحت لغة معترفاً بها فى التعليم العام إلى جانب كونها تعامل ولغة الكنيسة، ولكن مكانتها لاتزال محدودة، فالانجليزية منافس قوى لها فى كل هذه المجالات.

ثالثا: لغات النيجر-الكونغو

تعد هذه الأسرة اللغوية من أكثر الأسرات اللغوية أهمية فى القارة الافريقية، فهي تضم لغات كثيرة لها شأن فى الدول الجديدة، منها لغة اليوروبا ولغة زاندى، ولغة ايفه، ويرى بعض الباحثين أن اللغة الفولانية تدخل فى إطار هذه الأسرة.

(أ) لغة اليوروبا

تعد لغة اليوروبا -على أرجح الآراء- لغة تنتمى إلى أسرة النيجر-الكونغو. ويبدو أن لغة اليوروبا كانت -من قبل- ذات مكانة أكبر، ولاسيما فى داهومى وتوجو وبعض الأجزاء الشمالية الشرقية من غانا، وهى على كل حال من أهم اللغات الافريقية، فعدد المتحدثين بها حوالى خمسة عشر مليوناً أكثرهم فى جنوبى غرب نيجيريا، وهناك جماعات من أبناء لغة اليوروبا فى داهومى، وتوجد عدة مستويات لهذه اللغة، فهناك لغة فصيحة تحترم من الجميع وتستخدم فى التعليم وفى الأدب، ويتعامل بها أبناء اللهجات المختلفة إذا ماحدث تعامل بينهم، وتقوم هذه اللغة الفصيحة على إحدى لهجات اليوروبا، ولاتستخدم لغة اليوروبا عند غير أبنائها إلا بصورة محدودة.

(ب) لغة الولوف:

لغة الولوف من أهم لغات أسرة النيجر الكونغو، وهي أكثر اللغات المحكية انتشاراً في جمهورية السنغال، وترجع أهمية لغة الولوف إلى أن أبنائها يمثلون ٣٥٪ من أساء السنغال، أما الباقيون فيتوزعون على جماعات لغوية كثيرة، وبعد إنشاء لغة الولوف بفضل انتشار التعليم الحديث بينهم أصحاب مكانة اجتماعية رفيعة، وقد جعل لبعثهم مند عدة قرون نوعاً من الانتشار على الساحل الغربي الأفريقي، وقد كان البرتغاليون من رحلاتهم البحرية في القرن السادس عشر يستعينون بمتحدثي لغة الولوف إلى جانب لغات إفريقية أخرى، واليوم تعد لغة الولوف أهم لغات السنغال، ولها انتشار أيضاً في جامبيا. ويقدر عدد المتحدثين بها من أبنائها ثم من المتعاملين بها بحوالي المليونين.

(ج) لغة سانجو:

لغة سانجو من اللغات المهمة في أسرة النيجر الكونغو، وهي أهم اللغات المحلية في جمهورية أفريقيا الوسطى. وقد بدأت سانجو تبرز بين اللغات الكثيرة المتقاربة بنية ومعمماً في هذه المنطقة منذ أواخر القرن التاسع عشر. وقد دخل كثير من أبنائها في الفرقة العسكرية الفرنسية العاملة هناك، ومن ثم تسمى هذه اللغة أحياناً باسم sango ki tulugu (أي سانجو الخاصة بالجنود = سانجو لغة الجنود). وقد انتشرت لغة سانجو بسرعة كبيرة، وأصبح كثيرون من أبناء تلك المنطقة ولغاتها يقبلون على تعلمها ويتعاملون بها، بل أصبحت لغة الطبقة الرفيعة وشرطاً للرقى الاجتماعي.

واليوم يتحدث بلغة سانجو حوالي مليون من أبنائها وحوالي مليون آخر من المتعاملين بها في داخل الدولة، وأكثرهم يستخدمونها باعتبارها لغة تعامل في سر العمل، فالأطفال من أبناء اللغات الأخرى لا يعرفونها، وإنما يكسبونها بعد ذلك في المدارس أو في العمل. وعندما قامت جمهورية أفريقيا الوسطى كان قادها ومتقوها يعاملون بلغة سانجو، فأصبحت لها مكانة اللغة الوطنية إلى أن أعلنت سنة ١٩٦٥ لغة رسمية لجمهورية أفريقيا الوسطى.

(د) اللغة الفولانية :

١ معه التولانية (= لغة الفول = لغة peul) من أهم لغات أسرة النيجر ،نكونعو
في عربى أفريقيا، يتحدث بها حوالى خمسة ملايين فى المنطقة الممتدة من اسنغال
حتى جمهورية تشاد.

وهى لغة التعامل السائدة فى المنطقة الشمالية من الكاميرون، ولايرل
المتحدثون بها يعدون من طبقة السادة، وهذا الموقف امتداد لأحداث التاريخ لقريب
عدم كان اغولانيون أصحاب دولة كبرى قبل دخول الفرنسيين المنطقة.وقد حاولت
السلطات الفرنسية الإقلال من مكانة الفول ومن انتشار لغتهم بتشجيع اللغات محمية
الأخرى فى غربى أفريقيا.

(هـ) لغة إفية:

لغة إفية من لغات أسرة النيجر الكونغو، ولها انتشار نسى فى داهومى وتوجو.
كان انتشارها قبل دخول المنطقة تحت الاستعمار الألماني، وأفادت منها الكنيسة فى
التبشير بالمسيحية، ولها اليوم عدد كبير من اللهجات، وتستخدم بعض مستوياتها فى
تأليف الكتب وتدوين المطبوعات.

(و) لغة الزاندى:

تعد لغة الزاندى -فى رأى كثير من الباحثين- من لغات النيجر الكونغو.وهى
لغة منطقة كبيرة حكمتها قبائل الزاندى منذ بداية القرن التاسع عشر، فتعلمتها قبائل
كثيرة. وعندما قسمت هذه المنطقة بين القوى الاستعمارية البلجيكية والفرنسية
واسريطانية قلت مكانة الزاندى ولغتهم بشكل ما؛ ويتحدث بيها اليوم نحو المليون.

رابعاً اللغات النيلية الصحراوية:

تضم هذه المجموعة الصغيرة -فى تصنيف جرينبرج- عدة لغات، أهمها:
صعائى، كورى، بالإضافة إلى عدد من اللغات تعرف باسم اللغات الشارية النيلية

(أ) لغة صنغاي:

يعد انتماء لغة صنغاي إلى الأسرة النيلية الصحراوية أمراً أقرب إلى الترجيح منه إلى اليقين. وهى اليوم أهم اللغات فى منطقة النيجر الوسطى، وترجع مكائتها إلى كونها لغة دولة كبيرة، عرفت أوج ازدهارها فى القرن الخامس عشر الميلادى، وضمت منطقة واسعة امتدت فى غرب أفريقيا تقابل اليوم السنغال ومالى وبعض مناطق نيجيريا الشمالية. وكانت هذه الدولة الكبيرة عاملاً جعل لغة صنغاي أهم لغات التعامل فى غربى بلاد السودان. وفى بداية القرن العشرين كانت لغة صنغاي واسعة الانتشار بين أبناء لغات المبرة والفلولانية والطوارق فى غربى افريقية. ويعد عدد المتحدثين بها باعتبارها اللغة الأولى حوالى المليون، وباعتبارها لغة التعامل حوالى نصف مليون، بعضهم فى جمهورية السودان.

(ب) لغة كنورى

ارتبط تاريخ كنورى بدولة كانم وبورنو، التى كان لها فى التاريخ الافريقى دور كبير، فقد امتدت رقعتها من وادى شرقاً إلى النيجر غرباً وفزان شمالاً. واستخدمت باعتبارها لغة تعامل بين أبناء كل القبائل فى هذه المنطقة، إلى جانب كونها اللغة الأولى عند قبائل كثيرة، وكانت لغة كنورى ذات انتشار كبير، غير أن لغات تعامل أخرى زاحمتها فى رقعتها، وأهم هذه اللغات: الهاوسا فى الغرب والفلولانية فى الجنوب والعربية فى الشرق.

خامساً: أسرات لغوية أخرى:

١- هناك مجموعة لغات صنفها جرينيرج ضمن اللغات الشارية البيلية، وتضم فرعيس كبيرين:

(١) الأسرة السودانية الشرقية، وأهم لغاتها النوية بمستوياتها اللغوية المختلفة، ولغة داحو فى دارفور وغربى كردفان، ولغة الشلوك والدنكا والنوير فى جنوب السودان.

(ب) لغات وسط السودان، ومنها: بونجو، باكاء، بنجا، مورو، لومبي.

٢- وهناك أخرى تسمى بلغات النجر كردفان، وتضم هذه المجموعة تلك السودانية الشرقية التي لا تدخل ضمن الأسرة الشارية النيلية، وأهم هذه اللغات: كولايب.

٣- يضاف إلى ماسبق تلك اللغات المعروفة بمجموعة لغات خويسان، هي اللغات التي سميت من قبل عند الأوروبيين لغات الهوتنتوت والبوشمان، والتسمية الحديثة مأخوذة عن كلمتين (خوى = هوتنتوت) + (سان = بوشمان) من لغتين محبتين. ومن أهم هذه اللغات لغات سانداوى ولغات هاتسا في تنزانيا.

الفصل الخامس عشر

الأسرات اللغوية

في آسيا والمحيطات والعالم الجديد

تضم قارات العالم القديم لغات كثيرة صنف الباحثون كثيرا منها ضمن الأسرات الأفرآسيوية والهندية الأوروبية والأورالية اللاتائية. تبقى بعد هذا لغات كثيرة لا تمت بصلة القرابة إلى الأسرات الثلاثة المذكورة، وتضم القارة الأمريكية وجزر المحيطات لغات كثيرة ليس لها بالأسرات المذكورة صلة. ففي منطقة من أسبانيا وجنوب فرنسا نجد جماعة الباسك تكون أقلية لغوية. ولغة الباسك ليست لها أية علاقة بالأسرة الهندية الأوروبية أو بأية أسرة لغوية معروفة أخرى. وهناك فروض كثيرة غير مقنعة تحاول ربط لغة الباسك بلغات أخرى مجهولة الانتماء. أما آسيا أكبر قارات العالم وأكثرها سكانا ففيها عدد من اللغات واللهجات لا تنتمي إلى الأسرة الأفرآسيوية أو الهندية الأوروبية أو الأورالية اللاتائية. وقد أمكن تصنيف بعض هذه اللغات في أسرات مثل الأسرة الدرافيدية في جنوبى الهند، وبعضها لا يزال مجهول الانتماء مثل اللغة السومرية التي كانت أقدم لغات الحضارة في أرض النهرين. وفوق هذا فالقارة الأفريقية والقارة الأمريكية وجزر المحيطات تضم لغات كثيرة ليس لها بالأسرات اللغوية المذكورة في الفصول السابقة علاقة قرابة، ولذا نعرض لها بإيجاز في هذا الفصل.

أولا : الأسرات اللغوية في آسيا

(١) لغات حضارية قديمة:

هناك عدد من اللغات التى وصلت إلينا مدونة فى نقوش قديمة أظهرتها الحمريات فى العصر الحديث، ولم تكن هناك أية معلومات عن اللغات السائدة قبل اكتشاف هذه النقوش وفك رموز كتابتها وتحليل بنيتها اللغوية. إن أقدم لغة دونها

الانسان هي اللغة السومرية في أرض العراق القديم. وكان ذلك بخط صوري تطور إلى حط يعتمد على تدوين نطق الكلمة برموز تشبه المسامير، ومن ثم يطلق على هذه الكتابة اسم الحط المسامري. ولقد اتضح للباحثين أن اللغة السومرية قد دونت في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وهي بذلك أقدم من اللغات السامية التي سادت أرض المهرين بعد ذلك. وقد ثبت أن اللغة السومرية - التي كان لها أثر كبير في مفردات اللغة الأكادية، لا تمت إلى الأكادية بصلة قرابة، فالأكادية لغة سامية ولكن السومرية ليست من اللغات السامية، ولا يُعرف إلى أية مجموعة تنتمي هذه اللغة، ولذا فهناك فروض كثيرة في هذا الموضوع، وهي فروض ضعيفة تؤكد - أولاً وقبل كل شيء - أن اللغة السومرية بعيدة -أيضاً- عن اللغات الهندية الأوروبية وعن اللغات التركية والمغولية والقوقازية.

وهناك لغات أخرى عرفها الشرق القديم، ولا يزال ائتماؤها موضع نظر، وهي اللغات العيلامية والكاسية والخطية والأورارتية والـجِنّانية، ولكنها وصلت إلينا في نقوش قديمة وبادت من آلاف السنين. أما العيلامية فقد دونت نقوشها منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت هذه اللغة وسيلة التعبير في مملكة عيلام القديمة، وعاصمتها سوسة. ولكن اللغة الكاسية التي كانت في منطقة جبال زاغروس فلا نعرفها إلا من خلال إشارات في النقوش الأكادية بين القرنين السادس عشر والعاشر قبل الميلاد. وأما اللغة الخطية فقد وصلت إلينا منها نقوش في منطقة بوغازكوي بالأناضول، ويتضح منها أن هذه اللغة سبقت دخول اللغة الحيثية إلى المنطقة. وكانت اللغة الأورارتية في منطقة أرمينيا في القرون من التاسع إلى السابع قبل الميلاد، وقد سبقت بذلك اللغة الأرمينية. وأخيراً لايد من الإشارة إلى اللغة الميتانية (= الخورية) التي وصلت منها نقوش من الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد في دولهم الصغيرة التي كانت في أرمينيا آسيا الصغرى والشام وفلسطين.

ويلاحظ في هذه اللغات - كلها - أنها سبقت الأسرات اللغوية الأفرى أسيوية في مناطق انتشارها والهندية الأوربية فى مناطق أخرى. فأرض ماين النهرين عرفت السومرية وهى عبر سامية، ثم الأكادية وهى لغة سامية. والخطية والأورانية، وهما لغتان غير هديتين أوربيتين سبقتا الحيثية والأرمينية وهما لغتان هديتان أوربيتان.

٢- اللغات القوقازية:

المقصود باللغات القوقازية تلك اللغات التى توجد فى القوقاز، ولم يثبت انتمائها إلى اللغات الهندية الأوربية أو إلى التركية أو إلى اللغات المغولية أو إلى أية أسرة لغوية أخرى، فهذه اللغات الباقية يجمعها المكان، ولذا فهى لغات القوقاز أو اللغات القوقازية. وعلى هذا الأساس الجغرافى تضم هذه اللغات فى مجموعة لغوية، وليس من الممكن أن توصف بأنها أسرة، لأن كلمة أسرة تعنى علاقة القرابة، وليس هذا حال هذه اللغات. وأهم اللغات القوقازية: الشركسية واللغات الداغستانية والجورجية والمنحريية ولغة اللاظ.

(أ) الشركسية:

اللغات الشركسية الثلاث، وهى الشركسية العليا والشركسية السفلى والكبردينية، أهم لغات القوقاز الشمالية. وعلى الرغم من أن المتحدثين بهذه اللغات لا يزيد عددهم عن ربع مليون فإن هذه اللغات أصبحت لغات مدونة داخل الاتحاد الروسى، وتؤلف بها الكتب المدرسية فى أقاليم شمال القوقاز.

(ب) اللغات الداغستانية:

وهناك عدد كبير من اللغات فى منطقة شمال القوقاز، ويزيد عدد هذه اللغات عن خمسين لغة يتحدث بها حوالى مليون ونصف. ومن أهم هذه المجموعة ما يسمى باسم اللغات الداغستانية، عددها ٢٢ لغة، ويتحدث بها حوالى ٩٠٠ ألف نسمة. كانت هذه اللغات تدون بالخط العربى، وعدل نظام كتابتها سنة ١٩٢٤ إلى الخط

اللاتيني، ثم أخذت تدون منذ ١٩٣٨ بالخط الروسى. وإلى جانب هذه اللغات الداعستانية يوجد بالقوقاز الشمالى أكثر من عشرين لغة أخرى تتحدث بها جماعات لغوية قليلة العدد.

(ج) اللغة الجورجية:

تضم مجموعة اللغات القوقازية الجنوبية عددا من اللغات، أهمها اللغة الجورجية ويتحدث بها أكثر من مليونين ونصف فى جمهورية جورجيا وفى مناطق فى شمال أذربيجان والمناطق المتاخمة لها فى شمالى شرقى تركيا. واللغة الجورجية ذات تاريخ حضارى على مدى عدة قرون، يرجع خطها الحالى إلى القرن الثالث اميلادى، ونظام كتابتها أبجدى أتاح وجود تراث مدون باللغة الجورجية، وهى اللغة القوقازية الجنوبية الوحيدة التى تستخدم فى المستوى الثقافى وفى التأليف، وهى لغة التدريس فى مدارس جورجيا وجامعتها فى تفليس.

(د) المنجريفية ولغة اللاظ:

هما لغتان من اللغات القوقازية الجنوبية، أما اللغة المنجريفية فيتحدث بها ٢٠٠ ألف، ولغة اللاظ فى شمال شرق تركيا يتحدث بها حوالى ٥٠ ألفا، وليست لهما كتابة متعارف عليها عند أبنائها، وليس لهما تراث حضارى. فأبناء المنجريفية يتعاملون فى محالات الثقافة باللغة الجورجية، أما أبناء لغة اللاظ فى لافستان فى جمهورية تركيا فيتعاملون باللغة التركية فى أمور الثقافة والادارة.

وهناك لغات كثيرة أخرى تتحدث بها جماعات قليلة العدد فى منطقة القوقاز، ومع هذا فبعضها يدون ويستخدم فى التعليم.

٣- اللغات الدرافيدية:

تعرف شبه القارة الهندية مجموعة كبيرة من اللغات الهندية الأوروبية، كما تضم لغات أخرى لا تنتمى إلى هذه الأسرة، فاللغات الدرافيدية يتحدث بها اليوم أكثر من

مائة مليون من اليهود وسكان سرى لانكا (سيلان)، وهى لغات كثيرة متقاربة فى اسمة
واسمهم، ولذا فهى تكون أسرة لغوية واحدة، وأهم لغات هذه الاسرة تيلوجو وتاميل
والملايالام، وغير ذلك من اللغات الدرافيدية، وعددها ١٥٣ لغة.

أما لغة تيلوجو فهى أكثر اللغات الدرافيدية انتشارا، ويتحدث بها أربعون مليون
من اليهود فى الحسوب الشرقى (١٩٦١). ولها تراث يبدأ تاريخه فى القرن الحادى
عشر الميلادى، ومع هذا فتعد لغة التيلوجو اللغة الوطنية الثانية فى الهند بعد اللغة
المعروفة باسم اللغة الهندية.

لغة التاميل هى اللغة الدرافيدية الثانية فى الهند، وهى اللغة الوطنية الخامسة فى
الهند بعد الهندية والتيلوجو والبنغالية والمراتى، يتحدث بها نحو أربعين مليوناً. فى
جنوبى شرقى الهند وشمالى سيلان. وللغة التاميل، مكانتها أيضا بفضل تراثها القديم
الثرى، فهى اللغة التراثية الأولى من اللغات الدرافيدية. ومن هذا الجانب يأتى ترتيبها
بين لغات الهند بعد السنسكريتية.

وتقترب لغة الملايالام ويتحدث بها نحو عشرين مليوناً فى خصائصها اللغوية
من لغة التاميل وأخيرا تأتى لغة كاناڊا ويتحدث بها نحو عشرين مليوناً. وهناك لغات
درافيدية كثيرة أخرى فى جنوب الهند، ويمتد بعضها فى جزر لغوية فى الباكستان،
كما تعد لغة التاميل من أهم لغات سرى لانكا.

٤- الفيتنامية ولغات اللون - خمير:

للغة الفيتنامية (= اللغة الأنامية) هى أكثر اللغات انتشارا فى فيتنام، يتحدث بها
حوالى ٣٥ مليوناً. وهى لغة ذات تراث مدون منذ القرن السابع عشر، ويقوم الحط
الفيتنامى على الحط اللاتينى مع علامات إضافية، وكان المبشرون البرتغاليون قد أحدو.
هى تدوين اللغة لفيتنامية معتمدين على القيم الصوتية للحروف فى نطق البرتغاليين، ولذا
يستخدم مثلاً حرف (d) فى تدوين صوت الذال الفيتنامية، لأن هذا الحرف يعبر

كثيرا فى اللغة البرتغالية عن صوت قريب من الذال وكانت اللغة الانامية قد دونت قبل ذلك بكتابة تقوم على الخط الصينى، وظلت كلتا للكتابتين مستخدمتين فترة من الزمن.

ويعد تحديد انتماء اللغة الفيتنامية من القضايا التى لم تتضح بعد، فثمة سمات مشتركة بينها وبين لغات المون - خمير، جعلها باحثون من لغات المون خمير، أما رأى المقابل فيجعل اللغة الفيتنامية احدى لغات التاى، ويرد أوجه الشبه مع لغات المون خمير إلى تأثير الفيتنامية بهذه اللغات، وتدخل لغات التاى فى المجموعة اللغوية الصينية - التبتية.

وتعد لغات المون خمير أسرة لغوية توجد لغاتها فى مناطق من الهند وبورما والهند الصينية وبلاد جنوبى شرقى آسيا. وأهم لغات هذه المجموعة لغة الخمير أو الكمبودية ويتحدث بها حوالى ٤ ملايين، ولغة المون ويتحدث بها نصف مليون جنوبى شرقى بورما. ولكنا اللغتين تاريخ حضارى قبل العصر الحديث. وقد دونتا بخط يقوم على الخط الهندى.

٥- مجموعة اللغات الصينية التبتية:

تضم مجموعة اللغات الصينية التبتية عددا من اللغات الواسعة الانتشار فى جنوب شرقى آسيا، وأهم هذه اللغات اللغة الصينية التى تعد من حيث عدد الناطقين بها اللغة الأولى فى العالم. وتضم مجموعة اللغات الصينية التبتية أيضا أسرة لغات التاى والمجموعة اللغوية التبتية البرمانية.

اللغة الصينية:

اللغة الصينية لغة نحو ألف مليون نسمة فى الصين، وهناك ملايين الصينيين فى مناطق أخرى من جنوب شرقى آسيا. وهى بهذا أكثر اللغات انتشارا فى هذه المنطقة من العالم المعاصر. وقد أدى استخدام اللغة الصينية فى هذه الرقعة الواسعة من العالم عى مدى عدة قرون إلى تغيرات محلية فى اتجاهات مختلفة، وبذلك نشأت الأشكال

اللغوية المختلفة التي تعرف باسم الماندرين والكانتونية وغير ذلك. وثمة سؤال يطرح نفسه في هذا الصدد، وهذا السؤال هو: إلى أى حد يمكن وصف هذه الاشكال اللغوية بأنها لغات مستقلة أو لهجات مختلفة للغة واحدة؟

إن القضية اللغوية في الصين هي قضية التوحيد اللغوى مع تبسيط نظام الكتابة، والجائنان مختلفان ولكهما متكاملان متداخلان. فقد أدى انتشار اللغة الصينية إلى تعيرها على المستوى المنطوق في الأقاليم المختلفة، وظلت الكتابة موحدة. وأهم الاشكال اللغوية الصينية هي: الماندرين. وإذا التقى ابن الماندرين مع ابن الكانتونية أو ابن وُو أو هُكَّا لما أمكن التفاهم اللغوى المباشر، ولو بعد حين. وهذا شبيه بلقاء الانجليزى مع الألماني أو الفرنسى مع الأسباني، فلا بد أن يتحدثا بلغة واحدة حتى يفهم التفاهم الشفوى، ولكن الكتابة قد تكون وسيلة التفاهم بينهما. فإذا كتب الانجليزى للأسباني $2+6=8$ لترجم الملتقى ذلك الرمز المكتوب إلى لغته وفهم المراد. شبيه بهذا أمر الصينيين في المناطق المختلفة، النطق مختلف، والكتابة واحدة. ويرجع هذا إلى أن الكتابة الصينية بغض النظر عن تقوم على أساس الدلالة، على أساس الصوت، فالبيت له رمز في الخط بغض النظر عن الأصوات المكونة للكلمة واختلافها من منطقة لأخرى. وتتضح هذه الحقيقة إذا علمنا أن الكتابة للصينية يزيد عمرها عن ثلاثة آلاف وخمسمائة عام، وظلت ثابتة الملامح لا تكاد تتغير، بينما حدثت تغيرات لغوية على المستوى المنطوق على مدى القرن.

لقد اتضح للصينيين أن الكتابة الصينية برموزها التي تزيد عن أربعة آلاف رمز صعبة التعلم، وصعبة في الطباعة ومتعذرة في الآلة الكاتبة، ولذا وضعت الثورات الصينية المتتاعة برنامجا للإصلاح اللغوى يهدف إلى توحيد اللغة مع تبسيط الكتابة. ويقوم التوحيد اللغوى على أساس تعليم كل أبناء الصين لغة الماندرين وجعلهم يستطيعون التحدث بها بوصفها اللغة الصينية المشتركة، وتطوير نظام كتابة هذه اللغة الصينية المشتركة، ليصبح بسيطاً يسهل تعلمه.

(ب) لغات التاي:

تضم مجموعة لغات التاي عددا من اللغات المنتشرة في الدول الصغيرة في حوضى شرقى آسيا، وأهمها اللغة السامية وتسمى أيضاً لغة التاي. وهى لغة أربعين مبيونا في تايلاند، واللاوسية في تايلاند وفى لاوس، وهى اللغة الرسمية فى لاوس، بالإضافة إلى عدد من اللغات فى هذه المنطقة.

(ج) المجموعة التبتية البرمائية:

تتكون هذه المجموعة من فرعين. واللغة التبتية أهم لغات الفرع التبتى، وهى لغة أربعة ملايين فى دولة التبت. ولهذه اللغة تاريخ حضارى يرتبط بترجمة التراث السنسكريتى، وتدور منذ القرن الثامن الميلادى بخط يقوم على الخط الهندى. والفرع البرماني تمثله لغة بورما، ويتحدث بها نحو عشرين مليوناً فى دولة بورما.

٦- اللغات الملايوية البولينية:

تشمل اللغات الملايوية البولينية عددا من اللغات التى تتحدث بها قبائل وشعوب كثيرة فى جزر أندونيسيا والافيانوسية من مدغشقر غرباً إلى جزر المحيط الهادى شرقاً، وفى هذه المنطقة الواسعة من العالم توجد آلاف الجزر آلاف اللغات واللهجات وعشرات المجموعات اللغوية، وأهم هذه المجموعات:

(أ) المجموعة الاندونيسية:

تضم المجموعة الاندونيسية عدة لغات فى الجزر الكثيرة من الميليس فى المحيط الهادى ثم فورموزا وإندونيسيا وماليزيا إلى مدغشقر فى المحيط الهندى بالقرب من ساحل الشرقى للقارة الأفريقية. ويبلغ عدد المتحدثين بهذه اللغات حوالى ١٩٠ مليوناً فى دول مختلفة فى هذه المنطقة. وأهم لغات هذه المجموعة اللغة الاندونيسية واللغة الماليزية ولغة جاوة، وأخيراً لغة مدغشقر.

ولغة الاندونيسية هي لغة الملايو في شكلها المتعارف عليه في دولة إندونيسيا، فالأصل التاريخي أن هذه اللغة كانت لغة ساحل سومطرة ثم انتشرت بعد ذلك في الملايو وبورنيو. وقد دوت هذه اللغة التي كانت تعرف باسم لغة الملايو في القرن الثالث عشر بخط محلي، وعُدل نظام الكتابة في القرن الخامس عشر إلى لحظ العربي. ثم حوّل بعد ذلك إلى الخط اللاتيني، وعندما أعلن قيام دولة أندونيسيا سنة ١٩٤٧ أعلنت معها لغة الملايو لغة رسمية البلاد، ثم عدل اسمها إلى اللغة الاندونيسية تمييزاً لها عن الأشكال اللغوية الأخرى - القديمة والحديثة - للغة الملايو. وتستخدم لغة نفسها في ماليزيا، يتحدث بها خمسة عشر مليوناً، وكانت الاندونيسية والماليزية في طور انقسام بسبب المصطلحات الجديدة التي تكون كثير منها من ايهولندية في اندونيسيا والإنجليزية في ماليزيا. ولكن ثمة تعاوناً بدأ للتعاون في هذا المجال بين إندونيسيا وماليزيا.

(ب) المجموعة البولينية:

وتشمل لغات الجزر مثل لغة هاواي تاهيتي، ولغة ساموا وفيجي.

٧- اللغة الكورية:

اللغة الكورية لغة غير معروفة الانتماء، لاحظ البعض أنها لغة إلصاقية مثل اليابانية، ولكن أوجه الشبه بينهما لا تكفي لجعلهما أسرة واحدة. اللغة الكورية لغة ثمانين مليوناً في كوريا الجنوبية والشمالية، ودوت اللغة الكورية في القرن الخامس عشر بأربعين حرفاً بسيطاً ومركباً تكون ٢٣٠ مقطعاً، ولا يزال هذا الحصر مستخدم بصورة مسطحة. واللغة الكورية زاخرة بالفاظ دخيلة من اللغة الصينية، فقد كانت الصينية لغة الثقافة عدة قرون.

٨- اللغة اليابانية:

اللغة اليابانية لغة الصاقية، تشبه من هذا الجانب اللغة الكورية، ولكن ثمة غموضاً في تحديد انتماء اللغة اليابانية. وهى بعيدة فى بنيتها عن اللغة الصينية التى تعد لغة عارلة لا تعتمد بنيتها اللغوية على نظام اللواصق، كما هى الحال فى اليابانية. وعندما كانت اليابان على مدى عدة قرون فى إطار الحضارة الصينية أخذت مجموعة من الرموز الكتابية الصينية ذات الدلالة المباشرة وأصبحت ذات قيمة صوتية. وعلى هذا فالكتابة اليابانية التقليدية (كانجى) تقوم على رموز من الكتابة الصينية بمعناها ورموز أخرى مكملة (هيرجانا) ترمز إلى الأصوات المنطوقة. وهناك نظام ثالث أبجدي يستخدم لتدوين الكلمات الدخيلة (كاتاكانا) واللغة اليابانية لغة دولة اليابان، يتحدث بها ١٢٠ مليوناً.

ثانياً: لغات الهنود الحمر

تستوعب الأسرات اللغوية المذكورة أكثر سكان العالم وهى أسرات قليلة العدد نسبياً بالمقاييس إلى الاسرات اللغوية الكثيرة الأخرى التى تصنف بدخلها لغات الهملايا ولغات استراليا الأصلية ولغات الهنود الحمر فى أمريكا واللغات الافريقية، فهذه اللغات كثيرة جداً، يزيد عددها عن عدد لغات الأسرات اللغوية الكبرى.

صنف اللغوى الأمريكى ساير Sapir لغات الهنود الحمر فى أمريكا الجنوبية الوسطى إلى ١٠٨ أسرة لغوية. وعلى الرغم من أن هذا التصنيف غير نهائى إلا أنه يشهد بالتنوع اللغوى على نحو لا يعرفه للعالم القديم. وترجع صعوبة تصنيف هذه اللغات إلى عدم وجود نصوص قديمة مدونة بها. لقد نجح الباحثون فى تصنيف اللغات الهندية - الأوروبية يبحث الخصائص اللغوية لأقدم اللغات التى وصلت مدونة منها، واستعانوا على ذلك بمعرفة المراحل اللغوية المختلفة كما أثبتتها النصوص. أما الباحث فى لغات الهنود الحمر فعليه أن يقنع فى النظر فى اللغات المعاصرة، ولذا لا

يقوم تصنيف هذه اللغات على أساس القوانين التاريخية بل يقوم على أساس التشابه فى السية والمفردات.

وأهم لغات الهنود الحمر فى أمريكا الجنوبية والوسطى هى لغة كيتشوا Quechua وكانت هذه اللغة ذات شأن عظيم قبل دخول الأوربيين إلى أمريكا، لأنها كانت لغة دولة الإنكا. ولا تزال لغة كيتشوا تستخدم إلى الآن عند حوالى سبعة ملايين نسمة فى بيرو وأكوادور وبوليفيا، وهؤلاء يتعاملون مع بعضهم البعض بهذه اللغة وكثير منهم يتعامل مع الآخرين باللغة الأسبانية.

وهناك لغات كثيرة تستخدم فى أمريكا اللاتينية الوسطى فى التعامل بين الهنود ومن أهم هذه اللغات فى رأى الباحث الأمريكى جليسون H.Gleason وجوارانى Guarani وإيمارا Aymara وتوبى جوارنى Tupi Guarani. لغة جوارانى هى لغة الهنود الأساسية فى قسم كبير من باراجواى وفى عدة أجزاء من جنوب غرب البرازيل. وأكثر أبناء هذه اللغة يعرفون الأسبانية أو البرتغالية ويتعاملون بإحدهما مع الآخرين. أما لغة إيمارا Aymara فهى لغة كثير من الهنود فى جنوب بيرو وبوليفيا. أما لغة توبى جوارانى فقد كانت لغة للتعامل فى منطقة الأمازون بالبرازيل، وأخذت البرتغالية تحل محلها شيئاً. الحمر لغة ناواتل Nahuatl، ويتحدث بها حوالى مليون نسمة، ولها أهمية تاريخية لأنها كانت لغة دولة الأزتك Aztec، وهى إحدى اللغات القليلة التى دونها أبنائها قبل دخول الأوربيين إلى أمريكا.

كتب أساسية مختارة فى علوم اللغة

أولاً : باللغة العربية:

- ١- إبراهيم انيس، الأصوات اللغوية، القاهرة ١٩٩٠.
- ٢- ابن جنى، الخصائص، القاهرة ١٩٥٢-١٩٥٧.
- ٣- برحشتراسر، التطور النحوى للغة العربية، القاهرة ١٩٢٩.
- ٤- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة ١٩٧٣.
- ٥- حسين نصار، المعجم العربى نشأته وتطوره، القاهرة ١٩٥٦.
- ٦- الخليل بن أحمد ، كتاب العين، ج١، بغداد ١٩٦٧.
- ٧- سيبويه، كتاب سيبويه، ١-٥، القاهرة ١٩٦٥-١٩٧٧.
- ٨- عبد القادر الفاسى الفهرى، اللسانيات واللغة العربية، الرباط ١٩٨٢.
- ٩- محمود السمران ، علم اللغة ، الاسكندرية ١٩٦٤.
- ١٠- محمود فهمى حجازى، علم اللغة العربية، الكويت ١٩٧٣، القاهرة ١٩٩٣.

ثانياً : كتب مترجمة إلى اللغة العربية :

- أبركرومبى ، ديفيد ؛ مبادئ علم الأصوات العام، ترجمة وتعليق محمد فتيح،
القاهرة ١٩٨٨.
- أفينش، منكأ، اتجاهات البحث اللسانى ، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء
كامل فايد، القاهرة ١٩٩٦.
- أولمان ، ستيفن؛ دور للكلمات فى اللغة، ترجمة وتعليق كمال محمد بشر، القاهرة
١٩٨٨.
- تشومسكى، نعام؛ اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة حمزة بن قبلان المزينى، الدار
البيضاء ١٩٩٠.
- دى سوسير، فريندان؛ دروس فى الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادى، محمد
الشاوش، محمد عجينة.
- ليونز، جون، نظرية تشومسكى اللغوية، ترجمة وتعليق حلمى خليل، الاسكندرية
١٩٨٥.

ثالثا : بلغات أجنبية

- S. Al- Ani, Arabic Phonology, The Hague 1970.
- L. Bloomfield, Language, Allen & Unwin 1953.
- C. Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin 1908-1913.
- N. Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, MLT 1966.
- S. P. Corder, Introductory Applied Linguistics, Penguin Modern Linguistic Texts 1973.
- D. Crystal, Linguistics, Penguin Books 1975.
- J. A. Fodor, J. Katz, The Structure of Language, Prentice Hall 1964.
- H. A. Gleason. An Introduction to Descriptive Linguistics, Holt, Rinehart and Winston, New York 1961.
- J. Greenberg, Languages of Africa, Indiana University 1966.
- C. F. Hockett, A Course in Modern Linguistics, New York 1958.
- D. Hymes (ed.) Language in Culture and Society and Society, Harper & Row.
- J. Lyons, Introduction to Theoretical Linguistics, Cambridge 1968.
- E. Nida, The Componential Analysis of Meaning, The Hague 1975.
- E. Nida Morphology, The Descriptive Analysis of Words, Ann Arbor 1974.
- F. Palmer, Grammar, Penguin Books 1975.
- F. Palmer, Semantics, Cambridge 1976.
- S. Saporta, Psycholinguistics, Holt, Rinehart Winston 1966.
- T.A. Sebeok; Current Trends in Linguistics 1-6, The Hague 1970
- B. Spuler, Handbuch der Orientalistik, Leiden 1964.

مصطلحات أساسية

acoustic	صوتي (فيزيائي)
acoustic phonetics	علم الأصوات الفيزيائي
acoustics	علم الصوت
acquired	مكتسب
acquisition	اكتساب
active	مبنى للمعلوم
adjective	صفة
adverb	ظرف
affix	زائد
affixation	زيادة = إلحاق
africate	مركب احتكاكي
agglutinative	إلصاقى
alphabet	أبجدية
allomorph	صورة صرفية
allophone	صورة صوتية
alveolar	لثوى
aveoli	لثة = مقدم الحنك
ambiguity	غموض
analogy	قياس
analysis	تحليل
analytic	تحليلي
anatomy	علم التشريح
antonymy	تخالف
anthropology	علم الانثروبولوجي
applied linguistics	علم اللغة التطبيقي

articulation	نطق
articulator	عضو نطقى
articulatory phonetics	علم الأصوات النطقى
assimilation	مماثلة - تماثل
auditory phonetics	علم الأصوات السمعى
behaviour	سلوك
behaviourism	السلوكية
bilabial	شفوى (من الشفتين)
bilingualism	الازدواج اللغوى
breath	نفس
case	حالة إعرابية
category	فصيلة
circularity	دور
cavity	تجويف
classification	تصنيف
closure	حبس
closed sets	مجموعات مغلقة
cognate	قريب، من أصل واحد
collocation	تضام
colloquial	عامى
communication	(نظام) الاتصال
communion	تشارك
community	جماعة
comparative	مقارن
comparative linguistics	علم اللغة المقارن
comparative philology	فقه اللغات القديمة المقارن (مصطلح بائد)
competence	كفاءة لغوية = ملكة لغوية

concept	مفهوم = صورة ذهنية
concord	مطابقة
conjugation	تصريف الأفعال
conscious	واع
consciousness	وعى
contrastive	تقابلي
contrastive linguistics	علم اللغة التقابلي
convention	عرف
conventional	عرفى
convex	محدب
consonant	صامت
context	سياق
contextual meaning	المعنى السياقي
context of situation	سياق الموقف
cord	وتر
corpus	مجموع النصوص
correct	صواب
correspondence	تطابق
data	معطيات
deep structure	البنية العميقة
dental	أسنانى
derivation	اشتقاق
descriptive	وصفى
descriptive linguistics	علم اللغة الوصفى
diachronic	تاريخى (عبر الزمن)
dialect	لهجة، مستوى لغوى
dialectology	علم اللهجات

dictionary	معجم، قاموس
diphthong	صوت مزدوج
dissimiation	مخالفة - تخالف
distinctive features	سمات مميزة
emphatic	مطبق
ethnolinguistics	علم اللغة الاثنولوجي
etymology	تأصيل = علم تأصيل المفردات
experimental phonetics	علم الأصوات التجريبي
family	أسرة
field linguistics	علم اللغة الميداني
form	صيغة
formal grammar	نحو شكلي
fricative	احتكاكي
function	وظيفة
genealogical classification	تصنيف أسري
gender	جنس نحوي
generation	توليد
generative	توليدي
generative grammar	نحو توليدي
glottal stop	وقف حنجري
grammar	نحو
grammarian	(عالم) نحوي
guttural	حلقى
hard palate	الحنك الصلب
historical linguistics	علم اللغة التاريخي
homonymy	اشتراك لفظي
hyponomy	درجة العموم

hypothesis	فرض
idioms	تراكيب ثابتة
immediate constituents	مكونات مباشرة
infix	داخلة
inflection	التصريف الإعرابي
inflectional	اعرابي
informant	راوية
inference	تداخل
instrumental phonetics	علم الأصوات الأكي
inscription	نقش
interdental	بين أسناني
international language	لغة دولية
intonation	تنغيم
irrelevant	غير حاسم
isolating	عازلة
kernel sentence	جملة نووية
labial	شفوي
labio-dental	شفوي أسناني
language	لغة (من اللغات)
langage	اللغة (الانسانية)
laryngal	حنجري
larynx	حنجرة
lateral	(صوت) منحرف
level	مستوى
lexeme	وحدة معجمية
lexical	معجمي
lexical meaning	معنى معجمي

lexicon	معجم
lexicology	علم المفردات
linguist	لغوى
linguistics	علم اللغة
masculine	مذكر
meaning	معنى
mopheme	وحدة صرفية
morphemic alterants	متغيرات صرفية
morphology	بناء الكلمة = علم الصرف
morphophonemics	علم التغيرات الصوتية الصرفية
nasal	أنفى
negation	نفي
neuter	محايد
normative	معياري
notation	تدوين
noun	اسم
number	عدد
opposition	تقابل
onomasiology	علم التسمية = علم تسمية الأشياء
onomatopoetic	محاك للأصوات الطبيعية
oral	فمى
ostensive meaning	معنى إشارى
palatal	حنكى
palate	الحنك
paradigm	جدول تصرفات
paradigmatic	جدولى
parole	كلام

passive	مبنى للمجهول
performance	أداء
person	شخص
pharyngeal	حلقى
pharynx	التجويف الحلقى
phenomenon, phenomena	ظاهرة، ظواهر
philology	علم النصوص القديمة
point of articulation	مخرج
phoneme	وحدة صوتية
phonemics	علم علم الفونولوجي = الوحدات الصوتية
phonetics	علم الأصوات
phonetic alphabet	الأبجدية الصوتية
phonetic law	قانون صوتي
phonology	علم الفونولوجي
plosive	انفجاري (= شديد)
plural	جمع (= غير المفرد)
polyglot	متحدث بعدة لغات
polysemy	تعدد المعنى
postposition	لاحقة جر
prefix	سابقة
pronoun	ضمير
psycholinguistics	علم اللغة النفسي
ready made utterances	عبارات جاهزة
reconstruction	إعادة تكوين
regular	مطرد
referent	المشار إليه
relationship	قربة

release	إطلاق
relevant	حاسم
resonance	رنين
response	استجابة
romance languages	لغات رومانية
rules	قواعد
segmental	جزئي
semantic field	مجال دلالي
semantic overlapping	تداخل دلالي
semantic relations	علاقات دلالية
semantics	علم الدلالة
semasiology	علم تطور الدلالة
semiotic triangle	الثالوث الدلالي
sentence	جملة
sequence	تتابع
sign	علامة
sociolinguistics	علم اللغة الاجتماعي
soft palate	الحنك اللين
sound laws	قوانين صوتية
speech	كلام
speech chain	سلسلة كلامية
speech organs	أعضاء الكلام
standardisation	تتميط
standard language	لغة مقننة
stop	حبس، إيقاف
stratum	طبقة، مستوى
stress	نبر

structure	بنية
structural	بنوي
structuralism	البنوية
style	أسلوب
stylistics	علم الأسلوب
suffix	لاحقة
supra-segmental	فوق جزئي
surface structure	البنية السطحية
syllable	مقطع
synchronic	وصفي (تزامني)
synonymy	ترادف
syntagmatic	أفقي
syntax	بناء الجملة
system	نظام
taboo	ممنوع، حرام
teeth	أسنان
transcription	تكوين صوتي
typological	نمطي
typological classification	تصنيف نمطي
universals	عموميات ، كليات
usage	استخدام
utterance	قول منطوق
uvula	اللهاة
uvular	لهوي
velarisation	تفخيم
velar	حنكي قصي
velum	الحنك القصي = الحنك اللين

verbal	لفظى
verbal behaviour	سلوك لغوى = سلوك لفظى
vocal cords	وتران صوتيان
voice	جهر (= صوت الجهر)
voiceless sound	صوت مهموس
voiced sound	صوت مجهور
vowel	حركة
vocalic harmony	توافق حركى
vulgar latin	اللاتينية الشعبية
wind-pipe	قصبة هوائية
word	كلمة
writing	كتابة